

علوم الأخوة

٢٠

في هذا العدد :

- ظواهر صوتية في كتاب البيان في غريب القرآن لابن الأنباري
- حروف العلة ، دراسة لغوية
- مصطلح علم الحديث والتععيد النحوي عند سيبويه



علوم اللغة

دراسات علمية مُحَكَّمة تصدر أربع مرات في السنة كتاب دوري

٢٠٠٢

العدد الرابع

المجلد الخامس

رئيس التحرير

أ.د. محمود فهمى حجازى (القاهرة)

مدير التحرير

د. مجدى إبراهيم يوسف (حلوان)

نائب رئيس التحرير

أ.د. سعيد حسن بحيرى (عين شمس)

أ.د. عمر صابر عبد الجليل (القاهرة)

المستشارون العلميون

أ.د. جوزيف ديشى (ليون ٢) أ.د. عبده على الراجعى (الاسكندرية)

أ.د. حسن حمزة (ليون ٢) أ.د. كمال محمد بشر (القاهرة)

أ.د. حمزة المزينى (الرياض) أ.د. مائتورد فبويدخ (أمستردام)

أ.د. رئيسف جورج خورى (هيدلبرج) أ.د. محمد عوفى عبد الرؤوف (عين شمس)

أ.د. السعيد محمد بدوى (الجامعة الأمريكية بالقاهرة) أ.د. عبد الفتاح البركاوى (الأزهر)

أ.د. فولفديترش فيشر (اولانجن) أ.د. صلاح الدين صالح (بنى سويف)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

علوم اللغة

دراسات علمية محكمة تصدر أربع مرات في السنة

كتاب دورى

مج ٥، ع ٢٠١٢

ح) حقوق الطبع والنشر محفوظة ولا يسمح بإعادة نشر هذا العمل كاملا أو أى قسم من أقسامه ، بأي شكل من أشكال النشر أو استنساخه أو ترجمته ، أو اختراذه في أى شكل من أشكال نظم استرجاع المعلومات ، إلا بأذن كتابى من الناشر .
قيمة الاشتراك السنوى :

(داخل جمهورية مصر العربية)

٨٠ جنيهًا مصريًا

(خارج جمهورية مصر العربية شامل البريد)

٨٠ دولارًا أمريكيًا

سعر العدد :

(داخل جمهورية مصر العربية)

٢٠ جنيهًا مصريًا

(خارج جمهورية مصر العربية شامل البريد)

٢٠ دولارًا أمريكيًا

أسعار خاصة للطلبة :

المراسلات

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى

دار غرب للطباعة والنشر والتوزيع

ص ب (٥٨) الدواوين - القاهرة ١١٤٦١ القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

المحتويات

الصفحة

البحوث

- ظواهر صوتية فى كتاب البيان فى غريب القرآن لابن الأنبارى ٩

د. قبارى محمد شحاته

- حروف العلة «دراسة لغوية» ١٢٥

د. عبد الحميد عليوة مسعد

- مصطلح علم الحديث والتععيد التحوى عند سيبويه ١٨٣

د. فكري محمد سليمان

تقديم

هذا هو العدد العشرون من علوم اللغة فى عامها الخامس (٢٠٠٢) ، تم بإشراف عالم لغوي هو الأستاذ الدكتور سعيد حسن بحيري أستاذ علوم اللغة فى كلية الآلسن بجامعة عين شمس . وهو نائب تحرير «علوم اللغة» . وقد تولى مهمة هذا العدد ، ومن واجب أسرة التحرير أن تشكر له جهوده فى هذا المجال وإشرافه على هذا العدد العشرين من هذه السلسلة .

البحوث فى هذا العدد كتبها متخصصون فى علوم اللغة ، وكلها أعمال جادة كان علينا أن نرحب بنشرها ، وتخضع البحوث المنشورة فى هذه السلسلة للتحكيم العلمى ، وتفتح «علوم اللغة» مجال النشر لكل الدراسات الجادة المتخصصة فى العربية والدراسات المقارنة .

والله ولى التوفيق ،،،

أسرة التحرير

شروط النشر

- يقبل هذا الكتاب نشر الدراسات والأبحاث فى علوم اللغة ، ونتائج البحوث الاستكشافية ، والمراجعات العلمية ، وتقارير الممارسات والمشروعات والأنشطة العلمية، وعروض الكتب اللغوية المتخصصة العربية أو الأجنبية .
- يفضل أن تكون الدراسة فى حدود ١٥٠٠٠ كلمة، والمراجعة العلمية فى حدود ٦٠٠٠ كلمة، والتقارير فى حدود ٢٠٠٠ كلمة، وعرض الكتاب فى حدود ١٥٠٠ كلمة .
- يشترط ألا يكون العمل قد سبق نشره أو قدم للنشر فى أى مكان آخر .
- تخضع الأعمال المقدمة للتحكيم ، ويخطر صاحب العمل بقبوله أو بملاحظات التحكيم أو الحاجة إلى المراجعة .
- تقدم الأعمال بخط واضح ، أو مطبوعة ، على الحاسوب .
- تقدم الرسومات بشكل جاهز للاستنساخ المباشر .
- يراعى فى الاستشهادات المرجعية الدقة فى التوثيق واكتمال بيانات الوصف ، والاطراد فى ترتيب عناصر البيانات .
- يعبر ما ينشر فى هذا الكتاب عن رأي كاتبه ولا يمثل بالضرورة رأي المحرر أو الناشر .
- لا يعاد نشر أى عمل مما ينشر فى هذا الكتاب الدوري إلا بإذن كتابى من الناشر .
- يخضع ترتيب المواد فى النشر لاعتبارات فنية ولا علاقة له بمكانة المؤلف أو قيمة العمل .

ظواهر صوتية فى كتاب البيان فى غريب إعراب القرآن لابن الأنبارى

د. قبارى محمد شحاته

قسم اللغة العربية - كلية الأكن -
جامعة عين شمس

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد النبى الأمى الكريم ، وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم .
... فهذا بحث يتناول بالدراسة والتحليل بعض الظواهر الصوتية الواردة فى كتاب « البيان فى غريب إعراب القرآن لابن الأنبارى » . وهو كتاب كبير وضعه مؤلفه لبيان وتفسير ما قيل من غريب فى إعراب بعض كلمات القرآن الكريم ، كما ضمنه مؤلفه كذلك بعض القراءات القرآنية لبعض كلمات القرآن ، ثم قام بتوجيه هذه القراءات توجيهاً صوتياً أو نحوياً . والمؤلف فى أثناء بيانه غريب إعراب القرآن يلجأ أحياناً لبعض التفسيرات الصوتية لبعض الصيغ القرآنية .

ونظراً لضخامة هذا الكتاب ، إذ يقع فى مجلدين كبيرين ، قصرت دراستى على الجزء الأول منه فقط . فقامت بجمع بعض الظواهر الصوتية الواردة فى هذا الجزء ، وقامت بتصنيفها ودراستها . وكان تصنيفى لها على هيئة أقسام عامة وفق ما جاء فى كتب الصرف العربى ، وأدرجت تحت هذه الأقسام المهمة

أقساماً فرعية ، وضعت لها عناوين وفق ما ذكر ابن الأنباري . ثم قمت بتفسير وبيان هذه الظواهر الصوتية التي أوردها ابن الأنباري في هذا الكتاب ، وذلك بالرجوع للعلماء القدامى من أمثال : سيويه والمازني وابن جنى وابن يعيش والرضي وغيرهم . وما ذكره القدماء تفسيراً وتحليلاً له ، وكانت وجهة نظري وفق ما جاء في علم الأصوات عند المحدثين من علماء اللغة .

إذن دراستي لبعض الظواهر الصوتية الواردة في كتاب البيان لها جانبان : أولهما : قديم ، والآخر : حديث ، وتعتمد المنهج الوصفي الذي يقوم على وصف الظاهرة اللغوية وتفسيرها وتحليلها . ومعروف لمن يطالع كتب التراث العربي أن مؤلفيها اعتمدوا هذا المنهج ، هو إذن منهج وصفي تفسيري أو تحليلي .

وجاءت دراستي في هذا البحث وفق المنهج التالي :

أولاً : قدمت البحث بتمهيد ، تناولت فيه نقطتين : الأولى : ترجمة موجزة عن ابن الأنباري مؤلف كتاب البيان ، حتى يقف القارئ على شيء من حياة هذا المؤلف وعلمه ودوره في الدرس اللغوي وما خلفه من تراث .

والنقطة الثانية : خصصتها للحديث عن كتاب البيان في غريب إعراب القرآن ، ومنهج ابن الأنباري فيه .

ثانياً : موضوع البحث ، ويتناول عرض بعض الظواهر الصوتية الواردة في كتاب البيان ، وجاء تقسيمها على النحو التالي :

القسم الأول : الإعرال : وتناولت فيه ثلاثة أنواع ؛ هي :

١ - الإعرال بالقلب ، وشمل :

أ - قلب الواو ياء

ب - قلب الياء واو أ

ج - قلب الواو والياء ألفاً .

د - قلب الواو والياء همزة .

هـ - قلب الواو تاء .

و - قلب الالف ياء .

٢ - الإعلال بالنقل ، وتناولت فيه :

أ - نقل حركة عين المعتل إلى الساكن الذى قبله . وهذا فى :

- المضارع المبني للمعلوم والماضى المبني للمجهول من الأجوف .
- الأسماء التى تشبه الفعل المعتل (الأجوف) من نحن معيشة ، وغيرها .

ب - نقل حرف مكان حرف (قلب مكاني) ، وذلك فى اسم الفاعل من الأجوف فى لغة لبعض العرب ، من نحو : هارٍ ولاثٍ ، وغيرهما .

٣ - الإعلال بالحذف ، وتناولت فيه :

أ - حذف الحرف . وذلك فى نوعين ، هما :

- حذف الواو من مضارع المعتل الأول (المثال) ومصدره .
 - حذف لام المعتل الآخر عند إسناده إلى واو الجماعة .
- ب - حذف الحركة : أي حذف حركة فاء الماضى المبني للمجهول من الأجوف .

القسم الثاني : الإدغام :

وقد تم هذا القسم بالحديث عن قسمي الإدغام اللذين ذكرهما ابن جني في كتاب الخصائص وهما :

١ - الإدغام الأكبر : وهو على نوعين :

أ - إدغام التماثلين .

ب - إدغام المتقارنين .

٢ - الإدغام الأصغر : والمقصود به تقريب الحرف من الحرف من غير إدغام .

وقد اعتمدت هذا التقسيم ، وأوردت تحته ماذكر من أمثلة في كتاب البيان .

القسم الثالث : تخفيف الهمزة وتناولت فيه نوعين :

الأول : تخفيف الهمزة المفردة ، وذلك به :

أ - إبدالها .

ب - حذفها .

والثاني : تخفيف الهمزتين ، والمقصود بذلك تخفيف الثانية ، وذلك به :

أ - إبدالها .

ب - جعلها بين يين .

ج - حذفها .

القسم الرابع : تخفيف الحرف الثاني : وذلك بحذف حركته ، وهذا يكون في

الكلمات الثلاثية في لغة بكر بن وائل وكثير من تميم ،

ويكون فيما ورد من كلمات على وزن : فعل ، وفعل

القسم الخامس : التقاء الساكنين : وتحريك أولهما بالكسرة ، وهى الأصل فى التحريك عند التقاء الساكنين ، وقد يحرك بالضممة للإتباع ، وأخيراً أنهيت البحث بخاتمة ضمتها أبرز النتائج التى توصلت إليها ، وقائمة للمراجع التى اعتمدتها فى هذه الدراسة .

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير .

دكتور / قبارى محمد شحاتة

تمهيد:

نتناول في هذا التمهيد نقطتين : الأولى : ترجمة ابن الأنباري مؤلف كتاب البيان . والثانية : التعريف بكتاب البيان في غريب إعراب القرآن ، لابن الأنباري ، موضوع الدراسة . وفيما يلي بيان ذلك .

١- ترجمة ابن الأنباري

هو عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد ، ويكنى بأبي البركات كمال الدين الأنباري ، وهو معروف بأبي البركات كمال الدين ابن الأنباري أو الأنباري . ويشار إليه في كتب النحو بابن الأنباري . والأنبار المنسوب إليها قرية قديمة على الفرات بينها وبين بغداد عشرة فراسخ . وكان مولده في ربيع الآخر ، عام ٥١٣ هجرية .

حياته:

ليس في كتب التراجم التي ترجمت لابن الأنباري معلومات وافية عن حياته ، وكلها معلومات قليلة تكاد تجمع عليها جميع هذه الكتب لانتساب ومكانة هذا الرجل العلمية الكبيرة ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن ابن الأنباري قد عاش حياة علمية خالصة لم يختلط بحياة الناس العامة ، وإن كان يشير بنفسه إلى اختلاطه حين يذكر بعض المسائل التي كان يحاج بها أساتذته ، من أمثال : الجو اليقي وابن الشجري .

وتشير كتب التراجم إلى أنه انقطع في آخر عمره في بيته ، واشتغل بالعلم والعبادة وترك الدنيا ومجالسة أهلها ، وكان لا يخرج إلا يوم الجمعة .

وتروى المصادر التي ترجمت له أنه تزوج وله ولد ، وأنه أخذ العلم من أبيه ، ولم تشر هذه المصادر إلى مكانة هذا الولد من الناحية الاجتماعية أو العلمية .

تلقية العلم :

تلقى ابن الأنبارى العلم فى بلدين ، هما : الأنبار وبغداد . ففى الأنبار سمع من أبيه ، ومن خليفة بن محفوظ المؤدب . أما فى بغداد فقد تلقى علومه ، وقد جاءها فى صباه . فقد قرأ الفقه الشافعى بالمدرسة النظامية على أبى منصور سعيد بن الرزاز وعلى من بعده ، وقد برع فى هذا المذهب ، وحصل طرفاً من الخلاف ، كما صار معيداً بهذه المدرسة ، وكان يعقد مجلس الوعظ .

وقرأ الأدب على أبى منصور الجواليقى ، وشرح الكثير من الدواوين ، وروى كثيراً من كتب الأدب .

وأخذ النحو عن ابن السجرى حتى برع فيه ، وصار من المشار إليهم فى هذا العلم .

كما سمع الحديث عن عدد من العلماء ، منهم : أبى منصور محمد بن خيرون ، وعبد الوهاب بن المبارك الأنماطى ، ومحمد بن عبد الله بن حبيب العامرى ، والقاضى أبى بكر محمد بن القاسم الشهرزورى ، وغيرهم . وقد حذث باليسير ، وتخرج عليه عدد من العلماء .

صفاته :

كان ابن الأنبارى إماماً تقياً ، ورعاً ، زاهداً ، عفيفاً ، مناضراً ، غزير العلم ، خشن العيش فى مأكله وملبسه ، لم يتلبس من الدنيا بشئ .
وبما يدل على زهده فى الدنيا أن المستضيء حمل إليه خمسمائة دينار ، فردها ، فقال : اتركها لولدك ، فقال : إن كنت خلقتة فانا أرزقه .

مذهب الفقهى :

كان ابن الأنبارى شافعى المذهب ، وقد تخرج فى المدرسة النظامية التى قامت لإحياء المذهب الشافعى ، وكان لا يتصدى للتدريس بها إلا من نبغ فى هذا المذهب ، وقد أخلص لهذه المدرسة التى درس فيها وعمل فيها بما إخلاص ، فطالما صَدَّرَ كتبه بأنه ألفها حين طلب منه المشتعلون عليه بالمدرسة النظامية أن يؤلف لهم . غير أنه فى أخريات حياته اعتزل المدرسة والعمل وتفرغ لإكمال تأليفه ، ولعقد حلقات الوعظ والدرس ، واقترب اقتراباً شديداً من التصوف وخاصة بعد اتصاله بالشيخ أبى النجيب الصوفى .

مؤلفاته :

ترك لنا ابن الأنبارى تراثاً ضخماً من المؤلفات بلغت نحو مائة وثلاثين مؤلفاً فى فروع علمية مختلفة ، فى اللغة والنحو ، والأصول ، والزهد والأدب . ومن هذه المؤلفات .

١ - الإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين .

٢ - الإغراب فى جدل الإعراب .

٣ - غريب إعراب القرآن .

٤ - حواشى الإيضاح .

٥ - مسألة دخول الشرط على الشرط .

٦ - البلغة فى القرن بين المذكر والمؤنث .

٧ - تصرفات لو .

٨ - شفاء السائل فى بيان رتبة الفاعل .

٩ - ديوان اللغة .

١٠ - زينة الفضلاء فى الفرق بين الضاد والظاء .

١١- البلغة في أساليب اللغة .

١٢- الأضداد .

١٣- النوادر

١٤- هداية المذاهب في معرفة المذاهب .

١٥- الجوهرة في نسب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه العشرة .

١٦ - نكت المجالس في الوعظ .

١٧- أصول الفصول في التصوف .

١٨ - اللمعة في صنعة الشعر .

١٩- شرح ديوان المتنبي .

٢٠ - شرح الحماسة .

٢١ - شرح السبع الطوال

٢٢- شرح مقصورة ابن وريد .

كما كان ابن الأنباري شاعراً ، وقد أوردت كتب التراجم بعضاً من هذا الشعر . من ذلك قوله (البيط) .

إذ ذكرتُك كاد الشوقُ يقتلني	وأرقّتنني أحزانٌ وأوجاعُ
وصار كلُّي قلباً فيك داميةً	للسقم فيها وللإلامِ إسرَاعُ
فإن نطقتَ فكلّى فيك السنةُ	وإن سمعتَ فكلّى فيك أسمعُ

وكذلك قوله (الكامل)

العِلْمُ أوفى حليّةٍ ولباسٍ	والعقلُ أوفى جَنَّةِ الأكياسِ
كُن طالباً للعلمِ نحىً فإنما	جهلُ الفتى كالموتِ في الأرماسِ
وصُنْ العلومِ عن المطامعِ كلها	لتسري بأن العزِ عزّ الياسِ
والعلمُ ثوبٌ والعفافُ طِرازُهُ	ومطامعُ الإنسانِ كالآوناسِ
والعلمُ نورٌ يهتدى بضياؤه	وبه يسود الناسُ فوق الناسِ

وفاته :

كانت وفاة ابن الأنباري رحمة الله ليلة الجمعة التاسع من شعبان عام ٥٧٧ هجرية عن أربع وستين سنة . ودُفن بباب أبرز ، إحدى مقابر بغداد ، بترية الشيخ أبي إسحاق الشيرازي^(١) .

٢ - كتاب البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري

كتاب البيان كتاب يهتم بعرض الأوجه الغريبة في إعراب القرآن الكريم ، وهو يقع في جزئين كبيرين ، حققه الدكتور / طه عبد الحميد طه - رحمه الله - يضم الجزء الأول عشر سور ، تبدأ بالفاتحة وتنتهي بيونس ، ويضم الجزء الثاني ، وهو أكبر من الأول ، باقى سور القرآن الكريم .

ومن أهم ملامح منهج ابن الأنباري في هذا الكتاب ما يأتي :

١ - لا يكتفى بعرض هذه الأوجه الغريبة في إعراب بعض كلام القرآن ، وإنما يتعقبها بالبيان والإيضاح ، لأن هذه الأوجه قد تكون عامة أو مبهمة ، فتوضيحها أمر ضروري ، ويبين موقفه منها . من ذلك مثلاً تعليقه على كلمة (يوم) في قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ سورة البقرة : آية ٤٨ .

«يوماً منصوب لأنه مفعول (اتقوا) لاعلى الظرف؛ لأنه كان يوجب تكليفهم يوم القيامة، وليس المعنى كذلك، وإنما المعنى: واتقوا عذاب يوم .

(١) انظر في ترجمة ابن الأنباري السابقة المصادر الآتية :

البدلية والنهاية ١٢/ ٣١٠ وطبقات الشافعية ٢/ ١٠ والوافي بالوفيات ١٨/ ٢٤٧-٢٥٠ وفوات الوفيات ٢/ ٢٩٢-٢٩٥ وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١١٣ - ١١٥ وشذرات الذهب في أخبار من ذهب ٢/ ٢٥٨ - ٢٥٩ وبنية الوعاة ٢/ ٨٦ - ٨٨ والكنى والألقاب ١/ ١٩ ومعجم المؤلفين ٥/ ١٨٣ ومقدمة محقق كتاب البيان في غريب إعراب القرآن ١/ ١٨-٥ .

فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، كقوله تعالى : ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ
الْآزِفَةِ﴾ (سورة غافر : آية ١٨) أى عذاب يوم الآزفة ، أى : القيامة^(١) .

٢ - يهتم ابن الأنبارى فى أثناء عرضه لغريب إعراب القرآن بذكر الآراء
النحوية، وبخاصة آراء البصرة والكوفة، باختصار، ويحيل القارئ إلى
تفصيل ذلك فى كتابه (الإنصاف فى مسائل الخلاف) .

من ذلك مثلاً تعليقه على قوله تعالى إن بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« اختلف النحويون فى موضع الجار والمجرور على جهتين . فذهب
البصريون إلى أنه فى موضع رفع ، لأنه خبر مبتدأ محذوف ، وتقديره :
ابتدأنى بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أى : كائن بسم الله . ولا يجوز أن يكون
متعلقاً بالمصدر؛ لثلا يبقى المبتدأ بلا خبر .

وذهب الكوفيون إلى أنه فى موضع نصب بفعل مقدر ، وتقديره : ابتدأت
بسم الله .

وكذلك اختلفوا فى اشتقاق الاسم ، فذهب البصريون إلى أنه مشتق من
السمو وهو العلو . وذهب الكوفيون إلى أنه مشتق من السوسم . وهو
العلامة . والصحيح مذهب إليه البصريون . وقد بيناه فى كتابنا الموسوم
بالإنصاف فى مسائل الخلاف وغيره من كتبنا^(٢) .

ونبه إلى أن ابن الأنبارى لا يتعرض لإعراب كل كلمة فى القرآن الكريم،
وإنما ليكون تعرضه لما يحتاج منها إلى إعراب، وقد اختلف فى إعرابها، أما
الكلمات التى لا تحتاج إلى إعمال فكر فقد تركها .

٣ - ليتعرض كثيراً لبيان أصل بعض الكلمات القرآنية ، من ذلك مثلاً لفظ
الجلالة (الله) فذكر أنه اختلف فى أصله على النحو التالى :

(٢) البيان ١ / ٣١ - ٣٢ .

(١) البيان ١ / ٨٠ .

ف قيل : أصله (إلاه) من (أله) إذا عُدَّ ، وهو مصدر بمعنى مألوه ، أى معبود ، كقولهم : خلق الله ، بمعنى : مخلوق الله .

وقيل : من (ألَهتُ) أى تحيرت ، وسمى (إلهاً) لتحير العقول فى كنه ذاته وصفاته ، ثم دخلت عليه الألف واللام ، وحذفت الهمزة وألقت حركتها على اللام الأولى ، فاجتمعت لآمان فسكنت الأولى وأدغمت فى الثانية .

وقيل : أصله (ولاه) من الولَّه ، لأنه يؤلَّه إليه فى الحوائج وأبدلوا من الواو المكسورة همزة ، كقولهم فى وشاح : إشاح ، وفى وسادة : إسادة ، ثم أدخلوا الألف واللام وحذفوا الهمزة وأدغموا السلامان كما فى الوجه السابق ... «^(١)» .

٤ - يذكر ابن الأنبارى الظواهر الصوتية الخاصة ببعض الكلمات ، فيردها إلى أصولها ، ويتبع ما طرأ عليها من مراحل صوتية حتى وصلت إلى الصورة المنطوقة أو المستعملة . من ذلك مثلاً تعليقه على كلمة (يُودُّ) فى قوله تعالى : ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ «سورة البقرة : آية ١٠٥» .

«يود أصله (يُودُّ) لأنه مضارع (وَدَدْتُ) إلا أنه نقلت الفتحة عن الدال الأولى إلى ما قبلها ، فسكنت وأدغمت فى الدال الثانية»^(٢) .

وكذلك قوله عن (بيت طائفة) فى قوله تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ «سورة النساء : آية ٨١» .

«قرئ (بَيَّتَ طائفةً) بسكون التاء والإدغام و(بَيَّتَ) بتاء مفتوحة غير مدغمة . فاما من قرأ (بَيَّتَ طائفةً) بسكون التاء مدغمة فأصلها (بَيَّتَ) بتاءين : تاء

(١) السابق ٣٣/٣٢/١ .

(٢) البيان ١ / ١٠٥ .

التأنيث ، وتاء هي لام الكلمة ، فحذفت التاء التي هي لام الكلمة كراهبة لإجماع المثليين . ومن قرأ (بَيَّتَ) بفتح التاء جعلها لام الكلمة ولم يأت بعلامة التأنيث ، وذكر الفعل لتقدمه وأن تأنيث الفاعل غير حقيقي^(١) .

٥ - يتعرض لذكر القراءات لبعض كلمات القرآن الكريم، ويوجهها ويتخذ منها موقفاً . من ذلك مثلاً تعليقه على كلمة (الصابئين) في قوله تعالى : ﴿وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ «سورة البقرة : آية ٦٢» .

«قُرِئَ بالهمز وتركه . فمن قرأ بالهمز أتى به على الأصل ؛ لأنه مأخوذ من قولهم : صبا ناب البعير ، إذا خرج . والصابئون جمع صابئ ، وهو الخارج عن الدين . ومن ترك الهمز حذفه استئثقالاً طلباً للتحقيق . وهذا الحذف على خلاف القياس»^(٢) .

ويلاحظ أنه في هذه القراءات نادراً ما يعزوها إلى قرائها ، فقد عرض في الجزء الأول مثلاً نسبة القراءات لأصحابها في ستة مواضع فقط، وذلك على كثرة القراءات في هذا الجزء ، وهؤلاء القراء الستة هم : أبو عمرو ١٦٦/١ والحسن وابن مجاهد ١٩٣/١ و ٢٠٦ وابن كثير ٢٠٨/١ وابن عامر ٣٤٣/١ و ٣٤٨ وأبى ٣٥٩/١ .

٦ - يشهد ابن الأنباري على موقفه من أى قضية من القضايا التي يعرضها أو أى موقف من المواقف بكلام العرب . من ذلك مثلاً قوله عن (إياك) .
ومن العرب من يبدل الهمزة في (إياك) هاء ، فيقول (هياك) قال الشاعر :

فَهَيَّاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعَتْ مَوَارِدُهُ ضَاغَتْ عَلَيْهِ الْمَصَادِرُ

(٢) البيان ١ / ٨٨ .

(١) السابق ١ / ١١٦ .

أراد : إياك .

وقال آخر :

يا خالٍ هلا قلتَ إذ أعطيتني هَيَّاكَ هَيَّاكَ وضواء العنق .

أراد : إياك .

وهم يفعلون ذلك ، فإنهم يقولون في إِبْرِيَّة : هِبْرِيَّة وهو الخزاز في
الرأسل ، وفي أرحس الدابة : هرحت ، وفي أثرتُ الشوب : هَنَرْتُهُ ، وقالوا
مُهَيِّمِن وأصله : مُؤَيِّمِن ، إلى غير ذلك ^(١) .

وكذلك أيضاً يستشهد بالقرآن الكريم ولغات العرب .

وأخيراً . يلاحظ أن ابن الأنباري في هذا الكتاب يتمتع بثقافة عامة،
تشمل مجالات عدة : لغوية ، وأدبية ، وفقهية ، وكذلك علمه بالتفسير
والحديث الشريف . ويبدو أن هذا الكتاب والله أعلم - من آخر ما ألف ،
حيث أودعه خلاصة علمه وخبرته في المجالات السابقة .

(١) البيان ١ / ٣٧ .

الظواهر الصوتية

القسم الأول : الإعلال

القسم الثانى : الإدغام

القسم الثالث : تخفيف الهمزة

القسم الرابع : تخفيف الحرف الثانى بحذف حركته فى

الكلمات الثلاثية

القسم الخامس : التقاء الساكنين

القسم الأول : الإعلال

الإعلال : هو تغيير حرف العلة ، أى الألف والواو والياء ، بالقلب أو الحذف أو الإسكان .

والإعلال ينقسم إلى ثلاثة أقسام بحسب وروده فى كتاب البيان فى غريب إعراب القرآن لابن الأنبارى ، هى :

- ١ - الإعلال بالقلب .
- ٢ - الإعلال بالنقل .
- ٣ - الإعلال بالحذف . وفيما يلى عرض هذه الأقسام .

أولاً : الإعلال بالقلب

يتناول الإعلال بالقلب كما ورد فى كتاب البيان ستة أنواع ، هى :

- ١ - قلب الواو ياء .
- ٢ - قلب الياء واواً .
- ٣ - قلب الواو والياء ألفاً .
- ٤ - قلب الواو والياء همزة .
- ٥ - قلب الواو تاء .
- ٦ - قلب الألف ياء . وفيما يلى بيان ذلك :

(١) قلب الواو ياء :

تقلب الواو ياء فى ثلاثة مواضع ؟ هى :

١ - إذا سكنت وانكسر ما قبلها :

يقول : ابن الأنباري تعليقاً على قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾
سورة الفاتحة : آية ٥٥ .

«أصل نستعين : (نَسْتَعِينُ) نستعمل من العون ، فنقلت الكسرة من الواو إلى ما قبلها ، فسكنت الواو وانكسر ما قبلها ، فقلبت ياء ، نحو : ميعاد وميزان وميقات ، وأصلها : مَوْعَادٌ وَمِوزَانٌ وَمِوَقَاتٌ ، لأنها من الوعد والوزن والوقت»^(١) .

ويقول في موضع آخر تعليقاً على قوله تعالى : «اهدنا بالصراط المستقيم»
الفاتحة « المستقيم أصله : (مُسْتَقِيمٌ) فنقلت الكسرة إلى ما قبلها فسكنت الواو وانكسر ما قبلها ، فقلبت ياء على ما بينا في نستعين»^(٢) .

وهناك مرحلة أخيرة لم يذكرها ابن الأنباري ، وهي تحول هذه الياء الساكنة إلى حرف مد ، وهذه هي الصورة المنطوقة ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن ابن الأنباري وغيره من القدماء يعتبرون الياء المسبوقة بكسرة ، وكذلك الواو المسبوقة بضمة ، والألف المسبوقة بفتحة حروف مد ، ويعتبرونها حروفاً ساكنة . وهنا مخالف لما عليه علم اللغة الحديث ، لأن حروف المد حركات طويلة للحروف التي تسبقها وليست هناك حركات قصيرة من جنس هذه الحروف تسبقها ، ذلك أن الحركة الطويلة تعد بمثابة حركتين قصيرتين ، فلا يتصور أن يكون الحرف محركاً بثلاث حركات .

ويرى ابن جني أن الكسرة هي السبب في قلب الواو ياء فيما سبق ، مع أن الحركة أضعف من الحرف . وقد قويت الحركة ، لأن الحرف إذا سكن ضعف ومات ، من هنا تغلبت الكسرة على الواو فقلبتها ياء»^(٣) .

(٢) البيان ٣٩/١

(١) البيان ٣٨/١

(٣) سر صناعة الإعراب ٢٣٤/٢ وانظر كذلك : شرح التصريف ٣/٢ .

ويرى ابن يعيش أن الواو قد قلبت ياء لتشبه ألف المد، وذلك أن الياء عندما تكون ساكنة ومسبوقة بحركة من جنسها وهى الكسرة فإنها تصير حرف مد، وتشبه فى هذه الحالة ألف المد المسبوقة بحركة من جنسها وهى الألف^(١) .

وأرى أن ما حدث للمثالين السابقين بعد نقل حركة الواو إلى الساكن الذى قبلها يرجع إلى قانون المماثلة الصوتية Assimilation، فالواو وقعت فى نهاية مقطع مغلق (ص ح ص) وسبقت بكسرة، فمائلت الكسرة فقلبت ياء (مماثلة تقدمية) . وبذلك يحدث الانسجام بين الكسرة والياء، ثم بعد ذلك مائلت الياء الساكنة الكسرة السابقة عليها فقلبت كسرة مثلها، ثم تحولت الكسرتان القصيرتان إلى كسرة طويلة^(٢) .

ويمكن تطبيق ذلك صوتياً على نستعين ومستقيم على النحو التالى :

١ - ن - س ت - ع - و - ن - < ن - س ت - ع - و - ن - < ن - س ت
ع - ي - ن - < ن - س ت - ع - / - ن - < ن - س ت - ع - -
ن -

٢ - م - س ت - ق - و - م - ن - < م - س ت - ق - و - م - ن - < م - س
ت - ق - ي - م - ن - < م - س ت - ق - / - م - ن - < م - س ت
ق - - م - ن

٢ - تقلب ياء شذوذاً إذا حركت بالفتحة وسبقت بالكسرة .

يقول ابن الأنبارى تعليقاً على قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ «سورة الأنعام: آية ١٦١» .

(١) شرح الفصل ١٠ / ٣٠ .

(٢) انظر تفصيل قانون المماثلة على مايشبه هذين المثالين فى مدخل فى الصوتيات ١٨٣ - ١٨٤ ودراسات فى علم أصوات العربية ١٩ و ٢٣ .

«قَرئَ (قِيَمًا)»^(١) بالتخفيف على فَعَلَ ، أى ، دِينًا ذا استقامة ، فكان القياس أن يأتى بالواو ، فتقول (قَوْمًا) نحو : حَوَكَ وَعَوَّضَ ، إلا أنه جاء شاذًا عن القياس^(٢) .

ويرجع السبب فى هذا الشذوذ فى القياس إلى أن الواو إذا حركت صارت حرفاً قوياً ، وأصبحت مثل الحروف الصحيحة ، ومن ثم لا تستطيع الكسرة فى هذه الحالة أن تجذبها إليها ، فجاز هنا مخالفة الواو ما قبلها من الحركات كالعوض والطوك . والأمر كذلك بالنسبة للياء عندما تحرك بالفتحة وتسبق بالضمّة ، فتبقى كما هى ، كالغَيْرُ جمع غيور^(٣) .

ويرى الرضى أن (عَوَّضَ) ونحوه لم تقلب فيه الواو ياء لأنه ليس بمصدر ، بينما قلبت فى قوله تعالى : دِينًا قِيَمًا^(٤) لأنه فى الأصل مصدر .

وشرح محققو شرح الشافية رأى الرضى السابق ، فبينوا أن (قِيَمًا) فى الأصل مصدر قام ، مثل : الصَّغَرُ والكِبَرُ ، وقد أُعْلِتِ الواو لأنها تُعَلُّ فى المصدر والجمع بقلبها ياء ، ثم نقل من المصدرية إلى الوصفية ، فوصف به فى الآية كما يوصف بالمصادر من أمثال : عَدَلَ وِرَضَى وَعَوَّرَ كما فى قوله تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ سورة الملك : آية ٣٠ ، وأبقى على أصله من الإعلال^(٥) .

ورأى أن قلب الواو ياء فى (قِيَمًا) من باب الحمل على قلب الواو الساكنة ياء إذا سبقت بكسرة ، وهذه مرحلة متأخرة ، والمرحلة المتقدمة تتمثل فى الإبقاء على هذه الواو دون قلب لتحركها كما فى عَوَّضَ وَحَوَكَ وطوك وغيرها .

(١) هذه قراءة ابن عامر وعاصم وحزمة والكسائى وعلف والأعمش لله معجم القراءات ٥٩٩/٢ .

(٢) البيان ٣٥١/١ .

(٣) سر صناعة الإعراب ١ / ٣٥ .

(٤) شرح الشافية ١٣٧/٣ - ١٣٨ .

٣ - تقلب ياء إذا اجتمعت مع ياء وسبقت إحداهما بالسكون، ثم يدغمان .

يقول ابن الأنباري تعليقا على قوله تعالى السابق : ﴿دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ سورة الأنعام : آية ١٦٦ .

﴿قُرِئَ (قِيَمًا)^(١) بالتشديد . أصله : (قَيِّوم) على وزن فَيْعِل ، إلا أنه لما اجتمعت الياء والواو والسابق منهما ساكن ، فقلبت الواو ياء وجعلتا ياء مشددة^(٢) .

ويرى علماء الصرف أن الواو والياء وإن لم يتقاربا في المخرج حتى يدغم أحدهما في الآخر ، لكن لما اجتمعا حدث ثقل ، فكان لابد من التخفيف ، فكان التخفيف بالإدغام ، والذي سهل ذلك كونهما من حروف المد واللين وأنهما أكثر دورانا في الكلام من غيرهما من سائر الحروف ، والذي سوغ هذا التخفيف الإدغامي كون أولهما ساكنا لأن شرط الإدغام سكون أول الحرفين ، وحتى يحدث الإدغام قلبت الواو ياء ، وإن كان القياس في إدغام المتقاربين قلب الأول إلى الثاني لا العكس ، أى كان يجب في كلمة (قيوم) أن تقلب الياء إلى الواو ، ولم يحدث هذا وحدث العكس وهو قلب الواو ياء لسببين ، الأول : أن الياء أخف من الواو ، ولو قلبت الياء إلى الواو لصارا واوا مضعفة وهذا غاية في الثقل ، بل هو أثقل من اجتماع الواو والياء .

والثاني : أنهم قد قلبوا ليدغموا والإدغام في حروف الفم أقوى لكثرتها ، والياء من الفم والواو من حروف الشفة ، وهى قليلة والإدغام فيها أضعف^(٣) .

ورأى أن ما حدث للمثال السابق (قَيِّم) وأصله (قَيِّوم) يرجع إلى قانون

(١) هذه قراءة ابن كثير ونافع ولبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب (معجم القراءات ٢ / ٦٠٠)

(٢) البيان ٣٥١ / ١ .

(٣) انظر في ذلك : سر صناعة الإعراب ٢ / ٢٣٤ وشرح التصريف ٤٧٥ وشرح القمصل ٢٣ / ١٠ وشرح

الشافية ٣ / ١٣٩ - ١٤٠ .

المماثلة ، فالواو ماثلت الياء ، والذي سهل ذلك كونها سُبِقَتْ بياء كما أنها محرّكة بالكسرة والكسرة من جنس الياء ، فكانها بذلك بين ياءين ، فالتقت حيثنّ ياءان ، والأولى منهما ساكنة ، فأدغمت في الثانية .

ق - ي < و - م - نُ ن < ق - ي / ي - م - نُ ن < ق - ي - ي - م - نُ ن .

(٢) قلب الياء واوا

تقلب الياء واوا في موضعين، هما :

١ - إذا سكنت وسبقت بضمة .

يقول ابن الأنباري تعليقا على قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ سورة البقرة : آية ٤٤ .

«قوله تعالى : (يوقنون) أصله (يُؤَقِنُونَ) على وزن يُؤَفْعِلُونَ من اليقين ، يقال : أَيقَنَ يُوَقِّنُ ، وأصله (يُؤَيِّقِنُ) فحذفت الهمزة ، فبقيت الياء ساكنة مضمومة ما قبلها ، فقلبت واوا ، كقولهم : مُوسِرٌ وأصله : مُوسِرٌ لأنه من اليسر ، إلا أنه لما وقعت الياء ساكنة مضمومة ما قبلها قلبت واوا ، وكذلك : مُوقِنٌ ، أصله : مُيَقِّنٌ ، فقلبت الياء منه واوا لما بينا ، وهذا قياس مطرد في كل ياء ساكنة قبلها ضمة ، ونظائره كثيرة»^(١) .

يفهم من كلام ابن الأنباري السابق أن العلة في قلب الياء واوا أنها وقعت ساكنة إثر ضمة ، وذلك نحو : مُوسِرٌ ، والأصل : مُوسِرٌ وقعت الياء ساكنة مسبوقة بضمة فقلبت واوا ، يقصد واو المد ، وهناك مرحلة وسطى لم يذكرها ، وهي تحول هذه الياء الساكنة إلى واو ساكنة مثلها ، ولعل السر في إغفاله ذكرها يرجع إلى أن حرف المد في نظره ونظر غيره من علماء العربية القدامى حرف

(١) البيان ٤٨/١ .

ساكن مسبوق بحركة من جنسه ، أما هو في علم اللغة الحديث فحركة طويلة غير مسبوقه بحركة من جنسها ، وليس حرفاً ساكناً .

ويرى ابن جنى أن السر في وجوب قلب الياء الساكنة واواً إذا انضم ما قبلها، أنها لما سكنت ضَعُفَتْ، فقويت الضمة عليها ، فقلبتا واواً، كما قويت الكسرة على الواو الساكنة فقلبتا ياء كما في ميزان ونحوها والاصل: (مِوزان) كما يرى أن الياء إذا تحركت لم تقو عليها الضمة، لأنها صارت حيثئذ حرفاً قوياً ، نحو : مُيِّقِن ، وهذا هو حال الواو كذلك كما في نحو : حِرْك وطرُوك^(١) .

ويستطرد في بيان سبب قلب الياء واواً ، فيذكر أن الحركات أبعاضُ حروف المد واللين ، فالفتحة بعضُ الألف والكسرة بعضُ الياء والضمة بعضُ الواو، والدليل على ذلك أننا لو أشبعنا هذه الحركات، أى أطلنا نطقها، لحدث بعدها الحرف الذي هي منه، ويتابع كلامه فيذكر أنك إذا بدأت بالضمة فكأنك بدأت ببعض الواو، لأن الضمة بعضها كما سبق أن ذُكر، وإذا جاء بعدها ياء فيكون ذلك أمراً غير متوقع؛ لأن المتوقع أن يلي الضمة واو لا ياء ؛ لأن بين الضمة والياء مخالفة، لأجل ذلك قلبت الياء واواً ليحدث الانسجام^(٢) .

وأرى أن قلب الياء واواً يعود إلى قانون المماثلة ، حيث وقعت الياء الساكنة في نهاية مقطع مغلق (ص ح ص) فماثلت الياء والضمة السابقة عليها (مماثلة تقديمية) فقلبت واواً ، ثم ماثلت الواو الضمة السابقة عليها فقلبت ضمة مثلها ، فالتقت ضمتان قصيرتان فأنجزتا ضمة طويلة^(٣) . ويمكن كتابة ما حدث لموقن وموسر صوتياً على النحو التالي :

(١) المنصف ١/ ٢٢١ .

(٢) سر الصناعة ١/ ٣٣ - ٣٥ .

(٣) انظر هذا القانون في : مدخل في الصريات ١٨٣ - ١٨٤

• م - يُ ق - ن - ن < م - و ق - ن - ن < م - / - ق - ن - ن < ن < م - / - ق - ن - ن .

• م - يُ س - ر - ر < م - و س - ر - ر < م - / - س - ر - ر < ن < م - / - س - ر - ر .

٢ - إذا وقعت لهما لاسم على وزن فَعَلَى .

يقول ابن الأنباري تعليقا على قوله تعالى : ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾

«سورة المائدة : آية ٨» .

«التقوى : مؤنثة ، وأصلها : (وَقِيًا) لأنها من وقيت ، إلا أنهم أبدلوا من الواو تاء ، كما قالوا : تُجَاه وتُرَاث وتهمة وتُخَمَّة ، وأبدلوا من الياء واوا ؛ لأن كل ما كان اسماً ولامه ياء وهو على (فَعَلَى) فإنه تقلب ياءه واوا كالبَقْوَى من : بقيت ، والشرْوَى من : شربت ، والرَّعْوَى من : رعيت ، كما يقلبون ما كان وصفاً على (فَعَلَى) ولامه واو أو ياء ، كالـدُنْيَا من : دنوت ، والعلياء من : علوت . وإنما فعلوا ذلك لضرب من التقاص والتعويض ، وحملوا بنات الياء على الواو وبنات الواو على الياء لما يجمعهما من النسب في الإعلال والغنة»^(١) .

يفهم من كلام ابن الأنباري السابق أن قلب الياء واوا لا يكون إلا في الاسم الذي على وزن (فَعَلَى)، ولا يكون في الصفة التي على الوزن نفسه ، فكان السبب على ذلك التفرقة بين الاسم والصفة^(٢) ، ويرجع السبب في

(١) ستمالغ ذلك عند الحديث عن قلب الواو تاء .

(٢) البيان ١ / ٢٨٥ .

(٣) لا يلزم التفريق بين الاسم والصفة فيما كانت لامة واوا ، فقول في الاسم : دهوى وحلوى، وفي الصفة : شهوى وتشوى ، فالجميع بالواو (شرح المفصل ١٠ / ١١٢) ولم تقلب الواو ياء : « لاحتل أول الكلمة وآخرها بالفتحة والواو ، فلو قلبت ياء لصار طرعا الكلمة ضعيفين » .

اختصاص الاسم بذلك دون الصفة، أن الواو كما يقول ابن يعيش: «مستقلة والصفة أثقل من الاسم، إذ كانت في معنى الفعل، فلم تزد ثِقَلًا بالواو، وحيث كان الاسم أخف عليهم جعلوه بالواو ليعادل ثقل السواو وثقل الصفة».

ويستطرد مبيناً اختصاص اللام بذلك دون الفاء والعين، فيقول: «واختصوا بذلك اللام دون الفاء والعين لضعفها وتأخرها، والضعيف مطموع فيه»^(١).

كما يفهم كذلك من كلام ابن الأنباري أن قلب الياء واواً فيما كان على (فُعَلَى) من الأسماء محمول على قلب الواو ياء فيما كان على (فَعَلَى) من الصفات، كالدنيا وأصلها: الدُّنْوَى، من: دَنَوْتُ، والعليا وأصلها: العُلُوَّى، من: عَلَوْتُ. فحملت الكلمات التي آخرها ياء على ما آخرها واو وما كان آخرها واواً على ما آخرها ياء، وذلك لاشتراك الواو والياء في الإعلال والغنة.

(٣) قلب الواو والياء ألفاً

١ - عن قلب الواو ألفاً، يقول ابن الأنباري تعليقاً على قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ سورة البقرة: آية ١٧.

«أضاءت أصلة: (أضوأت) لأنه من الضوء، إلا أنهم نقلوا فتحة الواو إلى ما قبلها، وقلبت ألفاً لتحركها في الأصل وانفتاح ما قبلها الآن، فصارت: أضاءت»^(٢).

(١) شرح المفصل ١١١/١٠ - ١١٢.

(٢) البيان ١ / ٥٩.

● ويقول في موضع آخر معلقاً على قوله تعالى : «فَذَبِّحُوا مَا كَادُوا يَفْعَلُونَ» سورة البقرة : آية ٧١ « أصل كاد يكاد : (كَوَدَ يَكُوْدُ) مثل : خاف يخاف، أصله : خَوِفَ يَخْوَفُ ، فقلبت الواو في الماضي ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، وقلبت في المضارع ألفاً ، لأنهم نقلوا حركتها إلى ما قبلها فتحركت في الأصل وانفتح ما قبلها الآن »^(١) .

٢ - وعن قلب الياء ألفاً ، يقول تعليقاً على قوله تعالى : «إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ» سورة البقرة : آية ٢٤٨ .

« آيَة فيها أربعة أوجه : أحدها : أن يكون أصلها : (آيَة) عينها ياء ولامها ياء ، فقلبت العين التي هي الياء الأولى ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ... »^(٢) .

● كما يقول عن لغة بنى الحارث بن كعب الذين يقلبون الياء ألفاً في التنية وإن كانت ساكنة : «يقولون : مررت برجلان ، وقبضت منه درهماً . فيقلبون الياء ألفاً لانفتاح ما قبلها فقط ، ولايعتبرون حركتها في نفسها ، فيكتفون في القلب بأحد الشرطين ... وهذا إنما حكي عنهم في التنية »^(٣) .

من خلال ما سبق نستطيع أن نقول : إن انقلاب الواو والياء ألفاً عند ابن الأنباري مشروط بـ :

● أن تتحرك الواو أو الياء^(٤) ، ويُفتح ما قبلها ، وقد تكون الحركة فيها

(١) السابق ٦١ / ٦٢ . (٢) السابق ١٦٦ / ١ . (٣) السابق ٣٠٠ / ١ - ٣٠٠ .

(٤) يشترط في هذه الحركة أن تكون أصلية ليست مقولة من غيرها إليهما ، كما في : لَوِ أَنَّهُمْ فِي : لَوِ أَنَّهُمْ ، ولا في قوله تعالى : « اشْرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى » سورة البقرة : آية ١٦ أو في قوله تعالى : « تَتَرَوْنَ الْجَنِّيمَ » سورة التكاثر : آية ٧٧ فحركة الواو في الآيتين بسبب النقاء الساكنين . (شرح التصريف) . (٢٩٥)

ظاهرة، وهذا واضح فى الفعل الماضى : كاد وأصله (كَوَدَ) وآية وأصلها : (آيَّة) وكذلك قام وباع وأصلها : (قَوْمَ) (يَبِع) وقد تكون حركتهما باعتبار الأصل ، أى ليست ظاهرة، وإنما نقلت إلى الحرف الساكن الذى قبلها فصار متحركاً ، وحتى يكون تحريكه سبباً لقلب الواو أو الياء ألفاً ، وهذا واضح فى مضارع كاد، وهو : يكاد ، وأصله (يَكُوْدُ) والذى تحول بعد ذلك إلى : (يَكُوْدُ) ثم أخيراً إلى : (يكاد) و الأمر كذلك بالنسبة للمضارع المبني للمجهول : يُبَاعُ ، وأصله : (يُبِيعُ) الذى تحول إلى : (يُبِيعُ) ثم أخيراً إلى : (يُبَاعُ) .

أما فى لغة بنى الحارث من كعب فإنهم يقلبون الياء فى المثنى ألفاً دائماً وإن كانت ساكنة ، اكتفاء بشرط واحد فقط ، وهو فتح ما قبلها ، كما فى قولهم : مررت برجلان ، والأصل : حررت برجلين .

واشترط الصرفيون شرطين آخرين إضافة إلى الشرط المتقدم الذى ذكره ابن الأثير :

الأول : أن تكون الواو والياء عيين أو لامين ، ولم يُقَلَّبَا فاءين كما فى : أَوْدُ ، وأَيْلٌ . والثانى : ألا يكون قبلهما ولا بعدها ساكن^(١) .

والسبب فى قلب الواو والياء ألفاً كما يرى ابن جنى يرجع إلى اجتماع ثلاثة أشياء متجانسة، هى : الفتحة < والواو أو الياء ، وحركة الواو أو الياء ، فهربوا من الواو والياء إلى لفظ تؤمن فيه الحركة وهو الألف وسوغها انفتاح ما قبلها، ويقصد بقوله : إلى لفظ تؤمن فيه الحركة ، أن حركة الفتح التى تسبق الألف لن تقلبها إلى حرف آخر^(٢) .

(١) شرح التصريف ٢٩١ وشرح الشافية ٩٥/٣

(٢) سر الصناعة ١ / ٣٧ .

ويرى ابن جنى أن أصول الماضى والمضارع من الأفعال المعتلة أصول مفترضة محمولة على نفاذها من الأفعال الصحيحة ، كما أن تلك الأصول المفترضة لاتعنى أن العرب قد نطقت بها يوماً ما وإن كان بعضها قد نطق به ، كما فى قولهم : استنوق الجمل ، أى صار مستذلاً كالناقة . يقول : « وينبغى أن يُعلم أنه ليس معنى قولنا : إنه كان الأصل فى قام وباع : (قَوْمَ وَيَّعَ) وفى أخاف وأقام : (أَخَوْفَ وَأَقَوْمَ) وفى استعان واستقام : (اسْتَعَوْنَ واسْتَقَوْمَ) أننا نريد به أنهم قد كانوا نطقوا مدة من الزمن بقوم وبيع ونحوهما مما هو مُغيَّر ثم إنهم أضربوا عن ذلك فيما بعد .

وإنما نريد بذلك أن هذا لو نطق به على مايوجهه القياس بالحمل على أمثاله لقيل : قَوْمَ وَيَّعَ واسْتَقَوْمَ واسْتَعَوْنَ . ألا ترى أن استقام بوزن استخرج ، فقياسه أن يكون اسْتَقَوْمَ ، إلا أن الواو قلبت ألفاً لتحركها الآن وانفتاح ما قبلها فى الأصل ، أعنى : قوم ، ويدل على ذلك أيضاً ما يخرج من المعتلات على أصله ، ألا ترى إلى قولهم : اسْتَرَوْحَ واسْتَنَوَّحَ الجمل واستَيْسَتِ الشاة ، فدل ذلك على أن أصل استقام : اسْتَقَوْمَ ، وقال الشاعر :

صَدَدْتُ فَأَطَوَلْتُ الصَّدُودَ وَقَلَمًا وَصَالَ عَلَى طُولِ الصَّدُودِ يَدُومُ

فقول : (أَطَوَلْتُ) يدل على أن أصل : أخاف (أَخَوْفَ) وقد قالوا : أطل ، وقالوا أَحَوَّجْتُ زيدا إلى كذا وكذا ، وَأَغْيَلَّتِ المرأةَ وغير ذلك .

فهذا الأشياء الشاذة إنما خرجت على التنبيه على أصول ما غير ، وأنه لولا مالحقه من السعلل العارضة لكان سبيله أن يجىء على غير هذه الهيئة المستعملة^(١) .

وأرى أن ماذهب إليه ابن جنى فى هذه الأصول المفترضة صحيح جداً

(١) التصف ١ / ١٩٠ - ١٩١ .

لثلاثة أسباب، أولها : أن لها نظائر من الصحيح ، وثانيها : أن في اللغة بقايا من هذه الأصول ، وثالثها : أن في بعض اللغات السامية ما يدل على هذه الأصول ، ففي الحبشية مثلاً : qawama Qoom : قام^(١) و bayanaṇP^(٢) : تحقق و dayana ʔɛɛɛ^(٣) : دان^(٤) .

وأختلف مع ابن الأنباري وابن جني وغيرهما من القدماء في علة قلب الواو والياء ألفاً لأنه لاعلاقة صوتية بين الواو أو الياء والالف . وعليه فالأصل المفترض للفعلين قام وباع هو : قوم وبيع ، ثم حدث لهما أن حذفت الواو والياء لوقوعهما بين حركتين متماثلتين (من جنس واحد) ثم نتج عن هذا الحذف التقاء حركتين قصيرتين، ثم تحولتا إلى فتحة طويلة .

ق - و - م - < ق - م - < ق - م -

ب - ي - ع - < ب - ع - < ب - ع - ع^(٥) .

ويمكن تطبيق ذلك على الفعل الماضي « كاد » على النحو التالي :

ك - و - د - < ك - و - د - تماثلت حركة الواو مع حركة الكاف

فقلبت فتحة مثلها < ك - و - د - < ك - و - د -

أما في المضارع من الأفعال المعتلة فإنه يعد نقل حركة الواو أو الياء إلى

السكن الذي قبلهما نتج الصوتان المركبان (- و < و > - ي) اللذان تحولتا

إلى (- -) ومن الأمثلة : يكاد وبيع .

(١) المدخل إلى علم الأصوات ٧١ .

(٢) في قواعد الساميات ٣٣٤ .

(٣) انظر تفسير ما حدث لقام وبيع وما أشبههما في : دراسات في علم أصوات العربية ٣٤ ومدخل في

الصوتيات ١٧١ - ١٧٢ .

ي - ك و - د - < ي - ك - و د - < ي - ك - د - د - .
ي - بُ ي - ع - < ي - بُ ي - ع - < ي - بُ ي - ع - .

(٤) قلب الواو والياء همزة .

تقلب الواو والياء همزة في ثلاثة مواضع ، هي :

١ - تقلب الواو والياء همزة إذا وقعنا طرفين بعد الألف الزائدة .

يقول ابن الأنباري عن كلمة (مكاء) في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ [سورة الأنفال : آية ٣٥] .

« الهمزة في (مكاء) بدل من الواو ، وأصله : (مكاءو) لأنه من : مكاء يكو مكاء إذا صفر ، والمكاء : الصغير ، إلا أنه لما وقعت الواو طرفاً وقبلها ألف زائدة قلبت همزة .

وقيل : قُلِبَتِ الْفَاءُ ، ثُمَّ قُلِبَتِ الْأَلِفُ هَمْزَةً لثَلَا يَلْتَقِي سَاكِنَانِ ، وَقُلِبَتِ هَمْزَةٌ لِأَنَّهَا أَقْرَبُ الْحُرُوفِ إِلَيْهَا »^(١) .

● كما يقول في موضع آخر عن كلمة (السماء) إنها : « جمع ، سماء ، كِبْرَةٌ وَبُرٌّ ، وَذَرَّةٌ وَذَرٌّ ، فلما حذفت الهاء انقلبت الواو همزة لوقوعها طرفاً وقبلها ألف زائدة .

وقيل : قُلِبَتِ الْفَاءُ لِأَنَّ الْأَلِفَ الَّتِي قَبْلَهَا زَائِدَةٌ خفيفة ساكنة والحرف الساكن حاجز غير حصين ، فكانها قد تحركت وانفتح ما قبلها فقلبت الفاء ، فاجتمع ساكنان وهما لا يجتمعان ، فَقُلِبَتِ الْمُنْقَلِبَةُ هَمْزَةً لِلِاتِّقَاءِ السَّاكِنَيْنِ وَكَانَ قَبْلِهَا إِلَى الْهَمْزَةِ أَوْلَى لِأَنَّهَا أَقْرَبُ الْحُرُوفِ إِلَيْهَا »^(٢) .

(١) البيان ١/ ٣٨٧

(٢) السابق ١/ ٦٨ - ٦٩ .

يَفْهَم من كلام ابن الأنباري السابق أن هناك اتجاهين في قلب الواو همزة بعد الألف الزائدة :

الأول: أنها قلبت همزة مباشرة، والسبب في ذلك نظرها بعد ألف زائدة .

والثاني : أن الواو قد قَلِبَتْ ألفاً أولاً ، والسبب في هذا : تحركها وانفتاح ما قبلها، والمقصود بالذي قبلها هنا هو الحرف الذي قبل الألف الزائدة . معنى هذا أن الألف هنا لا يُعْتَدُ بها^(١) ؛ لأنها كما ذكر حرف ساكن^(٢) والحرف الساكن حاجز غير حصين^(٣) . وبعد القلب التقى ألفان هكذا : مكا ١ ، وسما ١ ، وهما ساكنان كما أشار ابن الأنباري، واجتماع الساكنين ممنوع في العربية فلا بد من التخلص منهما بالتحريك أو الحذف، ولم تُفَضَّلِ اللغة هنا الحذف ؛ لأن حذف الألف الأولى يُقَوِّتُ المد، وبذلك تصير الكلمة مقصورة بينما المراد المد، وحذف الألف الثانية يُقَوِّتُ لام الكلمة^(٤) . فلم يبق إلا التحريك، ولم تُفَضَّلِ اللغة تحريك الألف الأولى لسببين ، الأول : أن هذه الألف زينت للمد، ولاحظ لها في الحركة . والثاني : أنها لو تحركت لانقلبَت همزة وبعدها ألف ، فتصير الكلمة حيثنذ مقصورة والمراد المد . فحركات الألف الثانية على خلاف الأصل في التحريك عند التقاء الساكنين للسببين السابقين، ولسببين آخرين، أحدهما : أن الألف الثانية لها أصل في الحركة على أساس أنها الحرف الأخير من الكلمة والحرف الأخير يظهر عليه الإعراب . والسبب الآخر : أن هذه

-
- (١) عبر الرضى عن هذه الألف في هذه الحالة بأنها في حكم العدم . شرح الشافعية ١٠١/٣
- (٢) هذا تعبير ابن الأنباري وغيره من القدماء عن الألف وغيرها من حروف المد، وهى في علم اللغة الحديث حركات طويلة .
- (٣) أشار بعض العلماء إلى أن الألف يمكن الاعتماد بها، وفي هذه الحالة تنزل منزلة الفتحة لأنها من جوهر الألف ومن مخرجها ، لذلك قلبوا الواو والياء ألفاً بعدها ، كما يقلبونهما مع الفتحة ، بل قلبهما مع الألف أولى . راجع : سر صناعة الإعراب ١٠٧/١ والمتصف ١٣٧/٢ وشرح المفصل ٩/١٠ .
- (٤) شرح المفصل ٩/١٠ وشرح التصريح ٣٦٨/٢ .

الألف لو تحركت ستصير همزة وقبلها ألف ، وفي هذه الحالة يكون المد الذي أرادوه^(١) .

معنى هذا أن الألف الثانية لما تحركت قلبت همزة ، وكان قلبها إلى الهمزة أولى لأن الهمزة أقرب الحروف إلى الألف .

مكاو < مكا ا < مكاء .

سماو < سما ا < سماء .

فالهزمة بدل من الألف ، والألف يدل من الواو .

وما ذكره ابن الأنباري ينطبق كذلك على الباء المتطرفة بعد الألف

الزائدة كما في نحو ، غطاء ورداء وسقاء على النحو التالي :

غطاء / الاصل : غطاي < غطا ا < غطاء .

رداء / الاصل : ردای < ردا ا < رداء .

سقاء / الاصل : سقای < سقا ا < سقاء .

٢ - تُقَلَّبُ الباء والواو همزة فيما جُمِعَ على «فاعئل» إذا كانت مدتين زائدتين في المفرد .

يقول ابن الأنباري عن كلمة < معايش > في قوله تعالى : «وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ» سورة الاعراف : آية ١٠ .

... ولا يجوز همزها لأن فيها الباء أصلية ، وأصلها في الواحد أن

تكون متحركة ، ولو كانت زائدة أصلها في الواحد السكون ، نحو :

كَيْبِيَّةٌ على فعيلة لهمزت في الجمع ، نحو : كئاب . وقد قرئ

(١) شرح التصريف ٣٣١ .

(معاش^(١)) < بالهمزة على تشبيه الأصلية بالزائدة ، وهى قراءة ضعيفة فى القياس^(٢) .

يفهم مما سبق أن الياء فى المفرد وكذلك الواو تقلبان فى جمع التكسير الذى على زنة (فعائل) همزة بشرط أن تكونا مدتين زائدتين فى المفرد ، أما إذا كانت إحدهما أصلية فلا يجوز همزها فى الجمع .

وأصل قلب حرف المد : (الواو أو الياء) همزة فى الجمع أن يكون القلب لألف المد، ثم حمل عليها واو المد ويائه ، يقول ابن جنى :

«اعلم أن الهمز فى باب (فعائل) إنما أصله لباب : (رسالة وكثانة)؛ وذلك أنك لما جمعت رسالة على فعائل جاءت ألف الجمع ثالثة ووقعت بعدها ألف رسالة، فالتقت ألفان، فلم يكن بد من حذف إحدهما أو تحريكها، فلو حذفت الألف الأولى لبطلت دلالة الجمع، ولو حذفت الثانية لتغير بناء الجمع؛ لأن هذا الجمع لا بد له من أن يكون بعد ألفه الثانية حرف مكسور بينها وبين حرف الإعراب فيكون كمفاعل، ولم يجز أيضاً تحريك الألف الأولى مخافة أن تزول دلالتها على الجمع لأنه إنما تدل عليه مادامت ساكنة على لفظها، ولو حركت أيضاً لانقلبت همزة وزالت دلالة الجمع، فلم يبق إلا تحريك الألف الثانية بالكسر ليكون كعين مفاعل، فلما حركت انقلبت همزة فصارت: (رسائل وكثائن) كما ترى، ثم شبهت الياء فى: (صحيفة) والواو فى: (عجوز) بألف (رسالة) لأن قبل كل واحدة منهما بعضها وهى ساكنة، ففجرتنا من هذا مجرى الألف، وأصل الباب فى هذا الهمزة إنما هو للألف؛ لأنها أقعد فى المد منهما^(٣) .

(١) قرأ بذلك : أسيد عن الأعرج وزييد بن على والأعمش وخارجة بن مصعب عن نافع وحديد بن عمير

وابن عامر فى رواية وأبو جعفر . معجم القراءات ٩/٣ .

(٢) البيان ٣٥٥/١ .

(٣) المصنف ١/٣٢٦ - ٣٢٧ .

غير أنه ورد همز الياء الأصلية في المفرد عند الجمع في كلمات ، منها : معائش ، ومصائب .

١ - معائش : وردت قراءة ل : (معائش) كما ذكر ابن الأنباري في تعليقه السابق على الآية ، ووصف هذه القراءة بأنها ضعيفة في القياس ، أى أن المقروض فيها أن تكون بلا همز ؛ لأن الياء أصلية في المفرد (معيشة) إذ أصلها الحركة : (مَعِيشَة) .

وقد هوجمت هذه القراءة هجوماً عنيفاً لكونها خارجة عن القياس : يقول أبو عثمان المازني : « فأما قراءة من قرأ من أهل المدينة (معائش) بالهمز فهي خطأ ، فلا يلتفت إليها ، وإنما أخذت عن نافع عن أبي نعيم ولم يكن يدرى ما العربية ، وله أحرف يقرؤها لحناً نحواً من هذا»^(١) .

ويقول ابن جني : «قد اختلفت الرواية عن نافع ، فأكثر أصحابه يروى عنه ، (معائش) بلا همز ، والذي روى عنه بالهمز خارجة بن مصعب ، وإنما كان همزها خطأ عنده ؛ لأنها لا تخلو من أن تكون جمع (معاش) أو (معيشة) أو (مَعِيش) فقد قال رؤية :

إليك أشكو شِدَّةَ المَعِيشِ

يريد المعاش . وكل واحد من هذه عنه متحركة في الأصل ، فأصل معاش (مَعِيش) ، وأصل معيشة (مَعِيشَة أو مَعِيشَة) على مذهب الخليل ، وأصل مَعِيش (مَعِيش) مكسور العين ليس غير ؛ لأنه ليس في الأحاد اسم على مفعّل بضم العين»^(٢) .

ويقول الزجاج : «وأكثر القراء على ترك الهمزة في معائش ، وقد رووها

(٢) المتصف ١ / ٣٠٧ ،

(١) السابق ١ / ٣٠٨ .

من نافع مهموزة . وجميع النحويين البصريين يزعمون أن همزها خطأ ، فأما مارواه نافع من (معائش) بالهمزة فلا أعرف له وجهاً ، إلا أن لفظ هذه الياء التي من نفس الكلمة أُسْكِنَ في معيشة فصار على لفظ صحيفة ، فحمل الجمع على ذلك .

ولا أحب القراءة بالهمزة؛ إذ كان أكثر القراء يقرأون بترك الهمز ، ولو كان مما يهمز لجاز تحقيقه وما ترك همزه ، فكيف وهو عما لا أصل له في الهمز ؟ ! وهو كتاب الله عز وجل الذي ينبغي أن يُمَالَ فيه إلى ما عليه الأكثر ؛ لأن القراءة سنة ، فالأولى فيها الاتباع والأولى اتباع الأكثر^(١) .

٢ - مصائب : هوجمت هذه الكلمة كذلك كما هوجمت (معائش) السابقة . يقول أبو حيان :

« وحكى الزجاج عن الأخفش أن الهمزة في مصائب بدل من الواو التي اعتلت في مصيبة . قال : وهذا رديء ، ويلزمه أن يقول : مقائم في المقام ، ومعائن في المعونة »^(٢) .

وهمز هاتين الكلمتين يمكن أن يكون من باب حمل الياء الأصلية في مفرداها على الزائدة في نحو : صحيفة وكتيبة ونحوها ، كما صرح ابن الأنباري من قبل . ويمكن حملهما على التوهم^(٣) كما صرح بذلك سيبويه ، أي أن الذي تكلم بهمزها ظن أن المفرد فيها على زنة (فعية) ، بينما هو في الأصل على زنة (مفعلة) كما في معيشة ، أو (مفعلة) كما في مصيبة .

(١) معجم القراءات ٩/٣ .

(٢) الارتشاف ١ / ٢٦١ .

(٣) مصطلح التوهم عند سيبويه يقابل كذلك مصطلحي : الحمل أو التباس الخطأ . انظر التطور اللغوي

يقول سيويه : « فاما مصائب فإنه غلط منهم ، وذلك أنهم توهموا أن مصيبة فعيلة ، وإنما هي مُفَعَّلَةٌ »^(١) .

٣ - تقلب الواو همزة في حالتين : الأولى : إذا كانت مضمومة . والثانية : إذا كانت مكسورة

١ - إذا كانت مضمومة :

يقول ابن الأنباري عن كلمة (اشترُوا) في قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ فَمَا رِبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ سورة البقرة : آية ١٦٦ .

« أجاز الكسائي همزها لانضمامها . وهو ضعيف ؛ لأن الواو إنما تقلب همزة إذا انضمت ضمّاً لازماً ، وهذه ضمة عارضة لالتقاء الساكنين فلا تقلب لأجلها همزة »^(٢) .

يُفْهَمُ عما سبق أن قلب الواو المضمومة همزة يكون بشرط أن تكون الضمة أصلية وليست عارضة كما في (اشترُوا الضلالة) حيث التقى ساكنان : واو الجماعة والضاد الأولى المدغمة في مثلتها ، وللتخلص منهما حرك أولهما (واو الجماعة) بالضمة لأنها أنسب الحركات للواو .

كما يفهم كذلك أن قراءة الكسائي بهمز الواو (اشترُوا الضلالة) من باب تعميم القاعدة أو الحمل على ما كانت الضمة فيه أصلية .

وقلب الواو المضمومة همزة كما يرى ابن يعيش إنما هو من باب الحمل على الواوين المجتمعتين ، حيث إن اجتماع الواوين يُوجِبُ الهمزة ، كما في نحو : واصله وأواصل ، والأصل (وواصل) ولأن الضمة من الواو ،

(١) الكتاب ٣٦٧/٢ .

(٢) البيان ٥٩/١ .

فصارت السواو والضممة فرعاً عن الواوين ، وهذا القلب فى الواو المضمومة جائز لا واجب^(١) ، وواجب مع الواوين ، وذلك حتى يكون هناك فرق بين الأصل والنوع . ومن الأمثلة على قلب الواو المضمومة همزة سواء فى فاء الكلمة أو عينها : وَجُوهُ وَأَجُوهُ ، وَوَقَّتْ وَأَقَّتْ ، وأدور فى جمع دار ، وأثوب فى جمع ثوب^(٢) .

ب - إذا كانت مكسورة فى أول الكلمة :

يقول ابن الأنبارى فى عرضه الأوجه المفسرة لأصل لفظ الجلالة (الله) فى قوله تعالى ، « **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** » .

« وقيل أصله : (وِلاه) من الوَلَى ؛ لأنه يُؤَلَّهُ إليه فى الحوائج ، فأبدلوا من الواو المكسورة همزة ، كقولهم فى وشاح : إشاح ، وفى وسادة : إسادة ، ثم أدخلوا عليه الألف واللام ، وحذفوا الهمزة ، وأدغموا وفخموا »^(٣) .

إذن أصل لفظ الجلالة - كما يفهم مما سبق - أصله : وِلاه > إله بقلب الواو المكسورة همزة > الإله بإدخال أل للتعريف > الله بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على لام التعريف الساكنة ، فيلتقى حرفان من جنس واحد ، فيدغمان بعد تسكين الحرف الأول بحذف حركته > الله وتفخم اللام المضعفة لأنها مفتوحة .

وبإبدال الهمزة من الواو المكسورة إنما هو على التشبيه بالواو المضمومة ، يقول ابن يعيش :

(١) يرى الرضى أن قلب الواو المضمومة همزة « جائز جوازاً مطرداً لا ينكسر ، وذلك لأن الضمة بعض

الواو ، فكأنه اجتمع واوان » شرح الشافية ٧٨/٣ .

(٢) شرح المقصل ١٠ / ١١ - ١٢ .

(٣) البيان ٣٣/١ .

«شبهوا الواو المكسورة بالواو المضمومة لأنهم يستقلون الكسرة كما يستقلون الضمة، ألا ترى أنك تحذفها من الياء المكسورة ما قبلها كما تحذف الضمة منها من نحو : هذا قاض، ومررت بقاض ، إلا أن همز الواو المكسورة وإن كثر عندهم فهو أضعف قياساً من همز الواو المضمومة وأقل استعمالاً ، ألا ترى أنهم يكرهون اجتماع الواوين فيبدلون من الأولى همزة ، نحو : الأواقي ، ولا يفعلون ذلك في الواو والياء ، نحو ، وَيَحْ وَيُسْ وَيُلْ وَيَوْمٌ ، فلما كان حكم الضمة مع الواو قريباً من حكم الواو مع الواو وجب أن يكون حكم الكسرة مع الواو قريباً من حكم الياء مع الواو » (١).

ويرى الرضى أن الأولى ألا يكون ذلك قياسياً ، وأن يقتصر على السماع، كما يرى أن القلب قد جاء في الواو المكسورة لأن الكسرة فيها أثقل أيضاً ، وإن كان أقل ثقلًا من الضمة على الواو ، كما يرى أن ذلك قد استقل في أول الكلمة دون وسطها ؛ لأن الابتداء بالمستقل أشنع (٢).

وقلب الواو المكسورة همزة لغة لهذيل، وعلى هذه اللغة قرأ ابن جبير (إعاء) في (وعاء) في قوله تعالى : ﴿فَيَدَأْ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ سورة يوسف : آية ٧٦ (٣).

وأرى أن التفسير الذي قدمه ابن الأنباري - وغيره من القدماء - لانقلاب الواو والياء همزة فيما سبق لا يمكن قبوله من الناحية الصوتية ، لأنه لاعلاقة صوتية بين الواو أو الياء والهمزة ، والأمر كذلك بالنسبة لقلب الواو والياء ألفاً ، ثم قلب هذه الألف همزة ، فليس هناك تقارب بين الألف والهمزة ، إذ الألف حركة طويلة ، والهمزة صوت صامت .

(١) شرح المفصل ١٤/١٠ .

(٢) شرح الشافية ٧٨/٣ - ٧٩ .

(٣) المدخل إلى علم الأصوات ١٩٢ وفي معجم القراءات ٣١١/٤ أن الإبدال همزة في «وعاء» الأولى

وهي قراءة سعيد بن جبير وعيسى بن عمر ولبي بن كعب واليماني وأبان وهيب بن عمير .

وأرى أن السبب في قلب الواو والياء همزة في جميع ما تقدم يعود إلى أن المتكلم أثر استبدال الصوتين الانزلاقيين^(١) (aaw) و (aay) في نحو : سماء ورداء والأصل : سماو ورداي .

وكذلك (wi) و (wu) في نحو : إله وأجوه والأصل : إله ، وُجُوه .
(yi) و (wi) في نحو : معائش وعجائر ، والأصل : معايش ، وعجاوِز .
بصوت قطعي هو الهمزة .

وظاهرة تحقيق الهمزة في الكلمات المهموزة الأصل ، وهمز الواو والياء في الكلمات التي لا تشكل الهمزة فيها صوتاً أصلياً خاص بأهل البادية ، يقول الدكتور إبراهيم أنيس :

« وتميز نطق البدو زمن تدوين اللغة بظاهرة سماها القدماء (النبر) وهي لا تقتصر على تحقيق الهمز في الكلمة المهموزة الأصل ، بل تتجاوز ذلك إلى تهميز مائس بمهموز أصلاً ، فكانوا يهمزون الهاء ويهمزون الواو والياء ، ولذلك لقبهم بعض القدماء بأصحاب النبر »^(٢) .

(١) الصوت الانزلاقي glide consonant مصطلح يطلق على صوتي العلة الواو والياء ، ويطلق عليهما كذلك مصطلحا : أنصاف الحركات semi-vowels وأنصاف السواكن semi-consonant ومذان الصوتان يأتيان إما مسبقين أو متبعين بحركة أو يتوسطان بين حركتين . وسمى هذان الصوتان انزلاقيين لأنهما قريبين من الفصمة والكسرة ، فعند النطق بالواو (w) يرتفع مؤخر اللسان في اتجاه الحنك اللين (الطبق) عند موضع النطق بالفصمة (u) ويصحب ذلك استدارة تامة للشفتين . ويتزلاق اللسان من موضع النطق بالفصمة أو إليه ينشأ الأثر السمي للمصامت الانزلاقي أو شبه الحركة الواو (w) . أما عند النطق بالياء فإن ذلك يتطلب صعود مقدمة اللسان في اتجاه الحنك الصلب (الغائر) إلى موضع النطق بالكسرة (i) ويتزلاق اللسان من هذا الموضع أو إليه ينشأ الأثر السمي للمصامت الانزلاقي أو شبه الحركة الياء (y) . دراسة السمع والكلام ١٨٢ - ١٨٣ من خلال التعريف السابق نلاحظ أن الحركة المصاحبة للواو والياء إما أن تكون قصيرة أو طويلة .

(٢) الأصوات اللغوية ٩٨ .

كما يقول فى موضع آخر عن ظاهرة النبر التى لاحظها عيسى بن عمر فى
نطق تميم :

« أما النبر فلمهم أرادوا به تلك العملية النطقية التى مصدرها الحنجرة
حين تتوتر عضلاتها توتراً شديداً ، وهذه هى الظاهرة التى يمكن أن تطلق عليها
التهميز glottalization أى إثارة الهمز فى كثير من الكلمات ، وقد لاحظ
عيسى بن عمر هذه الظاهرة بين تميم والتى تمثل فى مثل هذه الروايات القبائل
البدوية ، ولا سيما حين تُقَابِل بقريش أو الحجاز .

أى أن اللغويين الأولين من أمثال عيسى بن عمر قد لاحظوا فى نطق
الاعراب أمراً عجيباً هو توتر الحنجرة بشكل ظاهر مع كل همزة أصلية ، وكذلك
مع ما يشبه الهمزة من أصوات كالهاء والياء والواو . فعالموا إلى نبر الهاء وقالوا
فى (هَزَّ) : (أَرَّ) ، كما مالوا إلى نبر حروف المد فقال رؤبة فى (العالم) :
(العالم) . وظهر أثر هذا فى قراءة الاعراب لآيات كثيرة ، منها : « إِعَاء أَخِيهِ »
بدلاً من : « وِعَاء أَخِيهِ » ، « أَجُوهَم مَسُودَةٌ » بدلاً من : « وجوههم مسودة » ،
« خَطُوتٌ » بدلاً من : « خطوات » ، « تَفَاوَتْ » بدلاً من : « تفاوتت » ، « فتأَمَّعُوا »
صعيداً بدلاً من : « فتيَمَّعُوا صعيداً » ، « معائشٌ » بدلاً من : « معاش » ، « فإِما
ترنن من البشر أحداً » بدلاً من « فإِما ترين » ، « اشتَرَوْا الضلالة » بدلاً من :
« اشتَرُوا الضلالة » ، « اتَّخَذْنَا هُزُؤاً » بدلاً من : « هُزُؤاً » ، « عَلَى سُوْقِهِ » بدلاً
من : « عَلَى سُوْقِهِ » .

وهكذا اتسع مجال النطق بما يشبه الهمزة لدى البدو ، ولم يعد مقصوراً
على ما هو مهموز أصلاً ، ولا غرابة لذلك أن سموا بأصحاب النبر ^(١) .

(١) السابق ٩٩ .

(5) قلب الواو تاء .

ورد قلب الواو تاء فى كتاب البيان فيما اشتق من وزن افتعل . ويمكن التمثيل لذلك بما يأتى :

١- يقول ابن الأنبارى تعليقا على قوله : «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ» سورة البقرة : آية ٢ .

« المتقين أصله : (مُؤْتَقِينَ) على وزن مُفْتَعِلِينَ ، من : (وقيت) فأبدلوا الواو تاء ، وأدغمت فى تاء الافتعال ، فصارت تاء مشددة ... » (١) .

ولم يذكر لنا ابن الأنبارى السبب فى قلب الواو تاء فى اسم الفاعل السابق المجموع جمع مذكر سالماً . واسم الفاعل هذا مشتق من الفعل (اتقى) كما ذكر ابن يعيش ، وأصله : (اتوقى) على وزن افتعل ، فقلبوا الواو تاء وأدغموها فى تاء افتعل ، ويرى أنهم فعلوا ذلك لأنهم لو لم يقلبوا هذه الواو تاء لوجب عليهم قلبها ياء إذا انكسر ما قبلها ، نحو : ايتعد وايتزن وايتلج ، وفى الأمر : ايتعد وايتزن وايتلج . وإذا فتح ما قبلها وجب عليهم قلبها ألفاً ، نحو : ياتعد وياتلج ، وذلك على لغة من يقول فى : يوجل : (ياجل) (٢) وإذا ضم ما قبلها وجب عليهم ردها إلى أصلها وهو الواو ، نحو : مُوتَعِد ومُوتَزِن ، ثم يقول ابن يعيش بعد ذلك . «ولما رأوا تغير مصيرها فى تغيرها لتغير أحوال ما قبلها قلبوها إلى التاء لأنها حرف جلد قوى لا يتغير بتغير أحوال ما قبله ، وهو قريب المخرج من الواو ، وفيه همس يناسب لين الواو ، ليوافق لفظه لفظ ما بعده ، فدغم فيها ويقع النطق بهما دفعة واحدة» (٣) .

(١) البيان ٤٦/١ .

(٢) هذه لغة بنى الحارث بن كعب ، حيث يحولون الصوت المركب (aw) و (ay) إلى فتحة طويلة (aa)

فيقولون : ياتزن فى (يوتزن) وياس فى (يياس) . انظر التطور اللغوى ٨١ - ٨٢

(٣) شرح المفصل ٣٦/١٠ .

وعلى هذا نستطيع أن نقول إن قلب الواو تاء فى اسم الفاعل السابق (متقين) وإدغامها فى تاء الافتعال من باب الحمل على الفعل المشتق منه وهو (اتقى) وذلك حتى يطرد الباب على وتيرة واحدة .

٢ - ويقول ابن الأنبارى تعليقا على قوله تعالى : ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ «سورة المائدة : آية ٨» «التقوى مؤنثة ، وأصلها : (وَقِيًا) لأنها من (وَقَيْتُ) إلا أنهم أبدلوا من الواو تاء ، كما قالوا فى : تُجَاه وتُرَاث وتُهْمَةٌ وتُخْمَةٌ ، فأبدلوا من الياء واوا ، لأن كل ما كان اسماً ولامه ياء وهو على فَعْلَى فإنه تقلب ياؤه واوا» (١) .

يُفْهَم مما سبق أن كلمة التقوى فيها تغييران : الاول : قلب الواو تاء كما فى كلمات مثل : تجاه وتراث وتهمة وتخمة ، وأصلها : وَجَاه وُورَاث وُوْهْمَةٌ ووُخْمَةٌ ، لأنها جميعها من : وجه وورث ووهم ووخم .

والثانى : قلب الياء واوا لوقوعها لاماً فى اسم على وزن فَعْلَى .

٣ - ويقول فى موضع آخر تعليقا على قوله تعالى : ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ «سورة آل عمران : آية ٢٨» .

«تقاة أصلها : (وَقِيَّة) فأبدلوا من الواو تاء ومن الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فصارت : تَقَاة» (٢) .

ويُفْهَم كذلك عما سبق أن فى كلمة (تقاة) تغييرين ، أولهما : قلب الواو تاء كما حدث فى الكلمات السابقة تراث وتجاه وتهمة وتخمة . وثانيهما : قلب

(١) البيان ٢٨٥ / ١ .

(٢) السابق ١٩٩ / ١ .

الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها : (تقاة) على وزن فُعْلَة جمع تكسير ومفردها (تُقَيّ) وأصلها (وَقَيّ) .

والحق أن قلب الواو تاء فى وزن اقتعل وما اشتق منه ليس لسبب صوتى ؛ إذ الصفات الصوتية فى كلا الصوتين مختلفة، فالواو : شبه صائت شفوى احتكاكى مجهور ، أما التاء فصوت صامت أسنانى انفجارى مهموس^(١) . إذن هما لا يشتركان فى أى من الصفات الصوتية السابقة وهذا يعنى أن القلب ليس لسبب صوتى .

وأرى أن المتكلم قد أثر تحويل الصوت الانزلاقى أو الصوت المركب^(٢) (iw) فى الفعل (اوتقى) وكذلك الصوت الانزلاقى (uw) فى اسم الفاعل (موتقين) إلى صوت قطعى هو (التاء) . والذى حدا بالتكلم إلى ذلك شيان : الأول : أن الصوت التالى مباشرة (تاء) ، ومن ثم يدغم الصوتان المتماثلان ، ويتبع عنهما صوت واحد ينطق به دفعة واحدة .

والثانى : أن التاء صوت قوى لا يتأثر بما قبله من حركات كما تتأثر الواو . وهذان الشيان أو الأمران واضحان من قول ابن يعيش السابق ذكره .

وأما قلب الواو تاء فى (التقوى) و (تقاة) فيمكن حمله على الفعل المشتقين منه وهو اتقى ، وأصله : (اوتقى) .

أما بالنسبة للكلمات الواردة فى تعليق ابن الأنبارى السابق ، وهى : تجاه وتراث وتهمة وتخمّة فلها تفسيران كما أرى :

(١) علم اللغة مقدمة للقارئ العربى ١٥٥ و ١٨٠ .

(٢) الصوت المركب هو صوت انزلاقى يتضمن انزلاقاً مقصوداً ، إذ تبدأ أعضاء النطق متخلفة الوضع الخاص بصائت من الصوائت ثم تتقل مباشرة نحو الوضع الخاص بصائت آخر . ويتميز الصوت المركب بأنه يتكون من مقطع واحد، أى أن الانزلاق أو الانتقال من الصائت الأول إلى الصائت الثانى يتم بدفعة واحدة من النفس . (علم اللغة مقدمة للقارئ العربى ١٨٥) .

أولهما: أن تحمل على أساس أن المتكلم بهذه الكلمات أثر استبدال الواو المحركة بالضممة (الصوت الانزلاقي uw) بصوت قطعى هو (التاء) لأن الواو والضمة ثقيلان . ومن المعروف - كما ذكر العلماء من قبل - أن الضمة من الواو ، فإذا كانت الواو محركة بضممة فهذا كما لو أن الكلمة مبدوءة بواوين . وبهذا تكون محمولة على وزن افتعل ومشتقاته كما ذكرنا من قبل .

وأما التفسير الثانى فهو أن تُحمَل على أنها من القياس الخاطىء على الفعل تَبَعَ يَتَّبِعُ^(١) . ويمكن توضيح ذلك على النحو التالى :

١ - تُجَاه : وهو الوجه الذى يُقصد ، وأصله : وُجَاه ، من الفعل : وجه ، ثم قيس الفعل خطأ على الفعل تَبَعَ ، فظُنَّ أن الواو أصلها تاء ؛ لأن الفعلين على وزن واحد ، فصار الفعل : تَجَّهَ يَتَّجِهْ على غلط الفعل : تَبَعَ يَتَّبِعُ^(٢) .

٢ - تُرَاث : أى الإرث ، أصله : وُراث ، من الفعل : وَرِثَ ، ثم قيس خطأ على ، تَبَعَ يَتَّبِعُ ، فصار : تَرِثَ يَثْرَثُ ، على غلط : تَبَعَ يَتَّبِعُ .

٣ - تُهَمَّة : أى الاتهام ، أصله : وَهَمَة من الفعل وَهَمَ ، ثم قيس خطأ على تَبَعَ يَتَّبِعُ ، فصار : تَهَمَ يَتَّهَمُ على غلط : تَبَعَ يَتَّبِعُ^(٣) .

٤ - تُخَمَّة : داء بسبب الطعام الوخيم ، أى الثقيل الذى لا يُهضم ، من الفعل : وَخِمَ ، ثم قيس خطأ على : تَبَعَ يَتَّبِعُ ، فصار : تَخِمَ يَتَّخِمُ على غلط : تَبَعَ يَتَّبِعُ .

(١) انظر نظرية فى القياس الخاطىء : التطور اللغوى ١٠٩ - ١١٠ .

(٢) يمكن أن يكون قلب الواو تاء فى (تجاه) كذلك من باب الحمل على الفعل المشتق منه الذى على وزن افتعل ، وهو : (لتجه إليه) أى : أقبل يوجهه عليه . والأصل (اتَّجَهَ) .

(٣) يمكن أيضاً أن يكون قلب الواو تاء من الحمل على الفعل المشتق منه على وزن افتعل ، وهو (اتَّهم) وأصله : (اتَّهَمَ) .

(٦) قلب الألف ياء

تقلب الألف ياء فى الاسم المقصور عند الإضافة إلى ياء المتكلم فى لغة هذيل . يقول ابن الأنبارى تعليقا على قوله تعالى : ﴿فَمَنْ بَعِ هَدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ «سورة البقرة : آية ٢٨» .

« قُرِئَ (هَدَى) وذكر أنها قراءة النبى ﷺ ^(١) ، ووجه هذه القراءة : أنه قلب الألف ياء وأدغمها فى ياء المتكلم ؛ لأن ياء المتكلم لا يكون قبلها إلا مكسورا ، فجعل قلبها إلى الياء لأنها من جنس الكسرة » ^(٢) .

يفهم من تخريج ابن الأنبارى للقراءة السابقة أن الاسم المقصور (هدى) قد أضيف إلى ياء المتكلم ، ومن المعروف أن الاسم المضاف إلى ياء المتكلم يحرك فيه الحرف الذى يسبق ياء المتكلم بالكسرة ، وهى التى تعرف بحركة المناسبة ، ولما كان آخر الاسم المقصور (هدى) ألف لم يمكن كسرها لأنها حرف تقدر عليه الحركة ، فقلبت ياء لأن الياء من جنس الكسرة .

وماذكره ابن الأنبارى ليس هو ماعليه العربية الفصحى ، لأن الاسم المقصور عندما يضاف إلى ياء المتكلم فيها فإن ألفه تبقى ولا تقلب ياء كما هى الحال فى القراءة السابقة ، وما فعل فى هذه القراءة هو ماعليه أهل هذيل فى لغتهم كما نسبه إليهم بعض النحاة .

ويرى الدكتور / عبد الجواد الطيب أن الألف لم تقلب ياء عند الإضافة إلى ياء المتكلم عند هزيل ، إنما هذه الياء هى الأصل فى لغتهم ، وهذه الياء لم تتحول عندهم إلى ألف كما فى الفصحى ، وهذا يعنى أن ألف المقصور ياء فى الأصل ، وأن هذيلاً حافظت عليها . يقول :

(١) فى معجم القراءات ٨٧/١ أنها قراءة النبى ﷺ ، وقرا به : حاصم الجعفرى وعبد الله بن أبى إسحق ، وعيسى بن عمر ، وأبو الطفيل .

(٢) البيان ٧٦/١ .

لم تقلب الألف ياء ، إنما الياء هذه أصل ، وكذلك الواو فى الاسم المقصور، وذلك قبل أن تقلب هذه الواو والياء ألفاً . من ذلك قولهم: (أَفْعَوْ) يريدون : أفعى ، و (قَفَى) يقصدون : قفا ، و (عَصَوْ) فى : عصا ، و(هُدَى) فى : هدى .

وعند الإضافة إلى ياء المتكلم تدغم الياء فى الياء ، مثل : بُشْرَى تصير : (بُشْرَى) وتقلب الواو ياء فى الكلمات الواوية، وذلك لاجتماع الواو والياء وسبق إحداهما بالسكون، ثم تدغم فى ياء المتكلم، مثل : عَصَوْ، فتصير إلى : (عَصَى) . وهذه هى لغة هذيل كما نسبها إليهم كثير من كتب اللغة والنحو والأدب، وقد وردت الرواية بذلك عنهم عن كثير من الرواة واللغويين القدماء كالرياشى وغيره .

وقد ورد لهذه اللغة شاهد نحوى من شعر أبى ذؤيب فى كتب اللغة والنحو، وهو قوله فى رثاء أبنائه :

سَبَقُوا هَوَى وَأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمْ فَتُخَرِّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعٌ .

وقد شارك هذيل فى ذلك أيضاً بعض القبائل البدوية، مثل طى، وكذلك بنو سعد الذين تربى بينهم الرسول الكريم ﷺ^(١) .

(١) من لغات العرب - لغة هذيل من ٧٦ إلى ٨٠ .

ثانياً: الإعلال بالنقل

يتناول الإعلال بالنقل كما ورد فى كتاب البيان نقطتين :

الأولى : نقل حركة عين المعتل إلى الساكن الذى قبله .

الثانية : نقل حرف مكان حرف آخر . وفيما يلى بيان ذلك :

(١) نقل حركة عين المعتل إلى الساكن الذى قبله .

تنقل حركة عين المعتل إلى الساكن الذى قبله فى موضعين ، هما :

١ - فى المضارع المبني للمعلوم والماضى المبني للمجهول من الأجوف .

١ - فى المضارع المبني للمعلوم :

يقول ابن الأنبارى عن أصل (يقول) فى قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ «سورة البقرة : آية ٨» .

« يقول أصله : (يَقُولُ) على (يَفْعُلُ) بضم العين ، فنقلت الضمة عن الواو التى هى العين إلى القاف التى هى الفاء لاعتلالها فى الماضى وهو (قال) ؛ لأنه الأصل فى الإعلال فى الكلام » ^(١) .

يفهم من كلام ابن الأنبارى السابق أمران :

الأول : انتقال حركة الواو الواقعة عيناً فى المضارع المبني للمعلوم إلى الساكن الذى قبلها وهو فاء الفعل ، وهذا قاتون مطرد لا شذوذ فيه - كما أعلم - ويعد الانتقال وجد أن الواو مجانية للضمة المنقولة ، لذلك بقيت كما هى دون تغيير ، هذا هو ظاهر النص السابق ، وهو يتفق مع ما يشيرون إليه دائماً من مجانية الواو لما قبلها وإن كنت أختلف معهم فى ذلك وسيبين فى التعليق النهائى .

(١) البيان ١/ ٥٤ .

والثاني : أن الاعتلال بالنقل في المضارع محمول على اعتلال الواو في الماضي، أى بقلبها ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها - كما يقولون - لأن الماضي قال وأصله (قَوَّلَ). وهذا يعنى أن الإعلال بالنقل في المضارع محمول على الإعلال بالقلب في الماضي ، يقول ابن يعيش :

« الذى يدل على أن الماضي هو الأصل في الإعلال ، أنه إذا صحَّ الماضي صحَّ المضارع ، ألا ترى أنهم لما قالوا: عَوَّرَ وَحَوَّلَ فصححوهما قالوا : يَعرِّوْنَ وَيَحَوِّلُونَ ، وعاورَ وحاولَ . فصححوا هذه الأمثلة لصحة الماضي »^(١).

كما يشير ابن يعيش إلى أن العكس يمكن أن يحدث ، أى أن الماضي قد يعتل لاعتلال المضارع ، يقول :

« وكما أعلوا المضارع لإعلال الماضي أعلوا الماضي أيضاً لاعتلال المضارع، ألا تراهم قالوا : أغزيت وأدعيت وأعطيت ، وأصلها الواو لأنها من : عزا يغزو ودعا يدعو وعطا يعطو ، فقلبوا الواو فيها ياء حملاً على المضارع الذى هو يغزى ويدعى ويعطى، طلباً لتماثل ألفاظها وتشاكلها من حيث إن حكم كلها جنس واحد »^(٢).

وأرى أن ما حدث للمضارع (يقول) وأصله (يَقُولُ) يمكن رده إلى واحد من أمرين :

الأول : أن الواو ماثلت الحركة المرتفعة اللاحقة (الضمة) ، وذلك لورود حرف اللين (الواو) بعد مقطع منغلق بحرف غير لين (حرف صحيح) وبعد المماثلة تلتقى ضمتان قصيرتان ، ثم تحولان إلى ضمة طويلة^(٣).

(١) شرح المفصل ٦٦/١٠.

(٢) السابق ، الصفحة ذاتها .

(٣) مدخل في الصوتيات ١٨٤ - ١٨٥ .

ي - ق و - ل - < ي - ق - / - ل - < ي - ق - ل - .

وهذا التفسير يبين أن الحركة لم تنقل .

والثاني : أن الضمة نقلت كما ذكر ابن الأنباري من قبل ، ثم ماثلت الواو الضمة السابقة عليها فتحوّلت إلى ضمة مثلها ، فتلتقى ضمّتان قصيرتان ، فتحولان إلى ضمة طويلة هكذا :

ي - ق و - ل - < ي - ق - و ل - < ي - ق - / - ل - < ي - ق - ل - .

ب - في الفعل الماضي المبني للمجهول :

يقول ابن الأنباري عن أصل (قيل) في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ «سورة البقرة : آية ١١» .

«قيل أصله : (قُول) فنقلت الكسرة من الواو إلى القاف ، فانقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها»^(١) .

ونقل الكسرة إلى القاف لا يكون إلا بعد تسكينها بحذف الضمة لأن الحرف الواحد لا يتحمل حركتين مختلفتين، يقول الشامي شارحاً ما سبق :

«الأصل : قُولَ وَيُوعَ ، فاستقلوا الكسرة في الياء والواو ، فأسقطوا الضمة من الفاء ، فلما سكنت الفاء نقلوا إليها كسرة الياء والواو ، فإن كانت ياء صحّت لسكونها وانكسار ما قبلها، نحو : يِيعَ وَهِيَبَ . وإن كانت واواً انقلبت ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ، نحو : قِيلَ وَخِيفَ وَقِيمَ في هذا المكان وصيغَ الخاتم، و﴿سَيِّئَتْ وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ «سورة الملك : آية ٢٧»^(٢) .

(١) البيان ٥٦/١ .

(٢) شرح التصريف ٤٤٨ .

ويرى ابن يعيش أن إعلال العين في المبني للمجهول من الأجوف محمول على إعلالها في المبني للمعلوم، حيث إن أصل قال : (قَوْل) فقلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها^(١).

ويتضح من خلال ما سبق أن الماضي المبني للمجهول من الأجوف يكون فيه إعلالان؛ أحدهما بالنقل والآخر بالقلب، ويكون في الأجوف الواو ، لأن الواو لا تنسجم مع الكسرة المنقولة فتقلب ياء ، ويكون فيه إعلال واحد بالنقل في الأجوف اليائي لأن الياء تنسجم مع الكسرة المنقولة. وأرى أن هناك واحداً من تفسيرين للماضي المبني للمجهول قيل، وأصله: (قَوْل) .

الأول:

- ١ - حذف صوت اللين (الواو) لوقوعه بين حركتين قصيرتين، أولاهما الضمة (منخفضة) وثانيتها الكسرة (مرتفعة) .
 - ٢ - مائلت الضمة الكسرة لارتفاع الكسرة عن الضمة في سلم الجهر^(٢)، فتتحول إلى كسرة مثلها.
 - ٣ - تحولت الحركتان القصيرتان المتماثلتان إلى حركة طويلة^(٣).
- ق - و - ل - < - ق - خ - ل - < - ق - - ل - -
- وإذا كان الأحرف يائياً مثل يبيع وأصله (يُبع) فإنه يحدث له ما حدث للواو السابقة :

(١) شرح المفصل ٧٤/١٠ .

(٢) ترتيب الحركات في سلم الجهر هكذا : الفتحة ← الكسرة الضمة ← فالفتحة هي الأصل وتليها الكسرة وأضعفها الضمة . مدخل في الصوتيات ١٧٨ .

(٣) السابق ١٧٩ .

ب - يُ - ع - < ب - خ - ع - < ب - خ - ع - < ب - ع - ع -
الثاني :

- ١ - تماثل الضمة الكسرة فتحول إلى كسرة مثلها .
- ٢ - تماثل الواو الكسرة السابقة عليها ، فتقلب ياء .
- ٣ - تسقط الياء لوقوعها بين حركتين متماثلتين .
- ٤ - بعد السقوط تلتقي حركتان قصيرتان ، فتحولان إلى حركة طويلة (كسرة طويلة) .

ق - و - ل - < ق - و - ل - < ق - ي - ل - < ق - خ - ل - <
ق - ل - . ويحدث للأجوف اليائي (يِيْع) وأصله (يِيْع) ما حدث للواوى
ماعدا المرحلة الثانية .

ب - يُ - ع - < ب - ي - ع - < ب - خ - ع - < ب - ع - ع -

٢ - في الاسماء التي تشبه الفعل المعتل .

يقول ابن الأنباري عن أصل كلمة (معيشة) في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا
لَكُمْ فِيهَا مَعَايِش ﴾ سورة الاعراف : آية ١٠ .

« معايش جمع معيشة ، وأصل معيشة : (مَعِيشَة) على وزن : (مَفْعَلَة) إلا
أنه نقلت كسرة الياء إلى العين ، والميم فيها زائدة لأنها مَفْعَلَة من العيش » (١) .

يفهم من كلام ابن الأنباري السابق أن نقل حركة الياء التي تقع موقع العين
إلى الساكن الذي قبلها وهو يقع موقع الفاء ، من باب الحمل على الفعل
المضارع المبني للمعلوم من نحو : يقول وأصله (يَقُولُ) والميم تقابل الياء في
المضارع .

(١) البيان ١/ ٣٥٥ .

ومعيشة يمكن أن يكون أصلها مَفْعَلَةٌ أو مَفْعُلَةٌ عند سيبويه . يقول الثماني : « فاما معيشة فعند سيبويه يجوز أن تكون : (مَفْعَلَةٌ) أصلها : مَعِيشَةٌ > فنقلوا كسرة الياء إلي ما قبلها ، فثبتت لأنها ساكنة وقبلها كسرة . ويجوز أن تكون : (مَفْعُلَةٌ) أصلها : مَعِيشَةٌ ، فنقلوا ضمة الياء إلي العين ، فسكنت الياء وقبلها ضمة ، فقلب من الضمة كسرة لقرب الياء من الطرف ؛ لأنه لا يعتد بتاء التأنيث ، فقال : مَعِيشَةٌ » (١) .

وأرى أن أحد التفسيرين السابقين للمضارع المعتل العين ينطبق على معيشة : وأصلها (مَعِيشَةٌ) هكذا :

الأول : تماثل الياء حركتها اللاحقة فتقلب كسرة مثلها ، فتلتقي كسرتان قصيرتان ، ثم تتحولان إلي كسرة طويلة .

م - ع ي - ش - ة - نُ ن < م - ع - / - ش - ة - نُ ن < م - ع - / - ش - ة - نُ ن .

الثاني : تنقل الكسرة إلى الساكن السابق ، ثم تماثل الياء الكسرة السابقة فتحول إلى كسرة مثلها فتلتقي كسرتان ، ثم تتحولان إلى كسرة طويلة :

م - ع ي - ش - ة - نُ ن < م - ع - ي ش - ة - نُ ن < م - ع - / - ش - ة - نُ ن < م - ع - / - ش - ة - نُ ن .

٢ - نقل حرف مكان حرف آخر (قلب مكانى) .

يتمثل ذلك فى اسم الفاعل من الاجوف فى لغة لبعض العرب .

- يقول ابن الانبارى مبيناً أصل (هار) فى قوله تعالى : ﴿ أَقْمِنَ أَسْسَ بَيْنَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنهَارُ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ سورة التوبة : آية ١٠٩ .

(١) شرح الصرف ٤٦٦ .

« أصل هارٍ : (هائر) فقلب كما قالوا : لاثٍ فى : لاثٍ ، وشاكٍ فى : شائكٍ ، ووزنه (فالح) ، فحذفت الياء كما حذفت فى نحو : قاضٍ ورامٍ فى الرفع والجذر^(١) .

يفهم مما سبق أن هارٍ اسم فاعل من الأجوف الواوى (هار) . ومن المعروف أن اسم الفاعل من الأجوف الواوى أو اليائى الثلاثى يبنى على وزن فاعل ، أى كان يجب أن يكون : (هائر) ، غير أنه قبل أن يصل إلى هذه الصورة ، وفرأ من قلب الواو أو الياء همزة نقلوا العين إلى موقع اللام وهى لغة لبعض العرب^(٢) ، ثم أعلل إعلال اسم الفاعل من المعتل الآخر (قاضٍ ورامٍ) ونحوهما فى الرفع والجذر .

وقد بنى ابن الأتبارى تحليله لأصل (هار) على ماورد فى كلام العرب من نحو قولهم : لاثٍ فى : لاثٍ ، وشاكٍ فى : شائكٍ . وقد أشار إلى ذلك سييويه ، يقول : «وأما الخليل فكان يزعم أن قولك جاء وشاء ونحوهما ، اللام فيهن مقلوبة ، وقال : ألزموا ذلك هذا واطرد فيه؛ إذ كانوا يقلبون كراهية الهمزة الواحدة ، نحو قولهم للمعجاج :

لاثٍ به الأشاء والعبرىُّ

وقال لطريف بن تميم العنبرى

فتعرفونى أننى أنا ذاكم شاكٍ سلاحى فى الحوادث مُعَلِّمٌ^(٣)

ويشرح الثمانينى ما حدث لقاضٍ ، والذى حُمِلَ عليه هارٍ ولاثٍ وشاكٍ بعد نقل العين فيها إلى موضع اللام ، بقوله :

(١) البيان ٤٠٦/١ .

(٢) شرح الشافية ١٢٩/٣ .

(٣) الكتاب ٣٧٧/٤ - ٣٧٨ .

«قولهم: هذا قاض، ومررت بقاض. الأصل فيه: (قاضي) في الرفع و (قاضي) في الجر، فاستقلوا الضمة والكسرة على الياء الخفيفة التي قبلها كسرة فأسقطوها، بقيت الياء ساكنة والتونين بعدها ساكن، فاجتمع ساكنان: الياء والتونين، فأسقطت الياء لالتقاء الساكنين، وكانت أولى بالإسقاط لأنها قبلها كسرة تدل عليها وتُغْنِي عنها، ولم يَجْز أن يحركوها لأنهم قد فروا من حركتها، ولم يَجْز أن يحركوا التونين لالتقاء الساكنين، لأن التونين إنما يحرك بعده لا ساكن قبله»^(١).

وهذا يعني أن الزائد وهو التونين قد غلب الأصلي وهو الياء؛ لأن الزائد هنا ذو معنى، يقول ابن جني في باب غلبة الزائد للأصلي:

«أما إذا كان الزائد ذا معنى فلا نظر في استبقائه وحذف الأصلي لمكانه، نحو قولهم: هذا قاضي ومعط. ألا تراك حذف الياء التي هي لام للتونين؟ إذ كان ذا معنى، أعني الصرف؟»^(٢).

من خلال ما سبق يمكن أن نبين ما حدث لـ: هَارٍ وشَاكِ ولاثٍ كما يري ابن الأنباري وغيره من العلماء على النحو التالي:

- ١ - الصيغة الأصلية في الرفع والجزء هي: هَارٍ / شَاكِ / لاوِث
 - ٢ - تنقل العين إلى موضع اللام: هَارٍ / شَاكِو / لاِثو.
 - ٣ - تقلب الواو ياء لتطرفها إثر كسرة: هَارِي / شَاكِي / لاِثِي.
 - ٤ - تحذف الضمة والكسرة استقلالاً لهما على الياء: هَارِيْن / شَاكِين / لاِثِين.
 - ٥ - يلتقي ساكنان: الياء والتونين، فحذف الياء: هَارٍ / شَاكِ / لاِث.
- وأرى أن ما حدث للكلمات السابقة على النحو التالي:

- ١ - الصيغة الأصلية في الرفع والجر كما ذكروا: هـ - و - ر - ن / ش - و - ك - ن / ل - و - ث - ن.

(٢) الخصائص ٤٧٩/٢.

(١) شرح التصريف ٣٨٦.

٢ - تنقل العين إلى موضع اللام كما ذكروا : هـ - ر - و - ن / ش - ك - و - ن / ل - ث - و - ن .

٣ - تماثل ضمة الواو في حالة الرفع كسرة الحرف السابق عليها ، فتقلب كسرة مثلها (مماثلة تقدمية) هـ - ر - و - ن / ش - ك - و - ن / ل - ث - و - ن . في هذه المرحلة تشبه حالة الرفع حالة الجر .

٤ - تحذف الواو لوقوعها بين حركتين متماثلتين : هـ - ر - خ - ن / ش - ك - خ - ن / ل - ث - خ - ن .

٥ - تلتقي كسرتان قصيرتان فتتحولان إلى كسرة طويلة : هـ - ر - ن / ش - ك - ن / ل - ث - ن .

٦ - تقصر الكسرة الطويلة لوقوعها في مقطع مغلق^(١) : هـ - ر - ن / ش - ك - ن / ل - ث - ن .

ملاحظة:

يجوز أن يعامل اسم الفاعل السابق الذي نقلت عنه إلى موضع اللام معاملة الصحيح لكثرة الاستعمال ، ومفهوم هذه اللغة التي ذكرها ابن الأنباري أن العين محذوفة كالسابق ، غير أنه لا يعامل معاملة الناقص من نحو : قاضي ورام ، ونحوهما ، إنما يعامل معاملة الصحيح ، أي تظهر عليه الضمة في الرفع والفتحة في النصب والكسرة في الجر ، هذا هو مفهوم كلام ابن الأنباري الذي ذكره عقب نصه السابق :

(١) أشار إلى تقصير الحركة الطويلة في القطع المغلق المشرق الألمانى بروكلمان ، يقول : « وفي المقاطع المغلقة لاتحتمل اللغات السامية أصلاً إلا الحركات القصيرة ، فإذا جاء في بناء الصيغة حركة طويلة في مقطع مغلق فإنها تقصر ، وذلك مثل : $qawamta < qamta < qamta$: قُمْتُ (عبري) ولا تحتمل العربية القديمة الحركة الطويلة إلا في المقاطع المغلقة عن طريق التضعيف ، مثل : $daalluna$ = ضالون . وكذلك في تلك المقاطع التي لم تنغلق إلا بعد سقوط حركة آخر الكلمة في الوقت ، مثل : $daallun$ = ضالون » . فقه اللغات السامية ٤٣ - ٤٤ .

«وقد يجوز ألا تقلد المحذوف لكثرة الاستعمال، ويجرى مجرى الصحيح، كقولهم : يومٌ راحٌ ، وكيشٌ ضافٌ»^(١).

وهذا على خلاف ما يراه سيبويه ، فعنده في هذه اللغة أن العين لم تنقل إلى موضع اللام، بل باقية كما هي، ثم قلبت همزة كما هي الحال في اسم الفاعل المتعارف عليه في الفصحى، ثم حذفت الهمزة. يقول^(٢):

«وأكثر العرب يقولون : لاثٌ وشاكٌ سلاحه ، فهؤلاء حذفوا الهمزة» أي أن الذي حدث هكذا :

لاوْثٌ / شاوْكَ < لائِثٌ / شائِكَ < لاثٌ / شاكَ .

أما ابن يعيش : فيستق مع سيبويه في أنه لانتقل للعين إلى موضع اللام، ويختلف معه في قلب العين همزة ثم حذفها ، فهو يرى أن العين قد قلبت ألفاً في الماضي لتحركها وافتتاح ما قبلها ، ثم جاءت ألف فاعل ، فالتقى ألفان وهما ساكنان ، فحذفت الثانية وهي العين ، ولم تحذف الأولى لأنها تدل على اسم الفاعل، أي ذات معنى .

يقول : «تقول : هذا شاكَ ولاثٌ ، ورأيت شاكاً ولاثاً ، ومررت بشاكٍ ولاث . ووجه ذلك أن الماضي منه : شاكَ ولاث ، فسكنت العين بانقلابها ألفاً ، وجاءت ألف فاعل ، فالتقت ألفان ، فحذفت الثانية لأنها أبلف في الإعلال والتخفيف»^(٣).

والفعل : شاكَ / لاث < شاكَ / لاث < شاكَ / لاث .

ويتفق الرضى مع ابن يعيش في أنه لانتقل للعين إلى موضع اللام، ويرى أن العين قد قلبت ألفاً في اسم الفاعل، وليس في الفعل كما ذكر ابن يعيش ،

(٢) الكتاب ٣٧٨/٤ .

(١) البيان ٤٠٦/١ .

(٣) شرح الفصل ١٠ / ٧٧ .

فالتقى ألفان فحذفت الألف الثانية التي هي العين، ولم يحركوها، لأنهم لو حركوها لتحولت همزة وهم قد قلبوا ألفاً ليقروا من الهمزة. يقول :

« ... فكأنهم قد قلبوا العين ألفاً ، ثم حذفوا العين للساكنين ، ولم يحركوها فراراً من الهمزة ، والظاهر أن المحذوفة هي الثانية ، لأن الأولى علامة الفاعلية » ^(١).

شاوِكْ / لاوِثْ < شااكْ / لااثْ < شاكْ ولاثْ .

ويلاحظ في تحليل ابن يعيش والرضي أن الزائد وهو ألف اسم الفاعل قد تغلب على الأصلي وهو العين؛ لأن الزائد هنا قد جاء لمعنى وليس كذلك العين.

وأرى أن ما حدث لاسم الفاعل : هارْ / شاكْ / لاثْ على النحو التالي :

١ - الصيغة الأساسية : هـ - و - ر - ن / ش - و - كْ / ل - و - ث - ن .

٢ - تماثل حركة الواو الفتحه الطويلة السابقة : هـ - و - ر - ن / ش - و - كْ - ن / ل - و - ث - ن .

٣ - تحذف الواو لوقوعها بين حركتين متماثلتين، ثم تلتقى حركتان من جنس واحد .

هـ - و - ر - ن / ش - و - كْ - ن / ل - و - ث - ن .

٤ - تتحول الحركتان إلي حركة طويلة ^(١).

هـ - و - ر - ن / ش - و - كْ - ن / ل - و - ث - ن .

(١) شرح الشافية ١٢٩/٣ .

(١) إذا كانت الحركتان قصيرة وطويلة من جنس واحد انجزتا حركة طويلة، نظراً إلى أن العربية لا تفرق صوتياً إلا بين الحركة القصيرة والحركة الطويلة بقطع النظر عن طول مدى الطويلة . (مدخل في الصوتيات ١٧٨) .

ثالثاً: الإعلال بالحذف

الإعلال بالحذف كما ورد في كتاب البيان نوعان ؛ هما :

الأول : حذف الحرف

الثاني : حذف الحركة . وفيما يلي بيان ذلك :

(١) حذف الحرف

ورد حذف الحرف في موضعين ؛ هما :

١ - حذف الواو من مضارع الفعل المعتل الأول (المثال) ومصدره .

١ - حذف الواو من مضارع المعتل الأول .

يقول ابن الأنباري معلقاً على كلمة (اليسع) في قوله تعالى : ﴿وَأَسْمَاعِيلَ
وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ «سورة الأنعام: آية ٨٦» .

« قيل الأصل في (اليسع) بلام واحدة (يَسَع) وهو فعل مضارع سمي به
وأدخل عليه الألف واللام، والأصل في يسع : (يُوسَعُ) وأصل يُوسَعُ :
(يُوسِعُ) لأنه لما جاء على فَعِلْ يَفْعِلْ، نحو : وَطِنٌ يَطُّ ، وأصله : (يُوطِنُ) إلا
أنه فتحت العين لمكان حرف الحلقي، وحذفت الواو منه على تقدير الأصل كما
حذفت في يَعد ويَزِن ، وحذفت في يعد ويزن لوقوعها بين ياء وكسرة ، وذلك
مستقل » ^(١) .

يُفهم مما سبق أن العلة في حذف الواو من مضارع المعتل الأول تكمن في
أن الواو وقعت بين ياء وكسرة ^(٢) ، فكان المضارع هنا على وزن يَفْعِلُ وماضيه قد

(١) البيان ١ / ٣٣٠

(٢) قبل الكسرة ياء صغيرة ، فكان الواو وقعت بين ياءين ثقلت عليهم . (شرح التصريف ٣٧٦) .

يكون على فَعَلَ كَوَعَدَ يَعِدُ ، أو على وزن فَعَلَ كَوَسَعَ يَسَعُ والاصل : (يُوسِعُ) ووَطِئَ يَطَأُ والاصل (يُوطِئُ) وتحولت الكسرة فى مضارع الفعلين إلى فتحة لأن اللام حرف حلق، فكان حذف الواو هنا بالنظر إلى الاصل، وهذا يعنى أن الكسرة فى حكم المنطوق بها .

ويشرح ابن يعيش ماحدث ليعد ويزن ونحوهما بقوله :

«الاصل : يُوعِدُ وَيُوزِنُ ، فحذفت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة ، فحذفت استخفافاً وذلك أن الواو نفسها مستقلة، وقد اكتنفها ثقلان الياء والكسرة، والفعل أثقل من الاسم وما يعرض فيه أثقل مما يعرض فى الاسم، فلما اجتمع هذا الثقل آثروا تخفيفه بحذف شيء منه، ولم يجز حذف الكسرة لأنه بها يُعرَف به وزن الكلمة ، فلم يبق إلا الواو ، فحذفت وكان حذفها أبلغ فى التخفيف لكونها أثقل من الياء والكسرة مع أنها ساكنة ضعيفة، فقوى سبب حذفها ، وجعلوا سائر المضارع محمولاً على يعد ، فقالوا : تَعِدُ وَنَعِدُ وَأَعِدُ ، فحذفوا الواو وإن لم تقع بين ياء وكسرة لثلاثا يختلف بناء المضارع ويجرى فى تصريفه على طريقة واحدة مع ما فى الحذف من التخفيف»^(١). والدليل على أن السبب فى إسقاط الواو وقوعها بين ياء وكسرة أنها لو كانت بين ياء وفتحة أو ضمة لم يجز حذفها، يقول الثمانيتى :

«والعلة فى إسقاطها هى وقوعها بين الياء والكسرة يدلك على ذلك أنها إذا زالت الكسرة بعدها صحت ولم تسقط، نحو قولهم : وَجَلَّ يُوَجِّلُ وَوَحَلَّ يَوْحِلُ وَوَسَّنَ يَوْسِنُ وَوَجَرَ يَوْجِرُ وَوَضَّ يَوْضُو . ويضبط هذا كله قوله تعالى : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ سورة الإخلاص : آية ٣ سقطت الواو من (يلد) لوقوعها بين ياء وكسرة، وثبتت فى قوله تعالى : ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لوقوعها بين ياء وفتحة . وكذلك لو قلت : يُوعَدُ وَيُوزَنُ لثبت الواو لوقوع الفتحة بعدها»^(٢).

(١) شرح المفصل ١٠ / ٥٩ .

(٢) التصریف ٢٧٤ - ٢٧٥ .

ويرى الفراء إن حذف الواو ليس لوقوعها بين ياء وكسرة ، وإنما لأن الفعل الموجودة فيه متعدد ، كما يرى أن الفعل إذا كان لازماً لا تحذف منه الواو ، وهاجمه المبرد في رأيه هذا ، وقد عرض ذلك ابن جني . يقول :

«قال الفراء : إن الواو إنما حذفت من : (يَعِد وَيَزِن) لأنها متعديان ، قال : وكذلك كل متعد ، قال : ألا ترى أنهم قالوا : وَجِلَ يَوْجَلُ وَوَحِلَ يَوْحَلُ ، فأتبوا الواو لما كان وَجِلَ وَوَحِلَ غير متعدين ؟

وتعجب أبو العباس من هذا القول واستطرفه ، وقال : إن التعدى وغير التعدى لا وجه لذكره في هذا الموضع ، ألا ترى أنهم قد قالوا : وَقَعَ يَقَعُ ، وَوَضَعَ فِي السَّيْرِ يَضَعُ ، وَوَقَدَتِ النَّارُ تَقْدُ ، وَوَبَلَ الْمَطَرُ وَيَبَلُ وَوَالَ مَا كَانَ يَحْذَرُهُ - أَيْ نَجَا - يَتَلُ ، ونحو ذلك ، فحذفوا الواو ، وإن لم يكن في هذه الأفعال فعل متعد .

وأما (يَوْجَلُ وَيَوْحَلُ) فلم تثبت فيه الواو من قبل أنه غير متعد ، إنما ذلك من قبل أنه لا كسرة بعد الواو يجب به لاجتماع الياء معها الحذف^(١).

ب - حذف الواو من مصدر الفعل المعتل الأول

يقول ابن الأنباري معلقاً على كلمة (شِيَّة) في قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةً لَا شِيَّةَ فِيهَا﴾ «سورة البقرة : آية ٧١» .

«الهاء في (شِيَّة) عوض عن الواو التي هي فاء الكلمة ، وأصله : (وَشَى) لأن ما حذفت منه الفاء من هذا النحو عوض الهاء في آخره ، نحو : وَعَدَ وَعِدَّةٌ ، وَوَزَنَ وَزَنَةٌ وما أشبه ذلك »^(٢).

(١) اللغز ١/ ١٨٨ .

(٢) البيان ١/ ٩٤ .

يفهم من كلام ابن الأنبارى السابق : أن الأصل فى مصدر المعتل الواو الذى على وزن فَعَلَ يَقَعُلُ أن يكون بلا حذف على وزن فَعَلَ أى مفتوح الواو ، مثل : وَشَى يَشَى وَشِيًا ، وَعَدَّ يَعِدُّ وَعَدًا ، وَزَنَّ يَزِنُّ وَزَنًا ، ثم حذفت الواو ولم يصرح بسبب الحذف ، إذ الواو ليست بين ياء وكسرة كما سبق فى الفعل ، والظاهر أن الحذف من باب الحمل على الفعل طرداً للباب على وتيرة واحدة . وبعد الحذف عوض عنها بتاء فى آخر المصدر وكُسِرَت العين ، فأصبح المصدر على وزن (عِلَّةً) نحو : شِيَّةٌ ، وَعِدَّةٌ ، وَزِنَةٌ .

ويرى ابن يعيش أن الأصل فى المصدر أن يكون مكسور الواو أى على وزن (فَعُلٌ)^(١) ثم اعتلت الواو بنقل حركتها إلى العين الساكنة ، فصار على وزن (فَعِلٌ) ثم حذفت الواو لأنها لوبيقت لجيء بهمزة وصل مكسورة ، وكان مصيرها سيكون بقلها ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ، وكان حذفها لسببين الأول : لأنها مكسورة والكسرة ثقيلة على الواو ، والثاني حتى تحمل على الفعل فى الاعتلال يقول : « الذى أوجب حذف الواو هنا أمران ، أحدهما : كون الواو مكسورة والكسرة تستثقل على الواو ، والآخر : كون فعله معتلاً ، ألا تراك تقول : قُمْتُ قِيَامًا وَلَذْتُ لِيَاذًا والأصل : قَوَامًا وَلِوَاذًا فاعلتهما بالقلب لاعتلال الفعل ، ولوصح الفعل لم يعتل المصدر ، وذلك نحو قولك : قَاوَمَ قَوَامًا وَلَاوَذَ لَوَاذًا ، فيصح المصدر فيهما لصحة الفعل لأن الأفعال والمصادر تجري مجرى المثال الواحد ، فاجتماع هذين الوصفين علة حذف الواو من المصدر . فلو انفرد أحد هذين الوصفين لم تحذف له الواو ، نحو : الوعد والوزن ، لما انفتحت الواو وزالت الكسرة لم يلزم الحذف وإن كان الفعل معتلاً فى يَزِنُ وَيَدْعُ ، وقالوا : واددته وِدَادًا وواصلته وِصَالًا ، فالواو ثابتة ههنا وإن كانت الواو مكسورة لاعتلال الفعل . .

(١) يبدو لى أن ابن يعيش متأثر هنا بقول ابن جنى : «إنما ألزموا مصدر باب وَعَدَ (فَعَلَةً) مكسورة الفاء لتحذف الواو فى المصدر أيضاً استقلالاً لها» المتصف ١٩٦/١ .

واعلم أن إعلال نحو عِدَّةً وَزَنَةً إنما هو بنقل كسرة الفاء التي هي الواو إلى العين، فلما سكنت الواو ولم يمكن الابتداء بالسكن الزموها الحذف لأنهم لو جاءوا بهمزة الوصل مكسورة أدى ذلك إلى قلب الواو ياء لانكسار ما قبلها وسكونها، فكانوا يقولون : ايعَدْ ياء بين كسرتين، وذلك مستقل، فصاروا إلى الحذف ، فإذا قصد الإعلال بنقل الحركة والحذف وقع تبعاً ^(١).

ويرى الرضى عكس ذلك فعنده أن الواو في المصدر مفتوحة، أى على وزن (فَعَلَ)، ويرى أن حذفها ليس واجباً بل هو جائز، فتقول : وَعَدَ يَعِدُ وَعَدًا وَعِدَةً لأن المصدر هو الأصل في الاشتقاق ، والدليل على أن الحذف جائز أن الواو هنا ليست مكسورة، ثم يرى أن حذف الواو من باب حمل الأصل على الفرع وقد حذفت مع حركتها ، فليس فيه نقل الكسرة إلى العين الساكنة ، وبعد الحذف أصبحت الكلمة تبدأ بحرف ساكن وهو العين فحركت بالكسرة لسببين، الأول : أنها الأصل في تحريك الساكن والثاني حتى تناسب العين عين الفعل المكسورة ، ولأجل هذه المناسبة لم يؤت بهمزة وصل . يقول : «وأما المصدر فلما كان أصل الفعل في الاشتقاق لم يجب إعلاله بإعلال الفعل، إلا إذا كان جزءً مُقْتَضًى الإعلال فيه ثابتاً كالكسرة في قيام أو كان مناسباً للفعل في الزيادة المصدرة لإقامة واستقامة، فلهذا جاز حذف الواو من مصدر يعدا. وإثباتها ، نحو : عِدَّةً وَعَدَ ، إذ ليس فيه شئ من علة الحذف ولا المناسبة المذكورة ، وإذا حذفت منه شيئاً بالإعلال لم تذهل عن المحذوف رأساً ، بل تعرض منه هاء التانيث في الآخر. كما في : عدة واستقامة ؛ وذلك لأن الإعلال فيه ليس على الأصل إذ هو إتباع الأصل للفرع، وإنما كسر العين في عِدَّةً وأصله (وَعَدَ) لأن الساكن إذا حرك فالأصل الكسر وأيضاً ليكون كعين

(١) شرح المفصل ١٠/٦٦ .

الفعل الذى أجرى هو مجراه؛ فلهذا لم يجتلب همزة الوصل بعد حذف الفاء ^(١).

نخلص مما سبق إلى أن الأصل فى المصدر أن يكون مفتوح الواو على وزن (فَعَلَ) كما يرى ابن الأنبارى والرضى ، وأن كسر العين تفسيره واحد من أمرين :

الأول : أن هذه الكسرة منقولة من الفاء كما يرى ابن يعيش ، إذ الفاء قد ألزموها الكسر حتى تحذف كما حذفت فى الفعل كما يرى ابن جنى فى الهامش السابق، وحتى يطرد الباب على وتيرة واحدة، وعلى رأى ابن يعيش فإن المصدر يكون فيه إعلالان؛ أحدهما بالثقل (نقل الكسرة) والآخر بالحذف (حذف الواو) .

والثانى : أن هذه الكسرة ليست منقولة، إنما هى حركة عارضة بسبب سكون العين، إذ بعد حذف الواو أصبحت العين، ساكنة، وقد جيء بالكسرة لأنها الأصل فى تحريك الساكن وحتى تناسب حركة الفاء فى المضارع فتحذف كما حذفت فيه، ويكون فى المصدر هنا إعلال واحد فقط هو إعلال بالحذف، من باب حمل الأصل هو المصدر على الفرع وهو الفعل ، كما يرى الرضى .

٢ - حذف لام المعتل الآخر عند إسناده إلى واو الجماعة

يقول ابن الأنبارى مبيناً أصل كلمة (اشْتَرَوْا) فى قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ فَمَا رَیَّتْ تِجَارَتَهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ سورة البقرة : آية ١٦ . « أصل اشتروا : (اشْتَرَوْا) فتحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، وحذفت الألف لسكونها وسكون واو الجماعة بعدها، وكان حذفها أولى لأن الواو دخلت لمعنى ، والألف ما دخلت لمعنى ، فكان حذفها أولى .

(١) شرح الشافية ٨٩/٣ .

وقيل : استقلت الضمة على الياء فحذفت تخفيفاً ، فاجتمع ساكنان الياء والواو ، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين ، وكانت أولى بالحذف لما قد بينا في الوجه الأول ، وهو أقيس القولين ؛ وحُرِكت الواو لالتقاء الساكنين ، ولم تُحَرَك بالكسر على الأصل في التحريك لالتقاء الساكنين ، فرقاً بين واو الجمع والواو الأصلية ، نحو : لو استطعنا . وكانت الضمة أولى لثلاثة أوجه :

الأول : أنها واو الجمع ، فضُمت كما ضمت النون في (نحن) .

والثاني : أنها حركت بمثل حركة الياء المحذوفة قبلها .

والثالث : لأن الضمة في الواو أخف من الكسرة التي هي الأصل ؛ لأنها من جنسها^(١) .

- ويقول في موضع آخر مبيناً أصل كلمة (تَسَوَّنَ) في قوله تعالى : ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تُلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ سورة البقرة : آية ٤٤ «تَسَوَّنَ» أصله : (تَسَوَّنَ) فتحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً ، فاجتمع ساكنان الألف والواو ، فحذف الألف لالتقاء الساكنين .

وإن شئت أن تقول : استقلوا الضمة على الياء فحذفوها ، فبقيت الياء ساكنة والواو ساكنة ، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين ، وكانت الياء أولى لما بينا في : اشتروا^(٢) .

يُفْهَمُ مما سبق أن أصل : اشْتَرَوْا وَتَسَوَّنَ هو : اشْتَرَيْوْا وَتَسَوَّنَ ، وحتى وصول هذا الأصل إلى الصورة المنطوقة حدث له واحد من أمرين :

الأول : قلب الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها : اشْتَرَاوْا / تَسَاوَّنَ ، فيلتقي ساكنان : الألف وواو الجماعة ، فتحذف الألف وإن كانت حرفاً أصلياً

(٢) السابق ٧٩/١ .

(١) البيان ٥٨/١

(١) السابق ٧٩/١ .

دون الواو ؛ لأن الواو جاءت لمعنى، بينما الألف ليست كذلك ، فصار الفعلان اشْتَرَوْا / تَنْسُونَ .

والثانى : تحذف حركة الياء وهى الضمة للاستقلال ؛ إذ ليست من جنس الياء ، فيلتقى ساكنان : اشْتَرَيَوْا / تَنْسَيُونَ ، فتحذف الياء دون الواو جاءت لمعنى، فصار الفعلان : اشْتَرَوْا / تَنْسُونَ. وهذا الوجه هو الرجح عند ابن الأنبارى .

وأختلف مع ابن الأنبارى فى تفسيره السابق، لأن الياء ليست محركة بالضمة ، فحركاتها هى واو الجماعة وهى ضمة طويلة ، فليست هذه الضمة الطويلة حرفاً ساكناً مسبقاً بحركة من جنسها هى الضمة ، وتلك عادة القدماء دائماً وأرى أن ما حدث للفعلين السابقين يمكن أن يكون كالتالى :

- الصورة الأصلية كما ذكر ابن الأنبارى : اشْتَرَيَوْا وَتَنْسَيُونَ

(١) ش ت ر - ر - ي - / ت - ت س - ي - ن - .

١ - تحذف الياء ، فتلتقى حركة قصيرة منخفضة (الفتحة) وحركة طويلة مرتفعة (الضمة الطويلة) .

(١) ش ت - / - - - / ت - ن س - - - ن - .

٢ - تقلب الحركة الطويلة إلى مايقاربها صوتياً ، فتقلب واواً ^(١) .

(١) ش ت - ر - و / ت - ن س - و ن -

(٢) حذف الحركة .

ويكون هذا فى الماضى المبني للمجهول من الأجوف .

(١) انظر ما حدث لا يشبه هذين الفعلين فى : مدخل فى الصوتيات ١٨٠ .

- يقول ابن الأنبارى معلقاً على كلمة (قيل) فى قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ سورة البقرة : آية ١١ .

«وقيل أصله : (قُول) فنقلت . الكسرة من الواو إلى القاف فانقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها . . . وحكى عن بعض العرب إخلاص ضمة القاف ، وحذفت كسرة الواو ، وإبقاء الواو على حالها » ^(١) .

يُفهم مما سبق أن حذف الحركة من الماضى المبني للمجهول من الأجوف (قُول) أصل (قيل) قد وقع فى موضعين :

الاول : فى الغاء ، حيث حذفت ضمة القاف، ونقلت إليها حركة الواو وهى الكسرة، فأصبحت الواو ساكنة وقبلها كسرة ، فقلبت ياء :
قُولَ < قُولَ < قِيلَ .

وبهذا يكون فى هذا الفعل ثلاثة أنواع من الإعلال : إعلال بالحذف (حذف ضمة القاف) وإعلال بالنقل (نقل كسرة الواو إلى القاف) وإعلال بالقلب (قلب الواو ياء) . وهذا هو ما عليه الفصحى، وقد تحدثنا عن ذلك بالتفصيل فى الإعلال بالنقل .

والثانى : فى العين، حيث حذف كسرة الواو ، وأبقى على ضمة القاف دون حذف، كما أبقى على الواو دون قلب لأنها تنسجم مع الضمة السابقة عليها لأنها من جنسها :

قُولَ < قُولَ . وهنا لا يكون إلا إعلال واحد ، هو إعلال الحذف (حذف كسرة العين) وهذه لغة لبعض العرب .

وما حدث للأجوف الواوى السابق فى اللغة الثانية يحدث كذلك للأجوف

(١) البيان ٥٦/١ .

اليائى ، غير أن الياء تقلب واوا ؛ لأن الياء لاتتسجم مع الضمة ، يقول ابن يعيش : « وإن كان الأجوف يائياً انقلبت الياء واوا لسكونها وانضمام ما قبلها نحو : بوع المتاع وعُوب زيد » .

ثم يقول عن هذه اللغة إنها: «في مقابل اللغة السابقة ، من حيث إن الأولى تُرجع ذوات السواو إلى الياء ^(١) ، بينما هنا ترجع ذوات الياء إلى السواو» ^(٢).

وأرى أن ما حدث لـ (قَوْل) حتى وصل إلى (قَوْل) في لغة بعض العرب
يمكن أن يكون على النحو التالي :

١ - تماثل الكرة الضمة (مماثلة تقديمية) فتقلب ضمة تمثلها :

ق - و - ج - < ق - و - ج -

٢ - تحذف الواو لوقوعها بين حركتين متماثلتين، فتلحق حركتان قصيرتان من جنس واحد : ق - $\text{خ}^{\text{و}} \text{ل}^{\text{و}}$ - .

٣ - تتحول الحركتان إلى حركة طويلة (ضمة طويلة) ق - ؤ - ل - ـَ .

$$ق - و - ل - \text{ } < ق - و - ل - \text{ } < ق - و - ل - \text{ } < ق - و - ل - \text{ }$$

والامر كذلك بالنسبة للأجوف اليائي (يُبع) حتى وصل إلى (بُوع)، غير أنه يزيد عن الرواى فى أن الياء تماثل الضمة السابقة فتحول واوا :

بـ يُعـ < بـ وُـ عـ < بـ وُـ عُـ < بـ خـ عُـ
 < بـ عُـ

(١) إشارة إلى نحو : قيل وفيه في اللغة الأولى حيث قلبت الواو ياءً وصار الواوي مثل اليائي كما في نحو

۳:

(٢) شرح المفصل ١٠ / ٤ .

القسم الثاني : الإدغام

الإدغام بالتشديد من ألفاظ البصريين ، والإدغام بالتخفيف من ألفاظ الكوفيين^(١) والمقصود به لغة : إدخال الشئ فى الشئ ، يقال : أدغمت اللجام فى فم الدابة عاشم أى أدخلته فيه^(٢) .

واصطلاحاً : تقريب صوت من صوت^(٣) .

والإدغام على نوعين كبيرين ، ذكرها ابن جنى فى الخصائص ، الأول : الإدغام الأكبر ، والثانى : الإدغام الأصغر . وفيما يلى بيانهما :

أولاً : الإدغام الأكبر :

يقصد به إيصال بحرف مثله متحرك ، من غير أن يُفصلَ بينهما بحركة أو وقف^(٤) .

وهو نوعان :

★ الأول : إدغام المتماثلين :

ومعناه أن يلتقى الحرفان المتلذان على الأحكام التى يسوغ معها الإدغام ، فيدغم أحدهما فى الآخر .

والأول من الحرفين قد يكون ساكناً باعتبار الأصل ، كطاء قَطَعَ وكاف سَكَّرَ الأولين ، وقد يكون متحركاً أصلاً كدال شَدَّ ولام معتلّ ، إذ الأصل : شَدَّدَ ، ومُعْتَلِّل .

(١) شرح المفصل ١٠ / ١٢١ .

(٢) شرح الشافية ٣ / ٢٣٥ .

(٣) الخصائص ٢ / ١٤١ .

(٤) شرح المفصل ١٠ / ١٢١ .

★ والثاني : إدغام المتقاربين :

ومعناه أن يلتقى الحرفان المتقاربان على الأحكام التي يسوغ معها الإدغام ، فيقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه ويدغم فيه ، نحو : امحى واصبرَ وثأقل عنه .
والاصل : اَنَمَحَى واصْتَبَرَ وثَثَاقَلَ عنه ^(١) .

والسبب في قلب الأول إلى لفظ الثاني كما يقول ابن يعيش لأنه «لا يصح الإدغام إلا في مثلين ، إذ لو تركته على أصله من لفظه لم يجز إدغامه لما فيهما من الخلاف ، لأن رفع اللسان بهما رفعة واحدة مع اختلاف الحرفين محال ؛ لأن لكل حرف منهما مخرجاً غير الآخر ولا يمتنع ذلك في التماثلين لأن المخرج واحد يمكن أن يجمعهما في العمل فيقع اللسان عليهما وقعاً واحداً من حيث لا يفصل بينهما زمان ، فالإدغام في المتقاربة على التشبيه بالأمثال ، فكلما كانت أشد تقارباً كان الإدغام فيها أقوى ، وكلما كان التقارب أقل كان الإدغام أبعد» ^(٢) .

والهدف من الإدغام الأكبر كما يقول ابن جني يكمن في «تقريب الصوت من الصوت ، ألا ترى أنك في قَطَعَ ونحوه قد أخفيت الساكن الأول في الثاني حتى نبا اللسان عنهما نبوةً واحدة وزالت الوقفة التي كانت تكون في الأول لو لم تدعمه في الآخر ، ألا ترى أنك لو تكلفت ترك إدغام الطاء الأولى لتجشمت لها وقفة عليها تمتاز من شدة عمازجتها للثانية بها ، كقولك : قَطَطَعَ وسَكَّكَرَ ، وهذا إنما تحكمه المشافهة ، فإن أنت أزلت تلك الوقفة والفترة على الأول خلطته بالثاني فكان قربه منه وادغامه فيه أشد لجذبه إليه وإلحاقه بحكمه . فإن كان الأول من المثليين متحركاً ثم أسكته وادغمته في الثاني فهو أظهر أمراً وأوضح حكماً ؛ ألا ترى أنك إنما أسكته لتخلطه بالثاني وتجذبه إلى مضامته

(١) الخصائص ١٤١/٢ - ١٤٢ .

(٢) شرح المفصل ١٠ / ١٣٢ .

ومما ساء لفظه بلفظه بزوال الحركة التي كانت حاجزة بينه وبينه ، وأما إن كانا مختلفين ثم قلبت وأدغمت فلا إشكال في إثارة تقريب أحدهما من صاحبه ؛ لأن قلب المقارب أوكد من تسكين النظير « (١) » .

ويقول ابن يعيش أيضاً :

« والغرض بذلك طلب التخفيف لأنه ثقل عليهم التكرير والعود إلى حرف بعد النطق به ، وصار ذلك ضيقاً في الكلام بمنزلة الضيق في الخطو على المقيد ، فحاولوا تخفيفه بأن يدغموا أحدهما في الآخر (٢) ، فيضعوا ألسنتهم على مخرج الحرف المكرر وضعة واحدة ، ويرفعوها بالحرفين رفعة واحدة » .

ويقول الدكتور اوود عبده :

« إذا وقعت علة قصيرة بين صوتين صحيحين مثلين فإنه يمكن التخلص منها فسي نطاق القانون اللغوي المعروف بقانون : الحد الأدنى من الجهد the least effort ، فالتكلم حين يتخلص من العلة القصيرة في هذه الحالة يوفر بعض الجهد الذي يُبذل في تغيير وضع أعضاء النطق بعد لفظ الصوت الأول من الصحيحين المثليين من أجل لفظ العلة الواقعة بينهما ثم العودة إلى ذلك الوضع ذاته للفظ الصحيح الثاني . فهو بالتخلص من الفتحة الواقعة بين الدالين في (مدد) تصبح الدالان متواليتين فينطق بهما كليهما قبل أن ينقل أعضاء نطقه إلى وضع جديد « (٣) » .

وحركة أول المثليين لا بد من التخلص منها عند الإدغام في المثل الثاني إما بالحذف وإما بالنقل (القلب المكانسي) إلى الساكن الذي قبله ، فتحذف إذا كان الحرف الذي قبله متحركاً ، مثل : مدّ وشدّ والاصل : مددّ وشددّ . وتُنقل إلى

(١) الخصائص ١٤٢/٢ .

(٢) شرح المفصل ١٠ / ١٢١ .

(٣) دراسات في علم أصوات العربية ٢٢ .

ماقبله إن كان ساكناً ، نحو : يَرُدُّ وَيَمْدُّ وَيَقَرُّ وَمَقَرُّ ، والأصل : يَرَدُّ وَيَمْدُّ وَيَقَرُّ وَمَقَرُّ ، فنقلت الضمة والكسرة والفتحة إلى الحرف الساكن ، وذلك كراهية التقاء الساكنين أى ذلك الحرف وأول المدغمين ^(١) .

ويسمى الحرف الأول من المدغمين (مُدْغِماً) اسم مفعول لإدغامك إياه ، ويسمى الحرف الثانى (مُدْغِماً فِيهِ) لإدغامك الأول فيه ، ويشترط فى الحرف الثانى من المدغمين أن يكون متحركاً لأن الساكن كالميت لا يُظْهِرُ نفسه فكيف يُظْهِرُ غيره ^(٢) .

- وفيما يلى استعراض أمثلة للإدغام الأكبر بنوعيه من كتاب البيان :

١- إدغام المتماثلين :

- يقول ابن الأنبارى معلقاً على (ولا تَيَّمُوا) فى قوله تعالى : ﴿وَلَا تَيَّمُوا الْغَبِيَّتَ مِنْهُ﴾ سورة البقرة : آية ٢٦٧ .

« بتشديد التاء ^(٣) وتخفيفها . فالتشديد لأن أصله (تَيَّمُوا) فكروها اجتماع حرفين متحركين من جنس واحد ، وهما التاء ان فسكنوا التاء الأولى وأدغموها فى الثانية . . . فمن شدد لم يمكن أن يتبدل (تَيَّمُوا) دون (لا) لأنه يؤدى إلى أن يتبدل بالساكن ، والابتداء بالساكن محال ^(٤) .

وواضح هنا أن حركة التاء الأولى قد تَخَلَّصَ منها بالحذف ، وأُطِيلَ النطق بلا .

(١) الهمم ٢٨٤ / ٦ .

(٢) شرح مختصر التصريف العزى ٩٧ .

(٣) قرأ بالتشديد : البري والنقاش وأبو ربيعة بخلاف عنه وابن فليح والقواس وورش . معجم القراءات

٣٨٧ / ١ .

(٤) البيان ١٧٦ / ١ .

- ويقول فى موضع آخر تعليقا على قوله تعالى : ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ «سورة الانعام : آية ٨٠» .

«قُرئ بتشديد النون»^(١) وتخفيفها . فمن قرأ بتشديد النون فعلى الاصل لانه اصله : (اتحاجوننى) فاجتمع نونان : نون علامة الرفع ونون الوقاية ، فاجتمع حرفان متحركان من جنس واحد ، فاستقلوا اجتماعهما فسكنوا الاولى وأدغموها فى الثانية ... »^(٢) .

- ويقول أيضاً معلقاً على (يُودُّ) فى قوله تعالى : ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ «سورة البقرة : آية ١٠٥» .

«يُودُّ أصله : (يُودِدُ) لانه مضارع (وَدِدْتُ) إلا أنه نقلت الفتحة عن الدال الاولى إلى ما قبلها، فسكنت وأدغمت فى الدال الثانية»^(٣) .

٢ - إدغام المتقاربين :

- يقول ابن الأنبارى تعليقا على (تظاهرون) فى قوله تعالى : «ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ» «سورة البقرة : آية ٨٥» .

«قُرئ بتشديد الظاء»^(٤) وتخفيفها . فمن قرأ بالتشديد قال : لان أصله : (تَظَاهَرُونَ) فاستقلوا اجتماع حرفين متحركين من جنس واحد، فأزال استئصال

(١) قرأ بتشديد النون : ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحزمة والكسائى ويعقوب وعشام بخلاف عنه .
معجم القراءات ٢ / ٤٨٠ .

(٢) البيان ٣٢٨ / ١ .

(٣) السابق ١١٦ / ١ .

(٤) قرأ بالتشديد : ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب، معجم القراءات ١ / ١٤٣ .

اجتماع المشلين المتحركين بأن أبدل من التاء الثانية ظاء ، وأدغم الظاء في الظاء ... »^(١).

«ويقول في موضع آخر تعليقاً على (تسوى) في قوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾
«سورة النساء : آية ٤٢» .

« قرئ (تَسَوَّى) بتشديد السين . والواو وفتح التاء ... فمن قرأ بتشديد السين والواو كان التقدير فيه : (تَسَوَّى) فأبدل التاء الثانية سينا لقرب مخرجهما ، وأدغمت السين في السين »^(٢).

وأرى أن ماحدث للفعليين السابقين يعود إلى قانون المماثلة الصوتية ، وحدث لهما ما يأتي :

١ - سكنت التاء الثانية : (تَسَوَّى وَتَنْظَاهِرُونَ) وذلك بحذف حركتها ولم تُلْقَ على التاء الاولى لانها محركة . ولم تسكن التاء الاولى ، لانه لو فُعل ذلك لكانت الكلمة حيثئذ ستبدأ بحرف ساكن ، والبده بالسكن محال في العربية ، ولو جيء بهمزة وصل لكنا أمام بناء غريب لانظير له في العربية .

٢ - تماثلت التاء الثانية مع الظاء في (تنظَاهِرُونَ) فقلبت ظاء مثلها^(٣) (تَنْظَاهِرُونَ)

(١) البيان ١٠٤/١ .

(٢) قرأ بالتشديد : نافع وابن عامر وأبو جعفر والحسن ، معجم القراءات ٧٦/٢ .

(٣) البيان ٢٥٤/١ - ٢٥٥ .

(٤) تشترك التاء والظاء في تجاور مخرجيهما ، فالتاء من أصول الثنايا العليا ، والظاء مما بين الأسنان ، ويختلفان في جميع الصفات ، فالتاء صوت شديد مهموس مرفق ، أما الظاء فصوت رخو مجهور مفتوح . الاصوات اللغوية ٤٧ و ٦١ .

كما تماثلت التاء الثانية مع السين فى (تَسَوَّى) فقلبت سينا^(١) مثلها
(تَسَوَّى) عائلة رجعية regressive .

٣ - أدغمت الظاء الاولى فى الثانية (تَظَاهِرُونَ) والسين الاولى فى الثانية
(تَسَوَّى) .

تَظَاهِرُونَ < تَظَاهِرُونَ < تَظَاهِرُونَ .
تَسَوَّى < تَسَوَّى < تَسَوَّى < تَسَوَّى .

- ويقول فى موضع آخر كذلك معلقاً على (أَدَارَكُوا) فى قوله تعالى :
﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ
عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾ سورة الاعراف : آية ٣٨ .

«أَدَارَكُوا أصله : (تَدَارَكُوا) على وزن تفاعلوا ، إلا أنه أبدل التاء دالاً ،
وأدغمت الدال فى الدال ، فسكنت الدال الاولى والابتداء بالساكن محال ،
فاجتلبت ألف الوصل لثلاثاً يبدأ بالساكن »^(٢) :

وما حدث لـ (أَدَارَكُوا) يرجع إلى قانون المماثلة أيضاً ، فالأصل (تَدَارَكُوا)
كما ذكر ابن الأنباري ، وحدث ما يأتى :

١ - سَكُنَّت التاء وذلك بحذف حركتها ، إذ ليس قبلها ساكن فتلقى عليه ، وجئ
بهمزة وصل لثلاثاً يبدأ بساكن (أَدَارَكُوا) .

٢ - تماثلت التاء مع الدال التالية لها ، فقلبت دالاً مثلها ؛ لأنهما من مخرج
واحد هو أطراف الثنايا العليا ، ولا فرق بينهما إلا فى الهمس والجهر ،

(١) التاء والسين من مخرج واحد ، فهو أصول الثنايا العليا وليس من مخرجين مختلفين كما ذكر ابن
الأنباري ولا فرق بينهما إلا فى الشدة والرخاوة ، فالتاء صوت شديد والسين صوت رخو . السابق ٦١

فالتاء مهموسة والدال مجهورة، ويتفقان فى الصفتين الآخرين وهما :
الشدة والترقيق ^(١) (ادراكوا) .

٣ - ادغمت الدال الأولى فى الثانية : (ادراكوا) .

تداركوا < اتداركوا < ادراكو < ادراكوا ^(٢) .

ثانياً : الإدغام الأصغر

ذكر ابن جنى فى الخصائص أن الإدغام الأصغر يقصد به : «تقريب الحرف
من الحرف وإدناؤه منه من إدغام » وذكر أنه على أنواع ، منها :

١ - أن تقع فاء افتعل صاداً أو ضاداً أو طاء أو ظاء ، فتقلب لها تاؤه طاء ،
نحو : اصْطَبَّرَ واضْطَرَّبَ واطَّرَدَ واطْطَلَمَ ، والأصل : اصْتَبَّرَ واضْتَرَّبَ
واطْطَرَدَ واطْطَلَمَ .

وذكر أن (اطرد) من الإدغام الأصغر ، لكن الإدغام فيه لم يكن قصداً
إنما مصادفة (التقاطاً) ، حيث أبدلت التاء طاء ، فصادت الطاء طاء قبلها
فوجب الإدغام .

٢ - أن تقع فاء افتعل زايماً أو دالاً أو ذالاً ، فتقلب لها تاؤه دالاً ، نحو :
ازْدانَ وادْعَى واذْكَرَ ، وادَّكَرَ ، والأصل : ازْدَانُ وادْعَى واذْكَرَ .

« وذكر أن (ادْعَى) مثل (اطَّرَدَ) السابق ، أما (ادَّكَرَ) فاصله :

(اذْكَرَ) ثم (اذْكَرَ) بقلب التاء دالاً ، ثم (ادَّكَرَ) بقلب الدال دالاً لقرئها

(١) الأصوات اللغوية ٤٨ و ٦١ .

(٢) هناك أمثلة أخرى كثيرة لإدغام المتماثلين فى كتاب البيان ، راجع على سبيل المثال الجزء الأول ،
صفحات : ١٧٣ - ١٨١ - ٢٤٠ - ٢٦٢ - ٢٦٨ - ٢٧٤ - ٢٨٤ - ٤١٠ - ٤١٢ .

من الدال بالجهر وأدغمت في الدال الثانية، وعلى هذا فالإدغام هنا مقصود وليس مصادفة .

٣ - أن تقع السين قبل الحرف المستعلى، فتقربها من ذلك الحرف بقلبها صاداً، كقولهم فى سَقَتْ : (صَقَّتْ) وفى السُّوق (الصُّوق) ... الخ .

٤ - تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق كقولهم : شِعِيرٌ وَبِعِيرٌ وَرَغِيفٌ وَزَيْئِرٌ الأَسَدُ .

٥ - تقريب الحركة من الحرف ، وذلك بتحويل حركة عين المضارع من الكسر إلى الفتح إذا كانت العين أو اللام حرف حلق ، حتى تضارع جنس حرف الحلق نحو : سَأَلَ يَسْأَلُ وَسَعَرَ يَسْعَرُ وَسَحَلَ يَسْحَلُ وَقَرَأَ يَقْرَأُ وَقَرَعَ يَقْرَعُ وَسَبَّحَ يَسْبَحُ .

٦ - تقريب الحركة من الحركة ، كقولهم : الحمدُ لله ، والحمدُ لله .

٧ - تقريب الحرف من الحرف، كقولهم فى نحو : مصدر (مَزْدَر) ومنه قولهم فى المثل : لَأَحْرِمَ مَنْ فَزَدَ لَهُ ، أى : فُضِدَ لَهُ .

ثم يقول أخيراً عما سبق : «وجميع ما هذه حاله مما قُرِبَ فيه الصوت من الصوت جارٍ مجرى الإدغام وما ذكرناه من التقريب ، وإنما احتفظنا له بهذه السمة التى هى الإدغام الصغير ، لأن فى هذا إيذاناً بأن التقريب شامل للموضوعين ، وأنه هو المراد المبغى فى كلتا الجهتين ، فاعرف ذلك » (١) .

وفيما يلى عرض ماورد فى كتاب البيان من أمثلة تندرج تحت ما سبق من الإدغام الأصغر :

(١) انظر فيما سبق الخصائص ١٤٣/٢ - ١٤٧ .

١ - وقوع فاء الفعل صاداً أو ضاداً أو طاء أو ظاء :

- يقول ابن الأنباري معلقاً على كلمة (اضطر) في قوله تعالى : ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ . (سورة البقرة : آية ١٧٣) .

« اضطر أصله : (اضْطَرَّ) فأبدل من تاء الافتعال طاء لتوافق الضاد في الإطباق ، وحُدِّثت كسرة الراء الأولى وأدغمت في الثانية » ^(١).

- يقول في موضع آخر معلقاً على كلمة (يطعمه) في قوله تعالى : ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ . (سورة الانعام : آية ١٤٥) .

« قُرئ (يَطْعِمُهُ) بتشديد الطاء وكسر العين ^(٢) ، وأصله : (يَطْعِمُهُ) على وزن يفتعله ، إلا أنه أبدل من التاء طاء لأن التاء حرف مهموس والطاء حرف مطبق مجهور فاستثقل اجتماعهما ، فأبدل من التاء طاء لتوافق الطاء في الإطباق ، وأدغم الطاء في الطاء » ^(٣).

يلاحظ أن التاء قد قلبت طاء في الكلمتين السابقتين (اضْطُرَّ وَيُطْعِمُهُ) وأصلهما : (اضْطَرَّ وَيُطْعِمُهُ) . وهذا يسميه ابن الأنباري وغيره من القدماء إبدالاً ، ويكون هذا مع أى كلمة تأتى «وزن افتعل» بشرط أن تكون الفاء صاداً أو ضاداً أو طاد أو ظاء ، والعلة في ذلك ترجع إلى أن هذه الحروف مستعلية مطبقة والتاء مهموسة غير مطبقة ، فقصده بالإبدال التجانس في الصفات . يقول ابن يعيش :

(١) البيان ١ / ١٧٣ .

(٢) قرا بذلك : علي بن أبي طالب وأبو جعفر بن محمد بن علي الباقر . معجم القراءات ٥٧٦/٢ .

(٣) البيان ١ / ٣٤٧ .

«أبدلت الطاء من التاء إبدالاً مطرداً ، وذلك إذا كانت فاء افتعل أحد حروف الإطباق، وهي أربعة : الصاد والضاد والطاء والظاء ، نحو اصطبر يصطبر واضطرب يضطرب واطرد واطظلم . والأصل : اصتبر واضترب واطترد واطظلم . والعلة في هذا الإبدال أن هذه الحروف مستعلية فيها إطباق والتاء حرف مهموس غير مستعل ، فكرهوا الإتيان بحرف بعد حرف يضاده ويتنافيه ، فأبدلوا من التاء طاء لأنهما من مخرج واحد، ألا ترى أنه لو الإطباق في الطاء لكانت دالاً ، ولولا جهر الدال لكانت تاء ، فمخرج هذه الحروف واحد إلا أن ثم أحوالاً تفرق بينهم من الإطباق والجهر والهمس .

وفي الطاء إطباق واستعلاء يوافق ما قبلها فيتجانس الصوت ويكون العمل من وجه واحد فيكون أخف عليهم «^(١).

وهذا في علم اللغة الحديث يخضع لقانون المماثلة الصوتية assimilation فالتاء تماثل الفاء في صيغة (افتعل) إذا كانت الفاء حرفاً مفخماً (مماثلة تقدمية progressive) لأن التفخيم يمتد إلى القطع المتجاورة بفعل الاجترار، وإذا أضيفت سمة التفخيم إلى سمة التاء صارت طاء . ويكون التماثل كلياً إذا كانت الفاء طاء ، أما إذا كانت صاداً أو ضاداً أو ظاء فإن التماثل يكون جزئياً ، وهو المعروف بالتقريب، كما أشار ابن جني من قبل، من ذلك :

اَطَّلَعَ < اَطَّلَعَ . اصْطَلَحَ < اصْطَلَحَ .
اضْطَرَبَ < اضْطَرَبَ^(٣) .

(١) إشارة إلى أن الطاء هي النظير المفخم للدال على أساس أنهما مشتركان في الجهر . هذا عند القدماء أما عند المحدثين فهي النظير الفخم للتاء على أساس أنهما مشتركان في الهمس . راجع المدخل إلى علم اللغة ٧٥ .

(٢) شرح المفصل ٤٦/١٠ - ٤٧ .

(٣) مدخل في الصوتيات ١٨٦ .

٢ - تقريب الحرف من الحرف:

يقول ابن الأنباري عن أصل كلمة (الصراط) في قوله تعالى : ﴿هَذَا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ﴾ «سورة الفاتحة : آية ٣٦» .

« أصل الصراط ^(١) : (السَّراط) إلا أنهم أبدلوا من السين صاواً لتوافق الطاء في الإطباق » ^(٢) .

فالعلة إذن في الإبدال ترجع إلى أنهم أرادوا أن تنسجم السين مع الطاء لأن السين حرف مهموس والطاء حرف مفخم، فقرأوا السين منها بقلبها إلى نظيرها المفخم وهو الصاد ليحصل بذلك التوافق ، ومعنى هذا أن الحرفين متوافقان في التضمين هنا ، غير أنهما يختلفان في صفتين أخريين هما الجهر والهمس ، فالطاء عند القدماء مجهورة ، يقول ابن يعيش :

« قلبوا السين صاداً لوقوعها قبل الطاء ، وهذا الحرف مجهور مستعل والسين مهموس مستقل ، فقرأوا الخروج منه إلى المستعلى ، لأن ذلك مما يثقل فأبدلوا من السين صاداً ، لأنها توافق السين في الهمس والصغير وتوافق الطاء في الاستعلاء ، فيتجانس الصوت ولا يختلف » ^(٣) .

أما عند المحدثين من علماء اللغة فالطاء صوت شديد مهموس مفخم وليس مجهوراً كما ذكر ابن يعيش ، وذلك طبقاً لنطقنا إياه اليوم ، وقد كان نطقهم بجهر الطاء يشبه نطقنا الصاد ، وهمسة يعد من التطور أو التغير الذي أصاب هذا الصوت ، وأن المستشرق الألماني (شاده) يرى أن هذا النطق القديم يوجد لدى سكان جنوب الجزيرة العربية ^(٤) .

(١) قرأ بالصاد الجمهور ، ومنهم : ابن كثير ، وعبد الوهاب بن فليح ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم والكسائي وابن جعفر وشيبة وقتادة - معجم القراءات ١٧/١ .

(٢) البيان ٣٨/١ . (٣) شرح المفصل ١٠ / ٥١ - ٥٢ .

(٤) للدخول إلى علم اللغة ٧٥ - ٧٦ .

ويقول ابن الأنباري كذلك عن كلمة (الصراط) السابقة :

« ومنهم من أبدل منها أيضاً زايًا ، فقالوا : (الزَّراط) ^(١) لتوافق الزاي في الجهر لأنها مهموسة . »

معنى هذا أن السين قلبت زايًا لأن السين مهموسة والزى مجهورة فكان إبدالها زايًا لتكون مجهورة ، وفي هذه الحالة توافق الطاء في صفة الجهر .

ويقول كذلك عن الكلمة نفسها :

« ومنهم من أشمَّ الصاد شيئاً من الزاي ^(٢) ؛ لأنه رأى جهر الطاء وإطابقه ، فأتى بالصد مراعاة للإطباق وأشمها شيئاً من الزاي مراعاة للجهر » ^(٣) .

يفهم من ذلك أن السين أبدلت صاد لتوافق الطاء في التضعيف ، ثم أشتمت شيئاً من الزاي لتوافق الطاء في صفتي التثخيم والجهر معاً .

إذن من خلال ما سبق نقول : إن كلمة (الصراط) حدث لها ثلاثة أنواع من الإبدال :

١ - وأبدلت صاداً (الصَّراط) لتوافق الطاء في التثخيم فقط دون الجهر : ٢ -
وأبدلت زايًا (الزَّراط) لتوافق الطاء في الجهر فقط دون التثخيم .

٣ - أبدلت صاداً مع إشمامها شيئاً من الزاي لتوافق الطاء في التثخيم والجهر .

(١) قرأ بذلك : حمزة وأبو عمرو والكسائي في رواية ابن ذكوان عنه وعن عاصم في رواية مجالد بن سعيد عنه بالزاي الخالصة . وهي لغة بني عذرة وبني كلب وبني القين . معجم القراءات ١٧/١ - ١٨ .

(٢) قرأ بذلك : حمزة من طريق خلف وفيه تفصيل عن روايته وخلاد والمطوعي ، ورواه عن حمزة الدوري فيما كان فيه ألف ولام فقط ، وهي قراءة أبي عمرو وهارون الأهور والمريان عن أبي سفيان وخلف . معجم القراءات ١٨/١ .

(٣) البيان ٣٨/١ .

وجميع ما حدث للسین هنا يخضع لقانون المائلة الصوتية ، ويلاحظ أن المائلة هنا رجعية ، حيث إن المؤثر هنا هو الطاء .

٣ - موافقة الحركة للحرف:

يقول ابن الأنباري عن أصل كلمة (اليسع) فى قوله تعالى : ﴿وَأَسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ سورة الأنعام : آية ٨٦ .

« قيل الأصل فى (اليسع) بلام واحدة (يسع) وهو فعل مضارع سُمي به ونُكِّر وأُدْخِل عليه الألف واللام . والأصل فى يسع (يُوسَع) وأصل يُوسَعُ (يُوسِعُ) لأنه عما جاء على فعل يفعل، نحو : وَطِنٌ يَطَأُ وأصله : يَوطِنُ ، إلا أنه فتحت العين لمكان حرف الحلق»^(١).

يُفهم مما سبق أن اللام إذا كانت من حروف الحلق وكانت العين فى المضارع مكسورة ، فإن الكسرة تتحول إلى فتحة ، كما فى : يَسَعُ وَيَطَأُ ، والأصل يُوسَعُ وَيَوطِنُ < يسع ويطي > يَسَعُ وَيَطَأُ .

وما حدث مع اللام إذا كانت من حروف الحلق يحدث كذلك مع العين إذا كانت من تلك الحروف كما ذكر ابن جنى من قبل، نحو : سَعَرِ يَسْعَرُ وسَأَلَ يسأل، والأصل فى المضارع بالكسر : يَسْعِرُ وَيَسْتَلُ .

والعين تكون مكسورة فى المضارع إذا كانت العين مفتوحة فى الماضى ، وتحول العين من فتح فى الماضى إلى كسر فى المضارع من باب المغايرة ، وهذا يعنى أن وزن فَعَلَ يَفْعَلُ وزن طارئ بسبب وجود حلق فى العين أو اللام .

والسبب فى ميل العين إلى الفتحة دون الكسرة فيما سبق يرجع كما يقول برجشتراسر إلى أن اللسان فى نطق الحروف الحلقية يُجذَّب إلى الراء مع بَسْط

(١) السابق / ١ / ٣٣٠ .

وتَسْطِيعُ له ، وهذا هو وضعه فى نطق الفتحة . وإيثار الفتحة على الكسرة أو الضمة فيما تكون لامه حرفاً حلقياً قديماً فى السامية الأم ، وبقي كذلك فى أكثر اللغات السامية، فيفتح فى الأكادية : iptē أصله yiptah : وفى العبرية yiptah وفى الآرامية niptah وفى الحبشية yeftah^(١).

٤ - تقريب الحركة من الحركة :

يقول ابن الأنبارى معلقاً على كلمة (الحمد) فى قوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ سورة الفاتحة : آية ١ ، وقراءة من قرأ بكسر الدال من (الحمد)^(٢) إتباعاً لكسرة اللام من (الله) كقولهم فى مِثْن : (مِثْن) فكسرت الميم إتباعاً لكسرة التاء .

وقراءة من قرأ بضم اللام^(٣) إتباعاً لضمة الدال ، كقولهم : (مِثْن) بضم التاء إتباعاً لضمة الميم . فقراءتان ضعيفتان فى القياس قليلتان فى الاستعمال ؛ لأن الإتياع إنما جاء فى ألفاظ يسيرة لا يُعْتَدُ بها فلا يُقَاسُ عليها^(٤).

- يقول أيضاً معلقاً على كلمة (فَلَأُمُّه) فى قوله تعالى : ﴿فَلَأُمُّهُ الثَّلْثُ﴾ : سورة النساء : آية ١١ « قُرِئَ بضم الهمزة^(٥) وكسرها^(٦) ، فمن ضمها فعلى

(١) الطور النحوى ٦٣ .

(٢) قرأ بذلك : الحق وزيد بن على ورؤية وأبو نهيك وهذه قراءة أغرب من (الحمد لله) لأن فيها إتباع حركة معرب وهو الدال لحركة غير إعراب وهى حركة اللام ومثل هذا عند ابن جنى لُفْيَةٌ ضعيفة لأن حركة الإعراب لا تستهلك لحركة الإتياع إلا فى هذه اللغية . معجم القراءات ٤/١ .

(٣) قرأ بذلك : إبراهيم عن أبى عبل . ورويت عن الحسن ، وذكر السقراء أنها لغة لبعض بنى ربيعة السابق ٤/١ .

(٤) البيان ٣٤ - ٣٥ .

(٥) قرأ بذلك : ابن كثير ونافع وحفص وعاصم وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر .

(٦) قرأ بذلك : حمزة والكسائى والأعشى وعلى ، وهى لغة حكاها سيويه ، وذكر الكسائى والقراء أنها لغة هوازن وهذيل . معجم القراءات ٢٨/٢ .

الأصل، ومن كسرهما فعلى الإتياع كقولهم : مِتْنُ فَي : مِتْنِ ، والمِغْيَرَةُ فِي
المُغْيَرَةِ وَمِنْخَرٍ فِي مَنْخَرٍ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ « (١) .

وكل ما سبق يدخل كذلك في باب المماثلة الصوتية .

١ - الحمدُ لله . الأصل : الحمدُ لله ، مائلت الكسرة الضمة ، فقلبت ضمة
مثلها (مماثلة تقديمية) .

٢ - الحمدُ لله وإِلهُ ، الأصل : الحمدُ لله ، ولأُمة . مائلت الضمة الكسرة،
فقلبت كسرة مثلها (مماثلة رجعية) .

(١) البيان ٢٤٤/١ .

القسم الثالث : تخفيف الهمزة

١ - تخفيف الهمزة

يرى العلماء القدامى ، ومنهم ابن يعيش ، أن السر في تخفيف الهمزة يرجع إلى أنها صوت شديد مستقل يخرج من أقصى الحلق ، حيث عدوه من أدخل الحروف في الحلق وبهذا استقل النطق به ، إذا كان إخراجهم كالتنوع ، وهذا هو الذى ساغ فيه التخفيف^(١).

وقد عدّها سيويه وغيره من القدماء من الأصوات المجهورة^(٢).

ويوافق المحدثون من اللغويين القدامى كذلك على أن نطق الهمزة يحتاج إلى جهد عضلى أكثر مما يحتاجه أى صوت آخر ، وهو عندهم من الأصوات الحنجرية لا الحلقية ، كما أنه عند بعضهم لاهو بالمجهور ولا هو بالمهموس .

يقول الدكتور / إبراهيم أنيس واصفاً إياه :

«تنطبق فتحة الزمار انطباقاً تاماً ، فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق ، ثم تنفجر فتحة الزمار فجأة فيسمع صوت انفجارى هو مانعبر عنه بالهمزة .

فالهمزة عنده إذن صوت شديد ، لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس ؛ (خلافاً لبعض علماء اللغة المحدثين أيضاً) لأن فتحة الزمار معها مغلقة إغلاقاً تاماً ، فلا تسمع لها ذبذبة الوترين الصوتيين ، ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفجر فتحة الزمار ، ذلك الانفراج الفجائى الذى يستج الهمزة .

(١) شرح الفصل ١٠٧/٩ .

(٢) المدخل إلى علم اللغة ٥٦ .

ولاشك أن انحباس الهواء عند الزمار انحباساً تاماً ثم انفراج الزمار فجأة عملية تحتاج إلى جهد عضلي قد يزيد على ما يحتاج إليه أى صوت آخر ، مما يجعلنا نعد الهمزة أشق الأصوات ، ومما جعل لها أحكاماً مختلفة فى كتب القراءات « (١) .

وقد وافقه على أن الهمزة صوت لاهو بالمجهور ولا هو بالمهموس بعض المحدثين ، منهم الدكتور كمال بشر^(٢) ، والدكتور محمود السمران^(٣) .

وخالفه فى هذا الوصف الدكتور عن الرحمن أيوب ، ورأى أنه مهموس . يقول : « يقرر الدكتور إبراهيم أنيس فى كتابه : الأصوات اللغوية ؛ أن الهمزة صوت لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس . وبالرجوع لتعريف الدكتور أنيس للجهر والهمس فى الكتاب نفسه ، نجد أنه يصف الجهر بأنه صوت موسيقى ، يحدث من اهتزاز الوترين الصوتيين اهتزازاً منظماً . ويصف الصوت المهموس بأنه الصوت الذى لا يهتز معه الوتران الصوتيان ، ومعنى هذا أن الأوتار الصوتية إما أن تنذبذب فيحدث الجهر أو لا تنذبذب فيحدث الهمس ولا ثالث لها تين الإمكانيتين . ومن ثم فإن وصف الدكتور أنيس للهمزة بأنها ليست مجهورة ولا مهموسة وصف غير دقيق » (٤) .

وكذلك الدكتور تمام حسان . يقول :

« الهمزة صوت حنجرى شديد مهموس مرقق يتم نطقه بإقفال الأوتار الصوتية إقفالاً تاماً وحبس الهواء خلفهما ثم إطلاقه بفتحها فجأة ، ويطلق على هذا الصوت عادة الاصطلاح (وقفة حنجرية Glottal stop) وتأتى جهة الهمس

(١) الأصوات اللغوية ٩٠ .

(٢) علم الأصوات ٢٨٨ .

(٣) علم اللغة - مقدمة للقارئ العربى ١٥٧ .

(٤) المدخل إلى علم اللغة ٥٧ .

فى هذا الصوت من أن إقفال الأوتار الصوتية معه لايسمح بوجود الجهر فى النطق . ولكن النحاة والقراء أخطأوا فعدوا هذا الصوت مجهوراً ، وهو أمر مستحيل استحالة مادية مادامت الأوتار الصوتية مقفلة فى أثناء نطقه « (١) .

وأيضاً الدكتور رمضان عبد التواب : يقول :

« الهمزة صوت شديد مهموس مرقق ، ينطق بإغلاق الأوتار الصوتية إغلاقاً تاماً يمنع مرور الهواء ، فيحتبس خلفهما ثم تفتح فجأة فينطلق الهواء متفجراً . ويأتى حكمنا بهمس هذا الصوت من ناحية أن الأوتار الصوتية معه تغلق تماماً فلا يحدث فيها ذلك الاهتزاز اللازم لصفة الجهر » (٢) .

والتخفيف لغة قريش وأكثر أهل الحجاز ، وقد استحسنوا ذلك لشغل الهمزة . والتحقيق لغة تميم وقيس ، قالوا : لأن الهمزة حرف فوجب الإتيان به كغيره من الحروف (٣) .

قال أبو زيد إن أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لاينبرون ، وقف عليها عيسى بن عمر ، فقال : ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر ، وهم أهل النبر ، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا . قال : وقال أبو عمر الهزلى : قد توضيت فلم يهمز وحولها ياء ، وكذلك ما أشبه هذا من باب الهمز » .

والنبر هو الهمز كما ذكر عيسى بن عمر ، فقد قال أهل المدينة للكسائي عندما كان يصلى بالناس إماماً وهمز بالقرآن وخلفه المهدي : تنبر فى مسجد رسول الله ﷺ بالقرآن ؟ ! (٤) .

(١) متابع البحث فى اللغة ٩٧ .

(٢) المدخل إلى علم اللغة .

(٣) شرح القصل ٩ / ١٠٧ .

(٤) للمدخل إلى علم اللغة ٥٧ .

ويؤخذ مما سبق أن الحجازيين لم يكونوا يهمنون ، فقد كانت لغتهم تسهيل الهمزة ، أما إذا اضطروا - أى كانوا يحاكون اللغة المشتركة وهى الفصحى التى أخذت الهمز من تميم - همزوا ^(١).

وتخفيفها عند الحجازيين كما يقول ابن يعيش يكون بثلاث طرق: «بالإبدال ، والحذف ، وأن تجعل الهمزة بين بين . فالإبدال بأن تزيل نبرتها قتلين ، فحيثئذ تصير إلى الألف والواو والياء على حسب حركتها وحركة ما قبلها . . . وأما الحذف فأن تسقطها من اللفظ البتة . وأما جعلها بين بين ، أى بين الهمزة والحرف الذى منه حركتها ، فإن كانت مفتوحة تجعلها بين الهمزة والألف . وإذا كانت مضمومة بين الهمزة والواو ، وإذا كانت مكسورة بين الياء والهمزة . ولا تخفف الهمزة إلا إذا تقدمها شئ ، وإذا وقعت أولاً لاتخفف سواء كانت مفتوحة أو مضمومة أو مكسورة ، نحو : أب وأحمد وإبراهيم ، إبل وأم وأترجة » ^(٢).

وفيما يلى عرض ما يدل على تخفيف الهمزة من كتاب البيان .

١ - الإبدال

تبدل الهمزة الساكنة حرفاً من جنس حركة ما قبلها ، فتبدل واواً إذا انضم ما قبلها ، وياءاً إذا انكسر ما قبلها .

- يقول ابن الأنبارى معلقاً على كلمة (يؤمنون) فى قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ سورة البقرة : آية ٣ .

« يجوز أن تقلب واواً ^(٣) لسكونها وانضمام ما قبلها ، كما تقلب فى (جؤنة

(١) السابق ٥٨ . (٢) شرح المفصل ١٠٧/٩ .

(٣) أى (يؤمنون) وقد قرأ بها : ورش عن نافع، وأبو عمرو إذا أدرج القراءة أو قرأ فى الصلاة، وروى ذلك عن عاصم، وقرأ بترك الهمزة ، هنا كذلك : أبو جعفر والسوسى والأعشى وأبو بكر عن عاصم. معجم القراءات ٣٠/١ .

وسؤل قال تعالى : ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ سورة طه : آية ٣٦ (١) .

- ويقول فى موضع آخر معلقاً على (الذى أوتمن) فى قوله تعالى : ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ سورة البقرة : آية ٢٨٣ .

﴿قَرِئَ﴾ (الذى ائتمن) (٢) بياء ، وهى بدل من الهمزة الساكنة التى هى فاء الفعل من (أؤتمن) وإنما أبدلت الهمزة ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ، كما قالوا فى بشر : وفى ذنب : ذيب . وقد مرئ بهما ، قال الله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ مُطَهَّرَةً﴾ سورة الحج : آية ٤٥ وقال تعالى : ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ (٣) سورة يوسف : آية ١٧ . بغير همزة وهذا قياس مطرد فى كل همزة ساكنة مكسور ما قبلها أن تُقلب ياء (٤) .

ويلاحظ أن (أؤتمن) بهمزتين : الأولى همزة الوصل والثانية فاء الفعل وهى ساكنة ، وقد جيء بالهمزة الأولى توصلاً إلى النطق بالثانية الساكنة ، وفى حالة الوصل تحذف همزة الوصل لأن قبلها حرف مكسور وهو الذال فى (الذى) . لهذا أبدلت الهمزة ياء .

- وأرى فيما سبق أن الهمزة الساكنة المضموم ما قبلها لم تقلب واواً ، وكذلك المكسور ما قبلها لم تقلب ياء ؛ لأن ليست هناك علاقة صوتية بين الواو أو الياء والهمزة ، فالواو والياء هنا حرفا مد أو حركات طويلة بينما الهمزة

(١) البيان ٤٧/١ .

(٢) قرأ بذلك : ابن محسن وورش وأبو عمرو بخلاف عنه وأبو جعفر والسوسى « معجم القراءات » ٤٢٦/١ .

(٣) قرأ بذلك : أبو عمرو بخلاف عنه ولوقية وأبو جعفر والأعمش وربيعة وابن قُليج عن ابن ذكوان ونافع فى رواية ورش وابن جمل وبعثوب وخارجة والأروق والأصبهاني والسوسى والمسيبى فى رواية والزبيدى وأبو زيد . معجم القراءات ١٢٩/٦ .

(٤) قرأ بذلك : الكسائى وأبو عمرو فى رواية وقالون وعباس بن الفضل وخلف و ملين من طريق عبد السلام . معجم القراءات ٤/ ٢٠٠ .

(٥) البيان ١٨٤/١ .

صوت صامت . وأرى تبعاً لذلك أن الهمزة هنا قد حذفت وأطيلت الحركة السابقة عليها .

يؤمنون : ي - ء م - ن - ء ن - < ي - ء م - ن - ء ف - الذى
 أوئمن : ء - ل - ذ - ء ت - م - ن - < ء - ل - ذ - ت - م - ن

٢- حذفها :

إذا تحركت الهمزة وسكن ما قبلها فإنها تحذف وتنقل حركتها إلى ذلك الساكن .

- يقول ابن الأنباري عن أصل لفظ الجلالة (الله) فى قوله تعالى : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ «قيل من (أَلِهَتْ) أى تمجرت ، فسمى سبحانه (إلهاً) لتحير العقول فى كنه ذاته وصفاته ، ثم أدخلت عليه الألف واللام ، وحذفت الهمزة وألقت حركتها على اللام الأولى ، فاجتمع حرفان متحركان من جنس واحد ، فاسكنت اللام الأولى وأدغمت فى الثانية »^(١) .

يفهم مما سبق أن لفظ الجلالة (الله) قد مر بالمراحل الصوتية الآتية : إله < الإله < إله < الله .

- ويقول عن قوله تعالى : ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ «سورة البقرة : آية ٧١» .

« قُرئ (قالوا الآن) »^(٢) بحذف الهمزة من الآن وإلقاء حركتها على اللام الساكنة قبلها ، وإثبات الواو لتحرك اللام »^(٣) .

(١) البيان ٣٣/١ .

(٢) قرأ بذلك : ورش وابن وردان وأبو جعفر وهى قراءة حمزة كذلك فى إحدى قراءتيه . معجم القراءات

١٢٧/١ .

(٣) البيان ٩٤/١ .

يقصد هنا بقوله (إثبات الواو) أى بقائها وعدم حذفها وذلك بسبب تحرك اللام بعد نقل حركة الهمزة المحذوفة إليها ؛ إذ لم يلتق ساكتان ، بحسب تعبير القدماء ، فهم يعتبرون أن الواو هنا وهى واو المد ساكنة ^(١) .

- ويقول عن أصل كلمة (مَلَك) مفرد (ملائكة) فى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ سورة البقرة : آية ٣٠ .

« الملائكة جمع (مَلَك) على أصله فى الهمز بعد القلب ، وهو (مَلَأَك) وأصل مَلَأَك (مَأْلَك) لأنه من (أَلَك) إذا أرسل ، ووزنه على الأصل مَفْعَل ، فنقلت العين إلى موضع الفاء ، فصار مَلَأَكَا ، كما قال الشاعر :

فَلَسْتُ لِإِنْسِي وَلَكِنْ لِلْأَكِ تَتَرَّكَ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ يَصُوبُ .

ووزنه (مَفْعَل) لنقل العين إلى موضع الفاء ، ثم حذفت الهمزة من مَلَأَك ، فصار : مَلَأَكَا ووزنه (مَعْل) لحذف الفاء ^(٢) .

يُفْهَمُ مما سبق أن كلمة (مَلَك) مرت بالمراحل الصوتية الآتية :

مَأْلَك < مَلَأَك بقلب العين إلى موضع الفاء ، قلباً مكانياً < مَلَك بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام الساكنة السابقة .

وأتفق مع ابن الأنبارى وغيره من العلماء القدامى فى أن الهمزة المتحركة هنا قد حذفت وألقيت حركتها على الساكن الذى قبلها . يقول ابن يعيش عن هذه الهمزة :

(١) واو المد فى علم اللغة الحديث حركة طويلة ، وهى فى قوله تعالى : (قالوا الآن) مع اللام الساكنة ليست ساكنة ، ولكنها حركة طويلة تقصر لوقوعها فى مقطع مغلق (ص ح ص) ق - - ل - - ل - - ل - - ل - - ن - - ق - - ل - - ل - - ن - - ، وعندما تحذف الهمزة تعود تلك الحركة لأنها فى نهاية مقطع مفتوح (ص ح ح) ق - - ل - - ل - - ل - - ن - -

(٢) البيان / ١٧٠ .

« إن كان ما قبل الهمزة المتحركة حرفاً صحيحاً ساكناً ، فالطريق في تخفيفها أن تلقى حركتها على ما قبلها وتحذفها ، تقول في مَسْأَلَة : مَسَلَّة ، وفي المرأة : المَرْءَة ، وفي المرأة : المِرَاءَة . وذلك أن الحذف أبلغ في التخفيف ، وقد بقي من أعراضها ما يدل عليها ، وهو حركتها المنقولة إلى الساكن قبلها ، ولم يجعلوها بين بين لأن في ذلك تقريباً لها من الساكن ، فكروها الجمع بين ساكنين » ^(١) .

٢ - تخفيف الهمزتين

إذا كان أهل الحجاز يلجأون إلى تخفيف الهمزة لثقلها فإنه إذا اجتمع همزتان كان التخفيف واجباً لأن الثقل هنا زائد . يقول ابن يعش :

«تقدم أن الهمزة حرف مستثقل لأن مخرجها بعيد ، حيث هي عبارة عن نبرة في الصدر تخرج باجتهاد ، فتقل عليهم إخراجها لأنه كالتنوع ، ولذلك مال أهل الحجاز إلى تخفيفها ، وإذا كان ذلك في الهمزة الواحدة فإذا اجتمع همزتان ازداد الثقل ووجب التخفيف ، فإن كانتا في كلمة واحدة كان الثقل أبلغ ووجب إبدال الثانية » ^(٢) .

ويؤيده في وجوب التخفيف كذلك الدكتور إبراهيم أنيس ، يقول : « وإذا كانت الهمزة المفردة قد احتاجت إلى جهد عضلي جعل اللهجات العربية تصرفها بتسهيلها مرة وسقوطها مرة أخرى . فمما لا شك فيه أن توالى همزتين أشق و يحتاج إلى جهد عضلي أكثر في نطقهما » ^(٣) .

وبناء على ما تقدم نقول : إنه إذا اجتمعت همزتان فإن التخفيف ينصب على الهمزة الثانية ولا يأتى على الأولى إلا قليلاً كما سنرى فيما بعد .

(١) شرح المقص ١٠٩/٩ .

(٢) شرح المقص ١١٦/٩ .

(٣) الأصوات اللغوية ٩١ .

وتخفيف الهمزة الثانية يكون بثلاث طرق مثل الهمزة المفردة السابقة: الإبدال ، وجعلها بين بين ، والحذف . وفيما يلي استعراض ما يدل على ذلك من كتاب البيان .

١ - الإبدال :

١ - تبدل الهمزة الثانية حرفاً من جنس حركة ما قبلها إذا كانت ساكنة

- يقول ابن الأنباري تعليقاً على أصل كلمة (آدم) في قوله تعالى : ﴿وَأَوْذَ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ سورة البقرة : آية ٣٤ .

«أصله : (أ آدم) بهمزتين ، إلا أنه قُلِبَتِ الهمزة الساكنة ألفاً لسكونها وانفتاح ما قبلها ، نحو : آخِرُ وَآدَرُ ، وأصله : (أ أخِرُ و أ أدَرُ) فقلبوا الهمزة الساكنة الثانية ألفاً لسكونها وانفتاح ما قبلها » ^(١).

- ويقول في موضع آخر عن أصل كلمة (آل) في قوله تعالى : ﴿وَأَوْذَ نَجِّنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ سورة البقرة : آية ٤٩ .

« آل أصله : (أهل) فأبدلوا من الهاء همزة ، فصار (أ آل) فاستقلوا اجتماع همزتين ، فقلبوا الثانية ألفاً لسكونها وانفتاح ما قبلها » ^(٢).

يتضح مما سبق أن الهمزة الساكنة قد سبقت بهمزة مفتوحة ، فخفف بإبدالها حرفاً مناسباً للمفتحة السابقة ، وكان هذا الحرف هو الألف ، وبهذا الإبدال يتحقق التخفيف ، ويحدث التناسب بين الحرف والحركة السابقة ، وهذا أيضاً يخص الهمزة الساكنة المسبوقة بضممة ، فتبدل واواً والهمزة الساكنة المسبوقة بكسرة فتبدل ياء ، يقول الرضوي عن ذلك :

(١) البيان ١ / ٧٤ .

(٢) السابق ١ / ٨١ .

« إذا تحركت الأولى فقط دبّرت الثانية بحركة الأولى ، أى قُبِلَتْ وأوْأ إذا انضمت الأولى ، كأوْتُمَنْ ، وياء إذا انكسرت كإيت ، وألفاً إذا انفتحت كأَمَنْ . وإنما قلبت الثانية لأن الثقل منها حصل ، وإنما دبّرت بحركة ما قبلها لتناسب الحركة الحرف الذى بعدها فتخف الكلمة ، وإذا دبّرت بحركة ما قبلها وليس المتحرك همزة ، كما فى : راسٍ وبيرٍ وسُوتٍ ، فهو مع كونه همزة أولى»^(١).

وأرى أن ما حدث لكلمة (آدم وآل) السابقتين ليس بقلب الهمزة الثانية الساكنة ألفاً ، وإما هو بحذفها وإطالة الحركة السابقة عليها ، وبما أن الحركة السابقة عليها هنا فتحة قصيرة فإنها قد تحولت إلى فتحة طويلة هكذا .

ء - ء د - م - ء - ء - د - م - ء .

ء - هـ ل - ء - ء - ل - ء - ء - ل - ء .

ب - تبديل الهمزة الثانية ياء إذا كانت بحركة بالكسرة .

- يقول ابن الأنبارى عن أصل كلمة (أئمة) فى قوله تعالى : «فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم يتبهون» «سورة التوبة : آية ١٢» .

«أئمة جمع إمام < وأصله : (أ أئمة) على أفعلّة ، فالقيت حركة الميم الأولى على الهمزة الساكنة قبلها ، وأدغمت الميم الأولى فى الثانية ، وأبدل من الهمزة المكسورة ياء مكسورة^(٢) . ومن حقها قبل الإدغام أن تبدل ألفاً

(١) شرح الشافية ٣ / ٥٣ .

(٢) قرأ بإبدالها ياء مكسورة (أئمة) أبو عمرو ونافع وابن كثير ورويس وقالون والأرق ويعقوب . وذهب الجمهور إلى أن التسهيل يكون بجعلها بين يين لا يقلبها ياء خالصة . وذكر الزمخشري أن القراءة بالياء لا تجوز أن تكون قراءة ، ومن صرح به فهو لاحق محرف ، والصواب جعلها بين يين أى بين مخرج الهمزة والياء . معجم القراءات ٣ / ٣٥١ .

وذهب ابن الأنبارى إلى عدم جواز جعلها بين يين لأن حركتها غير أصلية ، إنما منقولة . البيان ٣٩٥ / ١ .

لسكونها وانفتاح ما قبلها إذ أصلها السكون ، فاصلها الإبدال ، فكذاك بعد نقل الحركة إليها ^(١) .

يفهم مما سبق أن كلمة (أُمَّةٌ) أصلها : (أُمِمةٌ) وحدث للهمزة الثانية تغيران صوتيان .

الأول : تحريكها بالكسرة المنقولة من الميم الأولى بعد إدغامها فى الميم الثانية .

فصارت : (أُمِمةٌ) ، وكان من الممكن أن تبدل ألفاً لسكونها وانفتاح ما قبلها فكانت الكلمة ستصير (أُمّةٌ) غير أنه عدل عن ذلك لأنه سيحول الكلمة إلى بناء غريب .

الثاني : إبدالها ياء مكسورة (أُمِة) فكان الإبدال هنا ممتد لأن إبدالها ألفاً كان من حقها قبل ذلك .

- يقول فى موضع آخر معلقاً على (أَنْتُمْ) فى قوله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ «سورة الاعراف : آية ٨١» .

« تقرأ بتحقيق الأولى وتلين الثانية بغير مد ^(٢) . . . ومن قرأ بتحقيق الأولى وتلين الثانية بغير مد ، فإنه استقل اجتماع همزتين ، ولين الثانية لأنه بها وقع الاستقلال ، ولهذا أجمعوا على تغييرها فى نحو : آدم وآخر ^(٣) .

وأرى أن التخفيف الذى حدث فى الكلمتين السابقتين (أُمِمةٌ) و (أُمِئكم) ليس بإبدال الهمزة المكسورة ياء ، إنما بحذفها ، وبعد الحذف تشأ صوت انتقالى

(١) البيان ١ / ٣٩٥ .

(٢) قرأ بتحقيق الأولى وتلين الثانية (لِيُنْكُمْ) ابن كثير ولبو عمرو ودروس وورش ويعقوب . معجم القراءات ٣ / ١٠٠ .

(٣) البيان ١ / ٣٦٧ .

هو الياء، وهذه الياء من جنس الكسرة حركتها، وقد نشأت للمحافظة على تركيب الكلمة .

فبعد الحذف التقت حركتان قصيرتان (- -)

ء - ء - م - م - ة - ن / ء - ء - ن - ن - ك - م < ء - م - م - م - ة - ن
ن / ء - م - م - م - ة - ن < ء - م - م - م - ة - ن / ء - م - م - م - ة - ن
ك - م .

٢ - جعلها بين بين :

تجعل الهمزة الثانية بين بين أي بينها وبين الحرف الذي منه حركتها . بشرط أن تكون حركتها أصلية .

يقول ابن الأنباري عن كلمة (أننكم) في الآية السابقة :

«تقرأ بتلين الثانية بعد مدة^(١) . . . ومن قرأ بتلين الثانية بعد مدة فإنه أراد التحقيق من جهتين ، إدخال المدة وجعل الهمزة بين بين^(٢) .

وبشُروط في الهمزة التي تجعل بين بين أن تكون متحركة وأن تكون حركتها أصلية غير منقولة ، وهذا واضح في (أننكم) أما إذا كانت حركتها منقولة كما في كلمة (أئمة) السابقة ، فلا يجوز أن تجعل بين بين ؛ إذ أصلها السكون لا الحركة ، فالأصل كما سبق (أ أئمة) . ويقول ابن الأنباري عنها :

« لا يجوز أن تجعل بين بين كالمكسورة في (أنذا) لأن الحركة في همزة (أنذا) أصلية لازمة غير منقولة بخلاف الحركة في همزة (أئمة) فأبدلت في (أئمة) لأن أصلها في السكون البدل، وجعلت الهمزة في (أنذا) بين بين لأن

(١) (أننكم) قرأ بذلك أبو عمرو وزيد ، معجم القراءات ٣ / ١٠٠ .

(٢) البيان ٣٦٧/١ .

أصلها في الحركة أن تجعل بين بين . ومعنى جعل الهمزة في التخفيف بين بين ، أن تجعل بين الهمزة والحرف الذى حركتها منه ، فجعلت فى (أئذا) بين الهمزة والياء لأن حركة الهمزة الكسرة وهى من الياء « (١) » .

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن وصف القدماء الهمزة بين بين لا يمكن الجزم به علمياً ، ورأى أن ما ينشأ من تسهيل الهمزة إنما هو صوت انتقالى ينشأ من التقاء حركتين قصيرتين ؛ حركة الهمزة الأولى وهى الفتحة وحركة الثانية وهى الكسرة . يقول :

« تسهيل الهمزة بين بين : هذا هو تعبير القدماء من القراء عن تلك الحالة الغامضة لنطق الهمزة . فقد قالوا إن تسهيل الهمزة المتحركة بأن ينطق بها لامحقة ولا حرف لين خالص بل بين بين . فالهمزة المكسورة ينطق بها فى حالة تسهيلها بين بين ، لامحقة ولا ياء خالصة ، هكذا قال القدماء من القراء .

أما التكييف الصوتى لهذه الحالة فليس من اليسير الجزم بوصفه وصفاً علمياً مؤكداً . وإذا صح النطق الذى سمعته من أفواه المعاصرين من القراء ، تكون هذه الحالة عبارة عن سقوط الهمزة من الكلام تاركة حركة وراءها ، فالذى نسمعه حيثئذ لا يمت إلى الهمزة بصلة ، بل هو صوت لين قصير يسمى عادة حركة الهمزة ، من فتحة أو ضمة أو كسرة . ويترتب على هذا النطق التقاء صوتى لين قصيرين ، وهما ما يسميه المحدثون Hiatus ويقلب فى معظم اللغات أن تودى مثل هذه الحالة إلى صوت لين انتقالى ، ينشأ من الحركتين أو صوتى اللين القصيرين . والذى يؤيد ما نذهب إليه بشأن نطق الهمزة بين بين ، أن مثل هذه القراءة لا تكون إلا حين تحرك الهمزة بحركة ما ، أما الهمزة المشككة بالسكون فلا تقرأ بين بين « (٢) » .

(١) البيان ١/ ٣٩٥ .

(٢) الأصوات اللغوية ٩٠ - ٩١ .

ورد حذف الهمزة الثانية فى كتاب البيان فى موضعين هكذا :

١- تحذف الهمزة الثانية عندما يكون المضارع على وزن (أَفْعِلْ).

يقول ابن الأنبارى عن أصل (يقيمون) فى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [سورة البقرة : آية ١٧٧] .

« أصل يُقِيمُونَ ! (يُؤَقِّمُونَ) على وزن (يُؤَفْعِلُونَ) فحذفوا الهمزة منه وإن لم يجتمع فيه همزتان ، حملاً على ما اجتمع فيه همزتان ، ألا ترى أنك تقول : أقيم عليه السلام وأصله : (أُأَقِّمُ) فحذفت الهمزة الثانية لثلاث يجتمع بين همزتين . ثم حذفوها مع الباء والتاء والنون ، نحو : يُقِيمُ وتُقِيمُ ونُقِيمُ حملاً على (أُقِيمُ) لثلاث تختلف طرق تصاريف الكلمة » ^(١).

يُفهم مما سبق أن الهمزة الثانية تحذف فى كل فعل مضارع على وزن (أَفْعِلْ) وذلك كراهية الجمع بين همزتين ، وذلك نحو : (أقيم) والاصل :

أُأَقِّمُ < أُأَقِّمُ < أُأَقِّمُ . ثم حمل باقى المضارع أى المَصْدَر بالياء والتاء والنون عليه وإن لم يكن مصدراً بهمزتين ، وذلك طرداً للباب على وتيرة تواحدة ، فنقول : يقيم ، وتقيم وتقيم والاصل : يُؤَقِّمُ وتُؤَقِّمُ ونُؤَقِّمُ < يُقِيمُ وتقوم وتقوم < يُقِيمُ وتقوم وتقوم < يُقِيمُ وتقيم وتقيم .

ويرى الرضى أن حذف الهمزة الثانية هنا على غير القياس؛ إذ القياس قلبها واواً لانضمام ما قبلها ، لكنهم حذفوا لكثرة الاستعمال . يقوم : « والترم فى باب (أكرم) حذف الثانية ، والقياس فيه قلب الثانية واواً كما فى (أُرِيدُ) ، لكنه خفف الكلمة بحذف الثانية لكثرة الاستعمال كما خَفَّفَتْ فى (خَذُّ وَكُلُّ)

بالحذف، والقياس قلبها واوا ، ثم حمل أخواته من تَوْكِرِمُ وَيُؤَكِّرِمُ عليه وإن لم يجمع همزتان ^(١) .

أ - تحذف الهمزة الثانية إذا كانت الأولى همزة وصل من فعل الأمر من المهموز الفاء .

يقول ابن الأنباري عن أصل كلمة (كلوا) في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ «سورة البقرة : آية ١٦٨» .

« كلوا أصله : (أَأْكُلُوا) فاجتمع همزتان همزة أصلية وهمزة اجتنبت لثلاثا يتبدأ بالساكن ، فاستقلوا اجتماعهما ، فحذفوا إحداهما ، وكان حذف الهمزة الأصلية أولى من المجتنب ، لأن المجتنب دخلت لمعنى والأصلية لم تدخل لمعنى فكان حذفها أولى ، فلما حذفت الأصلية استغنى عن المجتنب ؛ لأنها دخلت لثلاثا يتبدأ بالساكن وهي الهمزة الأصلية وقد حذفت ، فاستغنى عنها لزوال الساكن الذي اجتنبت من أجله ، فصار (كُلُوا) ووزنه (عُلُوا) بحذف الفاء التي هي الهمزة ^(٢) .

يُفْهَمُ مما سبق أن فعل الأمر (كُلُوا) أصله (أَأْكُلُوا) من المهموز الفاء (أَكَلْ) وحدث له ما يأتي :

١ - حذفت الهمزة الثانية تخفيفاً ، كراهية توالي همزتين . وإن الأصل في حذف أحد التماثلين أن يحذف الأول ، لكنهم لم يحذفوا الهمزة الأولى لأنها جاءت لمعنى ، أى للابتداء بالساكن ، أما الثانية فلم تحذف لمعنى : (أَكُلُوا) .

٢ - تحذف همزة الوصل لأنه لا حاجة لها ؛ إذ الحرف الثاني وهو الكاف محرك : (كُلُوا) .

(١) شرح الشافية ٥٩/٣ - ٦٠ .

(٢) لبيان ١ / ١٣٥ .

ويرى الرضى أن الحذف هنا على غير قياس ؟ إذ القياس قلب الثانية واواً لانضمام ما قبلها، لكن الحذف جاء لكثرة الاستعمال . يقول :

«أصل : خذ وكل ومر : (أَوْخِذْ وَاوْكُلْ وَأُؤْمَرْ) ، وكان القياس قلب الثانية واواً لانضمام ما قبلها ، فخفف بغير القلب ، وذلك بأن حذفت الثانية لكثرة الاستعمال . وعلى كل حال فالحذف أوغل فى التخفيف من قلبها واواً»^(١).

ملاحظة :

ورد فى كتاب البيان فى قراءة حذف الهمزة الأولى للتخفيف إذا كانت للاستفهام وإن كان حذفها ليس بقوى .

يقول تعليقاً على (أنسكم) فى قوله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ «سورة الاعراف : آية ٨١» .

«تقرأ بحذف همزة الاستفهام»^(٢) . . . ومن قرأ بحذف همزة الاستفهام فالتخفيف وحذف همزة الاستفهام ليس بقوى»^(٣) .

ويبدو أن الهمزة هنا جاءت لمعنى وهو الاستفهام ، وإذا حذفت سيتحول الكلام إلى إخبار .

(١) شرح الشافية ٣ / ٥٠ .

(٢) قرأ (أنكم) بحذف همزة الاستفهام على الخبر المتأنف نافع وحفص عن عاصم وأبو جعفر ، وذكرها ابن عطية قراءة للكسائي ، وهى اختيار أبى عبيد . معجم القراءات ٣ / ٩٩ .

(٣) البيان ١ / ٣٦٧ - ٣٦٨ .

القسم الرابع

تخفيف الحرف الثاني بحذف حركته

فى الكلمات الثلاثية

ورد فى كتاب البيان حذف حركة الحرف الثانى تخفيفاً فى الكلمات الثلاثية ، وذلك فى موضعين : الاول : ما كان على وزن فعل ، والثانى : ما كان على وزن فعل . وفيما يلى بيان ذلك .

١ - تحذف الكسرة من الحرف الثانى فى كل ما كان على وزن فَعِلَ .

يقول ابن الأنبارى تعليقاً على كلمة (نكد) فى قوله تعالى : ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكْدًا﴾ «سورة الاعراف : آية ٥٨» .

«يُقْرَأُ (نَكْدًا)^(١) . . . ومن قرأ بفتح النون وسكون الكاف فإنه حذف الكسرة من (نكدًا) لان كل ما كان على فَعِلَ بفتح الفاء وكسر العين فإنه يجوز فيه حذف الكسرة ، كقولهم فى كَيْفٍ : كَيْفٌ^(٢) .

٢ - تُحذف الضمة من الحرف الثانى فى كل ما كان على وزن فَعَلَ اسماً كان أو بمنزله .

يقول ابن الأنبارى تعليقاً على (وَهُوَ) فى قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ «سورة البقرة : آية ٢٩» .

«فُرِى (هُوَ) بسكون الهاء . . . فمن أسكنها جعل الواو كأنها من نفس

(١) قرأ بذلك : ابن مطرف وابن محيصن وقتاده واليزى بخلاف عنه . معجم القراءات ٨١/٣ - ٨٢ .

(٢) البيان ٣٦٦/١ .

(٣) قرأ بذلك نافع وابو عمرو والكسائى وقالون وابو جعفر والحسن واليزيدى . معجم القراءات ٧٢/١ .

الكلمة لأنها لاتنفصل عنها ، (وَهُوَ) بمنزلة عَضُدٌ ، فكما جاز أن يقال في عَضُدٍ (عَضُدٌ) بالإسكان فكذلك ههنا . وحكم الفاء مع (هو) حكم الواو في جواز الضم و السكون^(١) .

يفهم مما سبق أن الاسم الذى على وزن (فعل) يجوز تخفيفه بحذف الضمة من عينه ، ويحمل عليه كل ما كان على هذا الوزن وإن لم يكن اسماً ، ولم يكن كلمة واحدة : نحو : (وَهُوَ) و (فَهُوَ) ويجوز التخفيف بحذف الضمة ، فنقول : (وَهُوَ) (فَهُوَ) كما قلنا فى عَضُدٍ (عَضُدٌ) ، فقد عرملت الواو والفاء معاملة الحرف الذى من بنية الكلمة لأنهما لايتفصلان فى الاستخدام عما بعدهما .

- ويمكن أن يحمل عليهما كذلك اللام والهمزة ؛ لأنهما لايتفصلان عما يليهما، كقولنا : لَهْوٌ أَفْضَلُ مِنْ زَيْدٍ فى (لَهْوٌ) ومن أمثلة الهمزة قول الشاعر :
وَقُمْتُ لِلطَّيْفِ مَرْتَعاً وَأَرْقَنَسَى فقلتْ أُمِّى سَرَّتْ أُمِّى عَادِنَى حُلُمٌ
فقال : (أُمِّى) والأصل (أُمِّى) فحملت على وزن (فعل) بكسر العين^(٢) .

أما (تُم) فلا تعامل معاملة اختيها السابقتين (الواو والفاء) لأنها يمكن أن تنفصل عما بعدها بخلاف هذين الحرفين ، وأجاز الكسائى حملها عليهما فى قراءة «تُم هُو»^(٣) يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ « سورة القصص : آية ٦١ .

يقول ابن الأنبارى :

«لم يجز السكون معها إلا الكسائى ، فإنه قرأ بسكون الهاء حملاً على

(١) البيان ٦٩/١ .

(٢) الخصائص ٢٣٢/٢ .

(٣) قرأ بذلك : الكسائى والحلوئى عن قالون وأبو جعفر بخلاف عنه ونافع بخلاف عنه . معجم القراءات

٦٢/٥ - ٦٣ .

الواو والفاء لأنها من أخواتهما . وفرق الاكثرون بينهما ؛ لأن (ثُم) منفصلة منها وتقوم بنفسها بخلاف الواو والفاء ^(١) .

ويقول ابن جنى عن ذلك :

«وأما قراءة أهل الكوفة : ﴿ثُمَّ لَيَقَطَعَنَّ﴾ سورة الحج : آية ١٥ فقيح عندنا ؛ لأن (ثُم) منفصلة يمكن الوقوف عليها فلا تخلط بما بعدها فتصير معه كالجزاء الواحد» ^(٢) .

وحذف الضمة والكسرة من الحرف الثانى تخفيفاً لغة بكر بن وائل وكثير من بنى تميم . يقول سيبويه فى : «هذا باب ما يُسَكَّن استخفافاً وهو فى الأصل متحرك : وذلك قولهم فى فَخَذٍ : فَخَذَ ، وعلى كَبَدٍ : كَبَدَ ، وَعَضُدٍ : عَضُدَ ، وفى الرجلُ : رجلٌ ، وفى كَرَمَ الرجل : كَرَمَ ، وفى عِلِمَ : عِلِمَ . وهى لغة وفى بكر بن وائل وأناس كثير من بنى تميم» ^(٣) .

- وأرى أن حذف حركة العين بسبب وقوع هذه الحركة بعد النبرة مباشرة ، ذلك أن المقطع الثالث فى كل مكان على وزن فَعِلَ أو فَعَّلَ أو فَعَلَ ، حين نعد من آخر الكلمة ، هو الذى يقع عليه النبر . يقول الدكتور إبراهيم أنيس :

« أما فى الفعل الماضى الثلاثى ، مثل : كَتَبَ وَفَرِحَ وَصَعِبَ فالنبر يكون على المقطع الثالث ، حين تعد المقاطع من آخر الكلمة » ^(٤) .

أى أن المقاطع الثلاثة هنا من المقاطع القصيرة المفتوحة (ص ح) .

(١) البيان ٦٩/١ .

(٢) الخصائص ٣٣٢/٢ .

(٣) الكتاب ١١٣/٤ وانظر كذلك : لهجة تميم وأثرها فى العربية الموحدة ١٥٢ و ١٦٢ .

(٤) الأصوات اللغوية ١٧٢ .

القسم الخامس : التقاء الساكنين

يقول ابن يعيش : « اعلم أن التقاء الساكنين لا يجوز ، بل هو غير ممكن ، وذلك من قبل أن الحرف الساكن كالموقوف عليه وما بعده كالبدء به ، ومحال الابتداء بساكن ، فلذلك امتنع التقاؤهما .

وفى الوقف يجوز الجمع بين ساكنين ، فيكون الوقف كالسَادُّ مَسَدَ الحركة ، كقولك : قام زيد ، وهذا بكر . وإنما سد الوقف مسد الحركة لأن الوقف على الحرف يُمكن جرس ذلك الحرف ويوفر الصوت عليه ، فيصير توفير الصوت بمنزلة الحركة له ، ألا ترى أنك إذا قلت : (عَمَرُو) ووقفت عليه وجدت للراء من التكرير وتوفير الصوت ما ليس لها إذا وصلتها بغيره»^(١) .

يُفهم من كلام ابن يعيش السابق ما يأتي :

١ - لا يجوز التقاء الساكنين فى غير آخر الكلمة ، وسبب ذلك أن الساكن الأول بمثابة آخر حرف فى الكلمة عند الوقف عليه ، والحرف الثانى بمثابة أول حرف فى الكلمة فى حالة البدء ، ومن المعروف أن البدء بالساكن لا يجوز ، وهذا هو السبب فى منع التقائهما .

٢ - يجوز التقاء الساكنين فى آخر الكلمة فى حالة الوقف ، وجاز ذلك لأن الوقف على الحرف الأخير بمثابة الحركة له لأنه يمكن التكلم من أدائه أدائه أداء تاماً ، وبذلك لا يكون هناك ساكنان إلا ظاهراً فقط .

وإذا التقى الساكنان وجب تحريك أولهما ، والأصل أن يحرك بالكسر . يقول الرضى :

(١) شرح القصل ٩/ ١٢٠ - ١٢١ .

« الأصل في تحريك الساكن الأول الكسر ، لما ذكرنا أنه من مسجية النفس إذا لم تُسَكَّرْ على حركة أخرى .

وقيل : إنما كان أصل كل ساكن احتيج إلى تحريكه من هذا الذى نحن فيه ومن همزة الوصل الكسر ؛ لأن السكون فى الفعل ، أى الجزم ، أقيم مقام الكسر فى الاسم ، أى الجر ، فلما احتيج إلى حركة قائمة مقام السكون مزيلة له أقيم الكسر مقامه على سبيل التقاص .

وقيل : إنما كسر أول الساكنين وقت الاحتياج إلى تحريكه لأنه لم يقع إلا فى آخر الكلمة فاستحب أن يُحَرَّك بحركة لا تلتبس بالحركة الإعرابية ، فكان الكسر أولى ؛ لأنه لا يكون إعراباً إلا مع تنوين بعده أو مايقوم مقامها من لام وإضافة ، فإذا لم يوجد بعده تنوين ولا قائم مقامها عُلِمَ أنه ليس بإعراب ، وأما الضم والفتح فقد يكونان إعراباً بلا تنوين ، وشئ قائم مقامه .

ويجوز أن يحرك أول الساكنين بالكسر على الأصل أو الضم للإبتاع . يقول ابن الأنبارى تعليقا على (فَمِنْ اضْطُرَّ) فى قوله تعالى : ﴿ فَمِنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ سورة البقرة : آية ١٧٣ .

« قُرئ (فَمِنْ اضْطُرَّ) بكسر النون وضمها^(١) . فمن كسر فعلى الأصل فى الالتقاء الساكنين ، ومن ضمها فللاِلتقاء استقفاً وكراهية للخروج من كسر إلى ضم ، ولهذا ليس فى كلامهم ما هو على وزن (فِعْلٌ) بكسر الفاء وضم العين^(٢) .

(١) قرأ بكسر النون لالتقاء الساكنين : عاصم وحزمة وأبو عمرو والمطوحي والحسن ويعقوب والزهرى وطلحة الياسى وابن أبى لیلی القاضى و أبو عثمان عمرو وعمرو بن ميمون بن مهران وطلحة بن سليمان الرازى وسلام . وقرأ بالضم : نافع وابن عامر وابن كثير والكسائى وعبد الرحمن الأعرج وأبو جعفر . معجم القراءات ٢٣٦/١ .

(٢) البيان ١٣٧/١ .

- ويقول في موضع آخر تعليقاً على قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ «سورة الانعام: آية ١٠» .

«ولقد استهزئ ، قرئ بكسر الزاي وضمها^(١) فمن قرأ بالكسر فعلى أصل التحريك لالتقاء الساكنين . ومن قرأ بالضم فعلى إتياع الفاء في استهزئ » .

(١) قرأ بكسر الدال لالتقاء الساكنين : أبو عمرو وعاصم وحمة ويعقوب والحسن والطوسي . وقرأ بالضم للإتياع : نافع والكسائي وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر . معجم القراءات ٢ / ٣٩١ - ٣٩٢ .

الخاتمة

من خلال العرض السابق للبحث نستطيع أن نوجز أهم النتائج على النحو التالي :

١ - إذا أُغْلِقَ المقطع يوا ساكنة مسبوقه بكسرة ، فإنه يحدث لها ماياى :

أ - تماثل الواو الكسرة ، فتقلب ياء .

ب - تماثل الياء الكسرة ، فتقلب كسرة قصيرة مثلها .

ج - تتحول الكسرتان القصيرتان إلى كسرة طويلة ، كما فى : مِيعاد .
الاصل : مِوعاد < مِيعاد < مِيعاد .

م - و ع - د - ن < م - ي ع - د - ن < م - / ع - د - ن < م - ع - د - ن .

٢ - إذا أُغْلِقَ المقطع ياء ساكنة مسبوقه بضمة ، فإنه يحدث لها ماياى :

أ - تماثل الياء الضمة ، فتقلب واوا .

ب - تماثل الواو الضمة ، فتقلب ضمة قصيرة مثلها .

ج - تتحول الضمتان القصيرتان إلى ضمة طويلة ، كما فى : موق -
الاصل : ميغن < موقن < موقن .

م - ي ق - ن - ن < م - و ق - ن - ن < م - / ق - ن - ن < م - ق - ن - ن .

٣ - تحذف الواو أو الياء الواقعة بين حركتين متماثلتين ، ثم تحول الحركتان إلى حركة طويلة .

كما فى : قام وباع . الاصل : قَوْمَ وَيَبِعَ < قام وباع

ق - و - م - / ب - ي - ع - < ق - م - / ب - خ - ع -
 < ق - م - / ب - ع - .

٤ - يتحول الصوتان المركبان (- و) و (- ي) إلى فتحة طويلة (-) كما
 فى : يَكَادُ وَيُبَاعُ . الأصل : يَكُوْدُ وَيُبِيعُ < يَكَادُ وَيُبَاعُ ،
 ي - ك - و - د - / ي - ب - ي - ع - < ي - ك - و - د - / ي - ب -
 ي - ع - ' ينقل حركة الواو والياء إلى الساكن السابق عليهما < ي - ك -
 - د - / ي - ب - ع - ' .

٥ - قلب الواو والياء همزة فيما ورد من أمثلة فى اللغة العربية لايعود بالدرجة
 الاولى إلى الناحية الصوتية ، وإنما سببه يكمن فى أن المتكلم أثر استبدال
 الصوت الانزلاقى (الواو والياء المحركتين) بصوت قطعى لا يتأثر بما قبله
 وهو الهمزة .

أ - فاستبدل الصوتين الانزلاقيين المركبين (- و) و (- ي) همزة
 فى نحو : سماء ورداء . والأصل : سَماو وِرِداى .

ب - والصوتان الانزلاقيان (و -) و (و -) كما فى نحو : إله
 وأجوه . والأصل : وله ووجوه .

ج - والصوتان الانزلاقيان (و -) و (ي -) فى نحو عجائز ومعاش .
 والأصل : عجاوِز ومعايش .

٦ - قلب الواو تاء فيما ورد من أمثلة ليس لسبب صوتى ، وإنما بسبب أن
 المتكلم أثر استبدال الصوت الانزلاقى بصوت قطعى لا يتأثر بما قبله من
 حركات ، وذلك كما ورد فيما على وزن افتعل ومشتقاته من المثال أى
 استبدل الصوتان الانزلاقيان المركبان (- و) و (- ي) تاء فى مثل :
 اتَّقَى ومُتَّقِينَ . والأصل : أوتَّقَى ومُوتَّقِينَ < اتَّقَى ومُتَّقِينَ .

٧ - إذا وقعت الواو المحركة بضمة بعد مقطع مغلق بصامت صحيح ، فإنه يحدث لها واحد من أويين .

الأول : تماثل الواو حركتها ، فتقلب ضمة مثلها ، ثم تتحول الضمتان القصيرتان إلى ضمة طويلة . مثل : يقول ، الأصل : يَقُولُ < يقول .
 ي - ق و - ل - < ي - ق - / ل - < ي - ق - ل - .

والثاني : تنقل الضمة إلى الساكن السابق على الواو فتسكن الواو ، ثم تماثل الواو الضمة السابقة فتقلب ضمة مثلها ، ثم تتحول الضمتان إلى ضمة طويلة .
 يَقُولُ < يَقُولُ < يَقُولُ .

ي - ق و - ل - < ي - ق - و ل - < ي - ق - / ل - < ي - ق -
 - ل - .

٨ - حركة فاء الماضى المبني للمجهول من الأجوف فى نحو : قيل وبيع ، والأصل : قُولَ وَيُوعَ ، ليست منقولة من العين ، وإنما حدث للفعليين السابقين وأمثالهما ما يأتى :

أ - تماثل حركة الفاء حركة العين ، فتقلب كسرة مثلها .

ب - تحذف الواو والياء لوقوعهما بين حركتين متماثلتين ، فتلتقى كسرتان قصيرتان .

ج - تتحول الكسرتان القصيرتان إلى كسرة طويلة .

ق - و - ل - / ب - ي - ع - < ق - و - ل - / ب - ي - ع - <
 ق - x - ل - / ب - x - ع - < ق - ل - / ب - ع - .

٩ - تُنْقَلُ العين إلى موضع اللام (قلب مكانى) فى بعض صيغ اسم الفاعل من الأجوف فى مثل هَارٍ ، والأصل : هَارٍ ، ثم تحولت إلى هَارٍ فى الرفع والبحر ، ثم تُعَامَلُ الصيغة معاملة اسم الفاعل من الناقص فى نحو : قاض ، ويحدث لها ما يأتى :

أ - تماثل الضمة فى حالة الرفع الكرة السابقة عليها ، فتقلب كسرة مثلها .

ب - تُحْدَفُ الواو لوقوعها بين حركتين متماثلتين ، فتلتقى كسرتان قصيرتان .

ج - تتحول الكسرتان القصيرتان إلى كسرة طويلة .

د - تُقْصَرُ الكسرة الطويلة لوقوعها فى مقطع مغلق .

هـ - هَارٍ فى الرفع والجـر < هَارٍ و فى الرفع والجـر < هَارِين هَارٍ .

هـ - ر - و - ن < ه - ر - و - ن فى الرفع والجـر < ه - ر -
ر - خ - ن < ه - ر - ن < ه - ر - ن .

١٠ - تُحْدَفُ الياء الواقعة لهما إذا توسطت فتحة قصيرة وضمة طويلة ، فتلتقى حركتان مختلفتان فى الطابع إحداها منخفضة وهى الفتحة والأخرى مرتفعة وهى الضمة الطويلة ، ثم تقلب الضمة الطويلة إلى ما يمثلها صوتياً وهى الواو .

كما فى اشْتَرَوْا وتنسون . والأصل : اشْتَرَيُوا وتنسيون .

< ١ > ش ت - / - ي - / - ت - ن س - ي - ن - ن - < (١) ش
ت - / - خ - ن - ت - ن س - خ - ن - < (١) ش ت - ر - و
/ ت - ن س - و - ن .

١١ - إذا التقى حرفان من جنس واحد < فإنه يسكن الأول وتحذف حركته إذا

كان ماقبله متحركاً ، أو تنقل إلى ماقبله إذا كان ساكناً ، ثم يدغم فى
 الثانى ، فى نحو : شد - والأصل : شدد < شدد < شد .
 ويؤد - والأصل : يؤدّد < يؤدّد < يؤد .

١٢- إذا التقى حرفان متقاربان صوتياً فإن أحدهما يتماثل مع الآخر ، فيقلب
 إلى لفظ صاحبه < ثم يُدغم فيه . كما فى نحو : أدارك والأصل :
 تدارك ، التقت التاء والدال ، وهما من مخرج واحد ، ولا فرق بينهما
 إلا فى الجهر والهمس ، فسكنت التاء وجئ قبلها بهمزة وصل ، ثم مائلت
 الدال فقلبت دالاً مثلها ثم أدغمت فى الدال الثانية .
 تَدَارَك < تَدَارَك < اَتَدَارَك < اَدَارَك .

ولا يحدث العكس < أى لاتماثل الدال مع التاء ؟ لأن الدال كما يقول
 علماؤنا القدامى أقوى من التاء ، إذ هى مجهورة والتاء مهموسة ،
 ولا يدغم الاقوى فى الأضعف .

١٣ - إذا كانت فاء افتعل حرفاً مفخماً (صاداً أو ضاداً أو طاء أو ظاء) فإن
 التاء تُقَرَّب صوتياً من هذه الحروف المفخمة ، وذلك بقلبها إلى نظيرها
 المفخم وهو الطاء ، وبذلك يحدث التقارب والانسجام بين الطاء وهذه
 الحروف لأنها جميعاً مفخمة ، وهذا يسميه ابن جنى (الإدغام الأصغر)
 أى تقريب التاء من هذه الحروف دون إدغام كما فى نحو : اضطرب
 واضطرب واطرد واطظلم ، والأصل : اصْتَبِرَ واضْتَرَبَ واطْتَرَدَ واظْتَلَمَ .

١٤ - الواو والياء فى نحو : يَبِيرُ وَسُولُ ليستا مقلوبتين عن همزة ساكنة ، وإنما
 هما حركتان طويلتان ناتجتان عن إطالة الحركة السابقة على الهمزة الساكنة
 بعد حذفها ، والأصل : يَبَرُّ وَسُولٌ .

١٥ - يجوز تخفيف الهمزة المتحركة المسبوقة بساكن ، وذلك بحذفها ونقل حركتها إلى ذلك الساكن ، كما فى نحو : مسلة ، والاصل : مَسَّالَةٌ .

١٦- إذا التقت همزتان ، الأولى متحركة والثانية ساكنة ، فإنه يجوز تخفيف الثانية بحذفها وإطالة الحركة السابقة عليها كما فى نحو : آدم وآخر ، والاصل : أَدَمٌ وَآخَرُ . فالألف هنا فى آخر وأدم وأمثالهما ليست بدلاً من الهمزة .

١٧- إذا التقت همزتان ، الأولى محركة بالفتح والثانية محركة بالكسر ، فإن الثانية يجوز أن تخفف بحذفها ، وبعد الحذف تلتقى حركتان قصيرتان فتحة وكسرة (- × -) فينشأ صوت انتقالي هو الياء من جنس حركة الكسرة ، وذلك كما فى نحو : أئمة ، والاصل : أئِمَّةٌ . فالياء هنا نشأت بسبب الحذف ليُحافظ على تركيب الكلمة ، وليست بدلاً من الهمزة المحذوفة .

١٨- تحذف الهمزة الثانية دائماً فى موضعين :

الأول : فى المضارع من وزن أفعل (مهموز الفاء) وكانت همزته الأولى حرف مضارعة والثانية فاء الفعل ، أى على وزن (أُفْعِلُ) كما فى نحو : أَكْرِمُ ، والاصل : أَكْرِمُ - وقد حذفت الهمزة الثانية تخفيفاً من باب كراهية توالى همزتين لما فى الجمع بينهما من الثقل فى النطق . ثم حمل عليه باقى تصريفات المضارع المبدوء بالتاء والتون والياء . وإن لم تلتق همزتان طرداً للباب على وتيرة واحدة ، فنقول : تُكْرِمُ وَنُكْرِمُ وَيُكْرِمُ ، والاصل تُؤَكْرِمُ وَنُؤَكْرِمُ وَيُؤَكْرِمُ .

والثانى: فى فعل الامر من مهموز الفاء ، كما فى نحو : كُلْ ومُرْ ،
والأصل أَوْمُرْ وَأَوْكُلْ^(١) . الاولى همزة وصل وقد جئ بها لان
الحرف التالى لها ساكن ، والثانية فاء الفعل . وحذفت الثانية
تخفيفاً من باب كراهية توالى همزتين ، ثم حذفت الثانية لانه
جىء بها توصلًا للنطق بالساكن وقد حذف فلا داعى لوجودها .
أَوْمُرْ / أَوْكُلْ < امْرُؤًا < مَرٌّ وَكُلٌّ .

١٩- يُخَفَّفُ الحرف الثانى من الكلمات الثلاثية المحرك فيها جميع حروفها ،
وذلك بحذف حركته فى لغة بكر بن وائل وكثير من بنى تميم ، وسبب
ذلك وقوع هذا الحرف بعد المقطع المتبور مباشرة ، وهو الحرف الأول ،
كقولهم : كَبِدٌ وَعَصْدٌ فى : كَبِدٍ وَعَصِيدٍ .

(١) يجوز ان نقول فى هذا الفعل كذلك أَوْمُرْ بجانب مَرٌّ ، ولا يجوز ذلك فى الفعل ذلك .

المراجع

- الأصوات اللغوية ، للدكتور / إبراهيم أنيس - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٨٤ .
- البداية والنهاية ، لابن كثير - مكتبة المعارف بيروت / لبنان ١٩٩١ م.
- بغية السوعة فى طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطى (جلال الدين عبد الرحمن ابن أبى بكر) تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم - المكتبة العصرية . بيروت / لبنان - بدون تاريخ .
- البيان فى غريب إعراب القرآن، لابن الأنبارى (أبى البركات كمال الدين). تحقيق د / طه عبد الحميد طه - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة . ١٩٦٩ م .
- التطور اللغوى مظاهره وعلمه وقوانينه ، للدكتور / رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي - القاهرة ١٩٩٠ م .
- التطور النحوى للغة العربية ، محاضرات ألقاها المستشرق الألمانى / برجشتراسر - أخرجه وصححه الدكتور / رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي - القاهرة ١٩٩٧ م .
- الخصائص ، صنعة أبى الفتح عثمان بن جنى - تحقيق / محمد على النجار - الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٨ م .
- دراسات فى علم أصوات العربية ، للدكتور / داوود عبده - مؤسسة الصباح - الكويت بدون تاريخ .
- دراسة السمع والكلام ، صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك ، للدكتور سعد عبد العزيز مصلوح - عالم الكتب - القاهرة ٢٠٠٠ م .

- ارتشاف الضرب من لسان العرب ، لأبى حيان الأندلسى - تحقيق الدكتور / رجب عثمان محمد - مكتب الخانجي - القاهرة ١٩٩٨م .
- سر صناعة الإعراب ، لأبى الفتح عثمان بن جنى - تحقيق / محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدى شحاته عامر - دارالكتب العلمية - بيروت / لبنان ٢٠٠٠ م .
- سير أعلام النبلاء ، للذهبي (الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان) مؤسسة الرسالة - بيروت / لبنان ١٩٩٣ م .
- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلى (أبى الفلاح عبد الحى) - دارالكتب العلمية - بيروت / لبنان - بدون تاريخ .
- شرح التصريف ، للثمانيني (عمر بن ثابت) - تحقيق الدكتور / إبراهيم بن سليمان البعيمي - مكتبة الرشد - الرياض / المملكة العربية السعودية ١٩٩٩ .
- شرح شافية ابن الحاجب ، لرضى الدين الاسترابادى النحوى (محمد ابن الحسن) مع شرح شواهد له عبد القادر البغدادي - تحقيق / محمد نور الحسن ومحمد الزقزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد - دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ١٩٨٢ م .
- شرح مختصر التصريف العزى فى فن الصرف ، لمسعود بن عمر التفتازانى - تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم - دار السلاسل الكويت ١٩٨٣ .
- شرح المفصل لابن يعيش - مكتبة المتنبي - القاهرة بدون تاريخ .
- طبقات الشافعية ، لابن قاض شهية الدمشقى (أبى بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد) تصحيح وتعليق الدكتور / الحافظ عبد العليم خان - عالم الكتب - بيروت / لبنان ١٩٨٧ م .

- علم الأصوات ، للدكتور / كمال بشر - دار غريب للطبع والنشر - القاهرة ٢٠٠٠ م .
- علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربى ، للدكتور / محمود السمران - دار الفكر العربى - القاهرة ١٩٩٢ م .
- فقه اللغات السامية ، للمستشرق الألماني / كارل بروكلمان - ترجمة الدكتور / رمضان عبد التواب - جامعة الرياض / السعودية ١٩٧٧ م .
- فوات الوفيات والذيل عليها ، لمحمد بن شاکر الکتبی - دار صادر - بيروت / لبنان ١٩٧٤ م .
- فى قواعد الساميات ، العبرية والسريانية والحشية ، للدكتور / رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي - القاهرة ١٩٨٣ م .
- الكتاب ، لسيويو (أبى بشر عمرو بن قنبر) تحقيق / عبد السلام هارون - مكتبة الخانجي - القاهرة ١٩٨٨ م .
- كتاب الوافى بالوفيات ، لابن أبيک الصفدى (صلاح الدين خليل) باعتناء / أيمن فؤاد سيد - فرانز شتاينر / شتوتجارت - ألمانيا الغربية ١٩٩١ .
- الكنى والألقاب ، للشيخ / عبد العزيز القمى - مؤسسة الوفاء - بيروت / لبنان - بدون تاريخ .
- لهجة نعيم وأثرها فى العربية الموحدة ، لغالب فاضل المطلىبى - وزارة الثقافة - العراق ١٩٧٨ م .
- المدخل إلى علم الأصوات ، دراسة مقارنة ، للدكتور / صلاح الدين صالح حسنين - القاهرة ١٩٨١ م .

- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى ، للدكتور / رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي - القاهرة ١٩٩٧ م .
- مدخل فى الصوتيات ، لعبد الفتاح إبراهيم - دار الجنوب للنشر - تونس - بدون تاريخ .
- معجم القراءات ، للدكتور / عبد اللطيف الخطيب - دار سعد الدين - دمشق / سورية ٢٠٠٢ م .
- معجم المؤلفين ، لعمرو رضا كحالة - دار إحياء التراث العربى - بيروت / لبنان - بدون تاريخ .
- من لغات العرب ، لغة هذيل ، للدكتور / عبد الجواد الطيب - بدون مكان طبع وتاريخ .
- مناهج البحث فى اللغة ، للدكتور / تمام حسان - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٩٠ م .
- المنصف ، شرح الإمام أبى الفتح عثمان بن جنى الكتاب التصريف ، للإمام أبى عثمان المازنى النحوى البصرى - تحقيق / إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين - وزارة المعارف العمومية - القاهرة ١٩٥٤ م .
- معجم الهوامع فى شرح جمع الجوامع ، للسيوطى (الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر) تحقيق الدكتور / عبد العال سالم مكرم - الكويت ١٩٨٠ م .

حروف العلة

دراسة لغوية

د. عبد الحميد عليوة مسعد

قسم اللغة العربية - كلية الآسن -
جامعة عين شمس

١- مدخل إلى حروف العلة :

درج اللغويون العرب على إطلاق اسم : حروف العلة على حروف :
الألف والواو والياء ، من بين حروف العربية الثمانية والعشرين ، وإطلاق اسم
: الأفعال المعتلة على تلك الأفعال التى تشتمل على أى من هذه الحروف
الثلاثة ، سواء جاء واحد منها فى أولها ، أو فى وسطها ، أو فى نهايتها ، وسواء
حوت تلك الأفعال حرفاً واحداً منها ، أو أكثر من حرف . أما بقية حروف
العربية ، فأسموها بالحروف الصحيحة ، أو بالصوامت الصحيحة ، والأفعال
التي لا تشتمل على أى من الحروف الثلاثة . سموها بالأفعال الصحيحة ، أو
السالمة . معنى ذلك ، أن ثمة ما يقسم أصوات اللغة إلى صوامت ، وإلى
علل . ويتأمل ذلك الفارق نجد أن الصفة الأساسية التى تختص بها هذه
الأصوات المعتلة ، وتفرقها عن الأصوات الأخرى غير المعتلة ، هى حرية مرور
الهواء فى أثناء إصدار هذه الأصوات ، ودون أن تعترضه عوائق فى مجرى
القم : من غلق ، أو تضيق ، أو انحراف ، أو تكرير ، أو تحول من الفم
إلى الأنف . . ، أو غير ذلك من العوائق التى تحدث مع بقية الأصوات
الأخرى غير المعتلة .

ويعنى آخر، إن هذه الأصوات الثلاثة تشبه الحركات فى أهم صفة من صفاتها، وهى حرية مرور الهواء من مجرى الفم، ودون اعتراض. لكن هذا الوصف لها، لايعنى أنها حركات خالصة، فى كل صورها النطقية التى ترد عليها فى اللغة العربية؛ إذ إن هذه الأصوات، أو الحروف المعتلة، ترد فى اللغة على صور متنوعة، بعضها - وهى حروف المد - يشبه تماماً الحركات فى كل صفاتها، بل يمكن القول: إنها هى الحركات الطويلة للحركات القصيرة العربية: الفتحة والكسرة والضممة. لكن بقية صور الحروف المعتلة، فيها من صفات الحروف الصامتة ما ليس فى الحركات؛ كالحقيف المصاحب للواو والياء: حرفى العلة، فهما بذلك من أشباه الصوامت نتيجة لهذا الاحتكاك، يضاف إلى ذلك: قصر تحققهما النطقى إذا قيسا بالحركات.

وثمة أشياء أخرى، غير صوتية، تجعلهما أشبه بالصوامت؛ حيث تدخل كل من الواو، والياء فى توزيع المقاطع، كما سنرى فيما بعد. وهناك من يضيف الجهر، والوضوح السمعى لهذه الحروف المعتلة، إذا ما قيست بالصوامت، لكن التأمل لهاتين الصفتين، يجد أنهما محققتان بدرجة أو بأخرى فى بعض الصوامت أيضاً. من ثم، استقر الرأى على أن أوضح ما يميز هذه الأصوات الثلاثة، عن بقية أصوات العربية الأخرى، هو: حرية مرور الهواء معها فى الفم، دون أن تعترضه عوائق.

٢ - مصطلح حروف العلة:

إن مصطلح: حروف العلة، لم يكن المصطلح الوحيد الذى يطالعنا فى كتب اللغويين العرب، بل نجده مرتبطاً بمصطلحين آخرين، هما: حروف اللين، وحروف المد، أى أن المصطلح العام الذى يمكن جمع هذه الحروف الثلاثة تحته هو: حروف العلة، واللين، والمد.

لعل السر في هذه التسمية ، أتى من أن هذه الحروف ، لاتأتى على صورة واحدة ؛ حيث نجدها مرة محرّكة ، وأخرى ساكنة ، وثالثة مدأ ، أو حركة طويلة لصامت يسبقها .

فمن نظر إليها ، وهى محرّكة ، أى : تعقبها حركات ، مثل : وكد ، يَلِد ، يَأْسِر ، وَطَن ، يَضْرِب ، وَهَب .. الخ ، اعتبرها حروف علة .

ومن نظر إليها ، وهى ساكنة ، مثل : يَيْت ، قَوْل ، يَبِيع ، قَوْم .. الخ اعتبرها حروف علة ولين .

أما من نظر إليها على أنها حركات طويلة للصوامت السابقة عليها ، فقد اعتبرها حروف مد ، مثل : قال ، باع ، يقوم ، يبيع .. الخ .

يعلل سيبويه لذلك ؛ أى لكونها حروف علة إذا تحركت ، بقوله : « وإذا قلت : أريد أن أُعْطِيَهُ حقّه ، فنصبت الياء ، فليس لها إلا البيان والإثبات ؛ لأنها لما تحركت ، خرجت من أن تكون حرف لين ، وصارت مثل غير المعتل ، نحو : بَاء ضَرْبَهُ ، وَبَعْدَ شَبْهَهُا من الألف ، لأن الألف لاتكون أبداً إلا ساكنة ^(١) .

كما يؤكد ابن جنى تلك القوة التى تصير إليها الحروف المعتلة : الواو والياء ، عند تحركهما « فى مثل : الغَيْر ، والعِيَّة ، والطَّوْك ، والعَوَص ، فتأتى بالياء بعد الضمة ، وبالواو بعد الكسرة ، أنه إنما جاز ذلك من قِبَل أن الياء والواو لما تحركتا ، قويتا بالحركة ، فلحقنا بالحروف الصّحاح ، فجازت مخالفة ما قبلهما من الحركات إياهما .

وكذلك إذا أَدْعِمَتَا فى مثل قولهم : «اجْلَوْذَ اجْلَوْذًا ، واخْرَوْطَ اخْرَوْطًا ،

(١) سيبويه . كتاب سيبويه ١٩٣/٤ . تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ط أولى .

فتصح الواو ... من قبل أنها لما أَدَغِمَتْ فى التى بعدها قويت ، وضارعت الحروف الصراح ، فجاز ثباتها مع انكسار ما قبلها ، وكذلك قالوا : قَرَنَ الْوَى ، وَقَرُونُ لَى ، فَصَحَّحُوا الياء الأولى ، وإن كانت ساكنة مضموماً ما قبلها ، من قبل أنها قويت بالإدغام ، فحَصَّنَهَا عن القلب « (١) » .

أما مصطلح : حروف اللين ، فقد أطلقوه على الواو والياء الساكنتين بعد فتحة ، دون الكسرة والضمة ؛ لأننا نعلم الحركات القصيرة أبعاداً لحروف المد - كما أشار إلى ذلك ابن جنى - ، بمعنى : أن الحروف المعتلة إذا سبقت بحركة من جنسها وأشبعتها بعدها ساكنة ، صارت إلى المد . يقول ابن جنى : « إنك متى أشبعت واحدة منهن - يقصد الفتحة والكسرة والضمة - ، حدث بعدها الحرف الذى هو بعضه . . ، فالفتحة إن أشبعتها حدثت بعدها ألف ساكنة . . ، والكسرة إن أشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة . . ، وكذلك الضمة لو أشبعتها نشأت بعدها واو ساكنة ، فلو لا أن الحركات أبعاداً لهذه الحروف ، وأوائل لها ، لما نشأت عنها ، ولا كانت تابعة لها » (٢) .

معنى ما سبق : أن الواو والياء إذا وردتا ساكتين بعد فتحة ، فهما حرفا لين ، كما فى : بَيْت ، وَنَوْم ، وتثبتان ، لأنهما فى هذه الحالة تنقصان المد الذى فى الألف ، لكن يبقى فيهما اللين ، لسكونهما بعد حركة خفيفة هى الفتحة . ويعلل المبرِّدُ ثبوت الواو الساكنة بعد الفتحة بقوله : « وقد بينت لك أنه الفعل اعتل المصدر ؛ إذا كان فيه مِثْلُ ما يكون فى الفعل . فإن كان المصدر

(١) ابن جنى . سر صناعة الإعراب ١٩/١ - ٢٠ دراسة وتحقيق د. حسن هنداوى . دار القلم . دمشق ، ط. ثانية ١٩٩٣ .

الغير : جمع غيور . العية : الكثير العيب للناس . اجلود السفر : طال ، ومثله انخروط . قرن الوى : شديد الاتواء .

(٢) سر صناعة الإعراب ١٨/١ .

من هذا الفعل على مثال (فَعَلَ) ثبتت واوه؛ لأنه لا علة فيها. وذلك قولك : وَعَدْتُهُ وَعَدَاً ، وَوَصَلْتُهُ وَصَلَاً ^(١).

أما إذا وردتا ساكنتين بعد كسرة ، أو ضمة ، فهنا ينشأ ثقل يستدعى حذفهما ، أو قلبهما ، أو إدغامهما - كما سنرى فيما بعد - ، وفي هذا يقول المبرد : «اعلم أن هذه الواو إذا كان الفعل على (يَفْعَلُ) سقطت في المضارع ، وذلك قولك : وَعَدَ يَعِدُ ، وَجَدَ يَجِدُ ، وَوَسَمَ يَسِمُ . وسقوطها ؛ لأنها وقعت موقعاً تمتنع فيه الواوات ؛ وذلك أنها بين ياء وكسرة ، وجُعِلت حروف المضارع الأخر توابع للياء ؛ لثلاثا يختلف الباب ، ولأنه يلزم الحرف ما لزم حرفاً منها ؛ إذا كان مجازئها واحداً . . . وإن بنيت المصدر على (فَعَلَّة) لزمه حذف الواو ، وكان ذلك للكسرة في الواو ، وأنه مصدر فعل معتل محذوف . وذلك قولك : وَعَدْتُهُ عِدَّةً ، وَوَزَّيْتُ زِنَةً ، وكان الأصل وَعِدَّةً وَوِزْنَةً ، ولكنك أَلقيت حركة الواو على العين ؛ لأن العين كانت ساكنة ، ولا يُتَبَدَأُ بساكن ^(٢).

هذا الثقل الناشئ من وجود الواو ساكنة بين ياء وكسرة ، أو من اجتماع الواو مع الكسر ، لا يكون مع الفتحة قبلها ؛ لأن الفتحة حركة خفيفة ؛ مفتوحة ، مخرجها من وسط اللسان ، ويكون الفم معها منفرجاً ، واللسان مستلقياً في قاع الفم دون أدنى توتر ، وهذا بعكس الكسرة والضمة اللتين توصفان بأن موضع نطقهما في الفم من الأمام أو من الخلف ، وانفتاح الفم معهما يكون منغلقاً ، وتزيد الضمة مع الانغلاق باستدارة الشفتين ^(٣). ويؤكد المبرد ذلك بقوله : « فَإِنْ كَانَ الْفِعْلُ عَلَى (فَعِلَ) كَانَ مُضَارَعَةً صَحِيحاً - أَيْ : لَا تُحذف

(١) المبرد . كتاب المختضب ٢٦٦/١ تحقيق محمد عبد الحالح عظيمه ، ١٣٩٩ هـ ، ط . للجلس الأعلى للشئون الإسلامية . لجنة إحياء التراث الإسلامى .
(٢) السابق ٢٢٦/١ - ٢٢٧ وانظر سيويه ٢/٢٣٢ ، ٣٥٨ .
(٣) الطيب البكوش . التصريف العربى ٤٦ - ٤٩ تونس ١٩٧٣ .

الواو - إذا كان على (يَفْعَل) ، وذلك قولك : وَجِلَ يَوْجَلُ ، وَحِلَ يَوْحَلُ ، وَوَجَعَ الرجل يَوْجَعُ؛ لأن الواو لم تقع بين ياء ، وكسرة ^(١) .

ومن ثم ، فلين هذين الصوتين : الواو والياء ، بعد الفتحة يأتي من قلة الكلفة ، والمشقة على اللسان والفم عند النطق بهما ساكتين بعد فتحة ، وهذا بعكس لو سبقت الواو بكسرة ، والياء بضمة ، ففي هذه الحالة يحدث الجمع بين ثقيلين ؛ وليس - كما يقول ابن جنى - ذلك راجعاً إلى الحروف ، إنما هو استئصال منهم الخروج من ثقيل إلى ما هو أثقل منه ، وأنت لو رُمْتَ أن تأتي بكسرة ، أو ضمة قبل الألف ، لم تستطع ذلك البتة ، وكذلك لو تكلفت الكسرة قبل الواو الساكنة المفردة ، أو الضمة قبل الياء الساكنة المفردة لتجشمت فيه مشقة وكلفة لا تجدها مع الحروف الصراح ، وذلك أن تقول : قَوْل ، وطُول ، ثم تستقل ذلك ، فتقلب الواو للكسرة قبلها : ياء ، فتقول : قِيل ، وطِيل ، وقد قالتها العرب مقلوبين هكذا ، ونحوهما : مِيزَان ، ومِيقَات ، ومِيعَاد . كل هذا من الواو فى : وَزَنَ ، وَوَقَّتَ ، وَوَعَدَ ، وكذلك قالوا : مُوسِر ، ومَوْقِن ، وأصلهما : مُوسِر ، ومِيقِن ، فكرهوا الياء بعد الضمة ، فأبدلوا واواً ^(٢) .

إن ابن جنى يسمى التحول الذى أصاب : قول ، وطول ، وحولهما إلى : قِيلَ وطِيلَ بأنه قلب للواو ياء ، للكسرة قبلها .

ويسمى التحول الذى أصاب الياء بعد ضمة فى : ميقن ، وميسر ، وحولهما إلى موقن ، وموسر ، بأنه قلب للياء واواً ، للضمة قبلها .

هذه واحدة ويعمل ذلك القلب بأنه ناشئ عن الجمع بين ثقيل وأثقل منه ،

(١) المبرد ٢٧٧/١ .

(٢) ابن جنى . سر صناعة الإعراب ١٨/١ - ١٩ .

أى : حركة الضم أو الكسر ثقيلتان ، والواو والياء الساكتان أثقل منهما ؛
لأنه فى هذه الحالة قد اجتمع أو تجاوز المتنافران ، أو المتقابلان ، وهما الضم
والكسر ، «و الضمة والكسرة مستقلتان فى الحروف المعتلة» ^(١) لأن الضمة
تخرج من مؤخر الحنك، والكسرة من مقدم الفم.

هذا كلام لاغبارعليه ، لأنه اتجاه عام فى السلغة من الجنوح إلى السهل اللين
من الألفاظ ، ولو أدى ذلك إلى القلب ، والأبدال ، والإدغام ، والحذف . .
الخ . ولكن تفسيره لذلك بأنه قلب للواو ياء أو قلب للياء واواً فيه نظر ؛
لأنه ليس بقلب ، إنما هو حذف للواو والياء بعد كسرة أو ضمة ، أو هو سقوط
للحرفين المعتلين دون حركتيهما . هذا السقوط أشار إليه ابن جني ، فى مكان
آخر من كتابه ، وعلل له ، عندما قال : « وإنما كان الاصل فى قام : قَوَمَ ،
وفى خاف : خَوَفَ ، وفى طال : طَوَّلَ ، فلما اجتمعت ثلاثة أشياء مستجانسة
، وهى الفتحة ، والواو ، أو الياء وحركة الواو والياء ، كُتِرَ اجتماع ثلاثة
أشياء متقاربة ، فهربوا من الواو والياء إلى لفظ تؤمن فيه الحركة (أى : ساكن
دائماً ولا يتحرك أبداً) ، وهو الألف وسوغها أيضاً انفتاح ما قبلها ، فهذا هو
العلة فى قلب الواو والياء فى قام وباع» ^(٢).

لكننا مازلنا نقول : إنه ليس هروباً من الواو ، أو الياء إلى الألف ، بل
هو سقوط للواو ، والياء تماماً ، مع بقاء حركتيهما ، أو هو سقوط للواو
الساكنة بعد كسرة ، أو للياء الساكنة بعد ضمة ، ومن الحركتين نشأ المد لحركة
الحرف السابق لهما قبل سقوطهما ، أو نشأ المد بفعل النبر الساقط على حركة
الحرف السابق لهما بعد سقوطهما ساكتين .

إذن الضمة والكسرة مستقلتان مع الحروف المعتلة - كما قال المبرد -

(١) المبرد ١ / ٢٧٢ .

(٢) ابن جني - سر الصناعة ٢٢ / ١ .

والنتيجة أن الواو والياء تسقطان إذا حدث واجتمع مع الواو كسرة، أو اجتمع مع الياء ضمة . وسواءً كان الاجتماع مع واو ساكنة أو متحركة لأن الكسرة قبل الواو الساكنة تتحول إلى ياء مد بتأثير النبر الساقط عليها كما فى : قيل وطيل ، وكذلك الياء الساكنة بعد ضم تتحول الضمة إلى واو مد بفعل النبر الساقط عليها كما فى : مُوسِرٌ ومَوْقِنٌ . أما الواو المتحركة ، أو الياء المتحركة ، فينشأ المد بعد سقوطهما من اجتماع حركة ما قبلها مع حركتها؛ كما أشار ابن جنى : قَوْمٌ قام خَوْفٌ خاف، طَوُلٌ طال ، هَيَّبٌ هاب؛ حيث تقلب حركة الواو أو الياء إلى حركة مجانسة للحركة السابقة الساقط عليها النبر القوي، ومن الحركتين المتجانستين ينشأ المد، وليس القلب حادث للواو أو الياء كما صرح ابن جنى .

وسنعود إلى هذه النقطة المهمة كلما لزم الأمر؛ لأن سقوط حروف العلة، عند حدوث قلب لهذه الحروف يمثل نسبة كبيرة من التغيرات التى تحدث لهذه الحروف فى اللغة العربية .

أما مصطلح المد، فمعناه : أن هذه الحروف الثلاثة : الألف والواو والياء، تأتى على صورة ثالثة ، غير الصورتين السابقتين : حروف علة محركة، أو حروف لين ساكنة بعد فتحة . هذه الصورة الثالثة هى صورة حروف المد ، والمقصود بالمد هنا هو الطول ، وإذا ما علمنا أن الحركات القصيرة : الفتحة ، والكسرة والضمة هى أبعاد حروف المد واللين ، اتضح لنا أن المقصود بالمد هو أن تصبح هذه الحروف حركات طويلة ، Long Vowels « وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة»^(١). إذن « فقد ثبت بما وصفناه من حال هذه الأحرف أنهم توابع للحركات ، ومنتشئة عنها ، وأن الحركات أوائل لها ، وأجزاء منها،

(١) السابق ١٧/١ .

وأن الألف فتحة مشبعة ، والياء كسرة مشبعة ، والواو ضمة مشبعة ، ويؤكد ذلك عندما أيضاً أن العرب ربما احتاجت في إقامة الوزن إلى حرف مجتلب ، ليس من لفظ الحروف ^(١) ، فتشبع الفتحة ، فيتولد بعدها ألف ، وتشبع الكسرة ، فيتولد بعدها ياء ، وتشبع الضمة فيتولد بعدها واو ، وأنشد سيويه :

فِيئًا نَحْنُ نَرْقُبُهُ أَتَانَا مَعْلَقُ وَفَضَّةٌ وَزِنَادٌ رَاعِي ^(٢).

حيث أشبع فتحة (يَيْنَ) للضرورة الشعرية ، فحدثت بعدها ألف ^(٣) ، والإشباع في (بين) نوع من الترتم بالفتحة ، وليس مداً لها ؛ لأن المد للحركات يؤدي إلى تغير وظيفي ، أى يخل بالنظام الاشتقاقي للغة ، مثل : كتب وكاتب ، وقتل وقتل ، فهنا تغير الفتحة إلى فتحة طويلة أدى إلى اختلاف بين الكلمتين ، بينما مطلق - وليس مد - فتحة (يَيْنَ) أدى غرضاً إيقاعياً ، ولم يؤدّ إلى خلل وظيفي للظرف .

غير أن المد الناشئ عنه حروف العلة ، لم ينشأ فقط عن إشباع الفتحة أو الكسرة أو الضمة ؛ حيث رأيناه ينشأ عن اجتماع حركتين قصيرتين متنافرتين ، أو متقاربتين بعد سقوط حرف العلة من بينهما لاجتماع الأمثال ، وبعد سيطرة إحداهما على الأخرى بفعل النبر ، أو بفعل أهميتها في نظام اللغة - كما سنرى - .

بل رأينا المد ينشأ عن سقوط حرف العلة الساكن بعد حركة متنافرة معه ؛ للثقل ، ونشوء المد البديل عنه بفعل النبر الساقط على الحركة السابقة .

(١) أى نحتاج إلى صوت نستكمل به إيقاعاً ، ولا يكون له تأثير صوتي يخل بالمعنى ، كالغنة ، والترتم ، والمطل ، كما سأتى الاستشهاد بذلك .

(٢) الوقفة : الكتانة توضع فيها السهام .

(٣) ابن جني . سر الصناعة ٢٣/١ و نظره بالجرم فى سيويه ١٧١/١ وفى ابن يعيش : شرح المفصل

٣ - نظرة علماء اللغة إلى حروف العلة :

يرى د. إبراهيم أنيس أن « أصوات اللين مع أنها عنصر رئيس في اللغات ، ومع أنها أكثر شيوعاً فيها ، لم يُعَنَّ بها المتقدمون من علماء اللغة ؛ فقد كانت الإشارة إليها دائماً سطحية ، لأعلى أنها من بنية الكلمة ، بل كَعَرَضَ يَعْرِضُ لها ، ولا يكون منها إلا شطراً فرعياً ، وليست العربية وحدها هي التي أهمل في بحثها أصوات اللين ، بل شاركها في هذه أخواتها السامية ، ولعل الذي دعا إلى هذا الانحراف ، أن الكتابة السامية منذ القدم عيّنت فقط بالأصوات الساكنة ؛ فرمزت لها برموز ، ثم جاء عهد عليها ، أحس الكتاب بأهمية أصوات اللين الطويلة ، كالواو ، والياء الممدودتين ، فكتبوهما في بعض النقوش والنصوص القديمة ، وظل الحال هكذا حتى وضعت أصوات اللين القصيرة (الحركات) في العصور الإسلامية .

فالكتابة - التي ليست إلا وسيلة ناقصة للتعبير عن الأصوات اللغوية - صرفت القدماء عن أهمية أصوات اللين ، فلم يرمز لها برموز في صلب الكلمات ، كما هو الحال في الفصيلة الهندية الأوروبية ^(١) .

من النص السابق نفهم أن اهتمام علماء العربية القدامى بحروف العلة واللين والمد كان سطحياً ، لأنهم نظروا إليها كعرض يعرض للكلمة ، أي : ليست إلا شطراً فرعياً منها ، وبتعبير ابن جنى ، نظروا إليها على أنها حروف لين أو مد ، وأن الحركات القصيرة ليست إلا أبعاد لحروف اللين .

رسخ هذا الاعتقاد لديهم نظام الكتابة العربية المشتق من النظام السامي الفينيقي القديم ؛ الذي لا يظهر في مَنَتِهِ إلا الصوامت دون الصوائت ، ومن ثم ،

(١) د. إبراهيم أنيس. بحث في اشتقاق حروف العلة ١٠٤ - ١٠٥ مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ١٩٤٤ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . والأصوات اللغوية ٣٧ ط . خاصة ١٩٧٩ مكتبة الانجلو المصرية .

صاروا ينظرون إلى حروف العلة واللين والمد، على أنها شئ فرعى يعرض للكلمة، كما يقول ابن جنى: «ذلك أن الحرف كالمحلّ»، وهى كالعرض فيه^(١)، وظلت هذه النظرة ملازمة لهم إلى أن أحسوا بأهمية الحركات الطويلة أولاً، أى: حروف المد: ألف المد، وواو المد وياء المد، فرموزها برموز: (ا. و. ي)، وأدخلوها ضمن نظام أبجديتهم القديم، ثم فى العصور الإسلامية، بدؤوا فى وضع رموز للحركات القصيرة: ـُ وللفتحة والكسرة والضمّة.

لكننا نلاحظ، من النص السابق أيضاً، أن د. أنيس قد أطلق على هذه الحروف: أصوات اللين، وهذا المصطلح، كما بينا فيما سبق، ليس سوى إحدى صور ثلاث، تأتى عليها هذه الحروف فى الكتابة العربية، أو هذه الأصوات فى اللغة العربية، وأن ثمة مصطلحين آخرين تسميان به كل من الواو والياء عندما تكونان حرفى علة، أو حرفى لين، أما الألف، فلا تكون إلا على صورة واحدة: حرف مد؛ لأنها لا تأتى إلا ساكنة، أى: إشباع لفتحة قبلها، أما الواو والياء، فكما تأتيان حركتين طويلتين: حرفى مد، تأتيان فى صورة حرفين صامتين أيضاً: أما إذا سكنا بعد فتح، فهما حرفا لين.

لقد أحس القدماء بذلك إحساساً كبيراً؛ فنجدهم يتناولون هذه الأحرف بالمدرسة المكثفة فى كل كتبهم، وهذا على عكس ما يرى د. أنيس؛ حيث عرضوا لكل التحولات التى تحدث لهذه الأحرف، وعلى كل مستويات البحث اللغوى، والصرفى، والنحوى.

بل ليس علماء العربية وحدهم الذين اهتموا بحروف العلة واللين والمد، عند دراستهم لأصوات اللغة، فهذا (أرسطو) يضع مصطلحات ثلاثة لتقسيم حروف العلة إلى: مصوّت، ونصف مصوّت، وصامت.

(١) ابن جنى. سر الصناعة ٢٨/١.

والمصوت هو الحرف الذى له صوت مسموع من غير تقارب اللسان والشفاه، ونصف المصوت هو الحرف الذى له صوت مسموع مع هذا التقارب، ومثاله : حرفاً (Σ) {أى : س اللاتينى} ، و (P) {أى : ر اللاتينى} ، والصامت هو الذى فيه هذا التقارب ، ولكن ليس له بذاته أى صوت ، وإنما يصبح مسموعاً إذا كان مصحوباً بحروف لها صوت ، ومثاله الحرفان : (Γ) {أى : ك الجاف الفارسية أو الجيم القاهرية} و (Δ) {أى : د اللاتينية} ^(١).

بمعنى : أننا نجد تفرقاً - لدى أرسطو - بين أصوات اللغة على أساسين مجتمعين ، الأول : فزيائى مسموع ، والثانى : نطقى موضعى .

فالمصوت لدى أرسطو ، يعنى : الحركات Vowels ، وهذا هو الذى له صوت مسموع . أما الصامت لديه ، فيعنى الحرف Consonant ، فهذا لاصوت له ، إنما له موضع تقارب فيه أعضاء النطق : من لسان وشفتين عند النطق به ، ونحس بمكانه فيها ، لكننا لانسمعه إلا إذا انضم إليه المصوت ، فهو يجمع بين النوعين السابقين ؟ أى نحس بموضعه لتقارب يحدث بين أعضاء النطق عند إصداره ، ونسمع صوته عند هذا التقارب ، وهذا هو ما سمّاه علماء اللغة المحذوثون بأنصاف الصوامت ، أو بأشباه الصوامت ، أو سموه بأنصاف أصوات اللين ، أو بأشباه أصوات اللين ، وهم فى كل هذه التسميات يعنون : الواو والياء العربيتين .

لكننا نرى أن هذا التحديد الأخير إنما هو على خلاف ما كان يقصده أرسطو من : (نصف المصوت) ، لأنه أشار إلى هذا النوع بمجموعة من الأصوات الأخرى من بينها الراء ، والسين ، كما أشار .

(١) د. محمد امتزوى: أشباه الصوائت فى اللغة العربية ٤٨ مجلة اللسان العرب. نقلاً عن : أرسطو طاليس : فن الشعر. ترجمة د. عبد الرحمن بدوى ٥٥. د. دكر الثقافة . بيروت ١٩٨٠مصور عن ط. ١٩٥٢.

بمعنى : أن «مصطلحهم شبه المصوت» ، أو نصف المصوت (Semi vowels) قد انتقل إلى اللغات الأوربية الحديثة ، بعد أن جُردَ تماماً من المفهوم الاصطلاحي الإغريقي ، وحُمِلَ مفهوماً جديداً «^(١)» .

وتسمية الواو والياء الصامتين (شبه صائت) ، كان د. أنيس من أوائل ، إن لم يكن أول ، من أدخلها إلى العربية ؛ حيث يرى أن « في تكوين الياء بدأت أعضاء النطق بمخرج الكسرة ، ثم انتقلت بسرعة إلى مخرج الفتحة ، وفي مثل هذه العملية يتج الياء التي لها خصائص الأصوات الساكنة { يقصد : الصامتة } ؛ لأنه يسمع عند النطق بها نوع من الصغير ، أو الخفيف ، وإن كان ضعيفاً جداً ولها خصائص أصوات اللين { يقصد : الحركات } ؛ لأنها ليست في الحقيقة إلا نتيجة الانتقال بين صوتي ليس { يقصد : حركتين } ، وكذلك الواو ، بدأت أعضاء النطق معها بمخرج الضمة ، ثم انتقلت بسرعة إلى مخرج الفتحة ، ولهذا سميت الياء ، والواو في نحو : وكذ و يسر . . أنصاف أصوات اللين »^(٢) .

بمعنى : أنه يرى أن « الواو والياء صوت انتقالي » ؛ أي : عند النطق به يحدث انتقال من موضع نطق حركة ، إلى موضع نطق حركة أخرى ، كما سبق أن أوضح .

لكننا نجد في كتابة : الأصوات اللغوية ، يعني بالصوت الانتقالي معنى آخر ، حين يقول : « ففي تكوين الياء نلاحظ أن اللسان يكون تقريباً في موضع

(١) د. محمد أمزوي ٤٩ . وقد عرض د. أمزوي لتطور المصطلحات : صامت ، وحركة وشبه صائت أو Semi Vowel - Vowel Consonant من خلال استعراض استخدام الأوربيين والعرب لهذه المصطلحات في كتبهم وأبحاثهم فليرجع إليه من يشاء ، وأخيراً ، ارتضى تسمية : شبه الصائت مصطفاً لهذين الحرفين : (W.Y) أو الواو والياء من بينها .

(٢) د. أنيس . بحث في اشتقاق حروف العلة ١٠٥ - ١٠٦ والأصوات اللغوية ٤٢ - ٤٣ .

النطق بصوت اللين (i) ، مما يترتب عليه أننا نسمع ذلك النوع الضعيف من الحفيف ، فالياء لأنها تشتمل في النطق بها على حفيف ، يمكن أن تعد صوتاً ساكناً { يقصد : صامتاً } ، أما إذا نظر إلى موضع اللسان معها ، فهي أقرب شبهاً بصوت اللين (i) ، ولهذا اصطلح المحدثون على تسمية الياء بشبه صوت لين .

وكذلك الواو ، لافرق بينها وبين الضمة (u) إلا في أن الفراغ بين أقصى اللسان ، وأقصى الحنك في حالة النطق بالواو ، أضيق منه في حالة النطق بالضممة (u) ، فيسمع الواو أيضاً نوع ضعيف من الحفيف ، جعلها أشبه بالأصوات الساكنة { يقصد : الصامتة } . أما حين ينظر إلى موضع اللسان معها ، فيمكن أن نعدها شبه صوت لين (u) .

فالياء والواو هما المرحلة التي عندها يمكن أن ينتقل الصوت الساكن { يقصد : الصامت } إلى صوت لين^(١) .

نحن - إذن - أمام مفهومين للصوت الإنتقالى : الياء والواو ، الأول : يرى أن مخرجه يبدأ في التكون من مخرج الكرة ، أو الضمة ، ثم ينتقل بسرعة ، قبل أن ينتهي النطق به ، إلى مخرج حركة أخرى ، هي الفتحة ، وهذا ما يعرف في الأوريبات بالصوت المزدوج Diphthong .

ولنا هنا تعليق على وصف د. أنيس لتكون لاصوت داخل الفم ، إذ يظهر من وصفه له أنه ينطق به أولاً ، ثم يعقبه بفتح الفم فتحة خفيفة ، ولعل هذا هو السر في اعتقاده بأن الصوت الانتقالى : الواو أو الياء ، يبدأ في التكون من منطقة تكون الضمة أو الكسرة ، ثم ينتقل إلى منطقة تكون الفتحة . في حين يفهم من وصف التحليل للأصوات ، أنه كان يبدأ بإخراج الهواء حراً طليقاً عبر

(١) د. أنيس . الأصوات اللغوية ٤٢ .

الغم، مثل قولنا : آآآآ .. ، ثم يقف فجأة على مخرج الصوت بالسكون هكذا : آآآآت ، آآآآو ، آآآآى ، آآآأس ، ... الخ .

وهنا لا يعقب الصوت فتحةً أو غيرها ، ولعل هذا هو السر فى تصويره الأول للصوت الانتقالى ، بأنه انتقال من مخرج نطق حركة إلى مخرج نطق حركة أخرى .

الثانى : يرى أن الصوت الانتقالى يبدأ من مخرج إحدى الحركتين : (i) أو (u) ، لكنه لا يتهى على صورة الكسرة الخالصة ؛ أو الفضة الخالصة ؛ التى يخرج معها الهواء فى حرية وانطلاق وجهر ، ولا تعترضه عوائق ، لكنه قبل انتهاء النطق به ، يحدث له ، وفى نفس موضع تكوُّنه الأول هذا ، نوع من الضيق فى مخرجه ، ينتج عنه نوع ضعيف من الحفيف المسموع ، فيقترب به من الصوامت الاحتكاكية ، ويُبْعِدُه عن الحركات الخالصة .

وأرى أن هذا التفسير الأخير لنطق الواو والياء العربيتين ، هو الأصح بتسميتهما : أصواتاً انتقالية ، أو حروف علة .

لأن المفهوم الأول ، إذا تحقق فى لغات أخرى ، كالأوربيات ، فإنه غير متحقق فى اللغة العربية ، لسبب بسيط ، هو أن نظام العربية المقطعى يبدأ تكون المقطع فيه بصامت متبوع بحركة قصيرة (المقطع المتحرك) ، أو بحركة مخطوفة ، وهى فتح الغم بعد النطق بالصامت فتحة خفيفة ، حتى يسمع الصوت ، وهو ما نسميه بالمقطع الساكن ^(١) ، ولا يعرف نظام العربية المقطعى ذلك النوع من المقاطع الأوربية المشتمل على حركتين مختلفتين فى الكيف بعد الصامت . كما نجد فى الألمانية فى مثل : s.Stein حجر ، e.Frau سيدة ، r.Raum فضاء ، r. Raub سلب أو نهب حيث يبدأ تحريك المقطع بالحركة

(١) راجع بحثنا : اتجاه حديث فى دراسة موسيقا الشعر العربى . القاهرة ٢٠٠٠ .

الأولى وهى الفتحة وقبل أن يتهى النطق بالمقطع نجد انزلاقاً حركياً إلى حركة أخرى هى (i) أو (u) على الترتيب . هنا يصح أن يطلق على هذا الحدث الفيزيائى السمعى ، أو الحدث الموضعى النطقى ، أنه صوت انتقالى أو انزلاقى Glide ، وهو نوع ثالث من الحركات ، غير الفتحة الصريحة والكسرة الصريحة والضمّة الصريحة ، وغير ألف المد ، أو واو المد ، أو ياء المد العربية .

كما نلاحظ على هذا الصوت الانزلاقى أيضاً ، أنه فى نطقه يكون تالياً لصامت قبله ، مشكلاً له ومميزاً له ، وهذا بخلاف الواو والياء العربيتين الصامتتين اللتين تردان مفتوحتين أو مكسورتين أو مضمومتين ، بل وتردان ساكتين أيضاً كما رأينا فى حرف اللين . أما الواو والياء المدتين ، فقد أخرجناهما عن أشباه الصوائت ؛ لأنهما مع ألف المد صوائت طويلة بالفعل أى حركات طويلة صريحة للفتحة والكسرة والضمّة .

إذن ، الواو والياء الصامتتين العربيتين ، لا يمكن عدُّهما صوتين انتقاليين ، أو أصوات مزدوجة كما يحلو للبعض تسميتها ، وفقاً للمفهوم الحركى الأول ، ويمكن لنا - مع التحفظ - عدُّهما صوتين انتقاليين بالمفهوم الثانى ، الذى يجمع بين الصوائت والصوامت فى حالة تشكُّلهما داخل الفم ؛ فهما شبه صائتين إذا نظرنا إلى بداية تشكُّلهما وتكوُّنهما ، وهما شبه صامتتين إذا نظرنا إلى انتهاء تشكُّلهما وتكوُّنهما .

«فكل من الياء والواو صوت انتقالى من أجل هذه الصفة الانتقالية ، ولقصرهما ، وقلة وضوحهما فى السمع ، وإذا قيسا بأصوات اللين ، أمكن أن يعدا من الأصوات الساكنة { يقصد : الصامتة } . فللياء والواو طبيعة مزدوجة (١)» .

(١) د. أنيس . الأصوات اللغوية ٤٣ .

وقد وصف روسلو / لاكلوط أشباه الصوائت ضمن الصوامت، ونعتاها بالصوامت المصمتة، وهم في تمييزهم لها إنما اعتمدوا على «مقياس صوتياتي نطقي» يمثل في قصر مدّة التحقق النقطي في أشباه الصوائت، إذا قيست بالصوائت»^(١).

كما أن وصف الواو والياء بأنهما أصوات انتقالية، نجده مسجلاً في المعاجم الاصطلاحية، لكن بمفهوم أشمل وأعم مما سبق؛ ففي معجم اللسانيات الذي أشرف على تأليفه (ج. مونستان) يقول: «يقصد بالمصطلحين: شبه صائت، وشبه صامت، المترادفين عند عدد كبير من المؤلفين: الإنتاج الصوتية خصوصاً (J)، (W)، (U) التي يمكن النظر إليها على أنها صنف وسط بين الصوامت، والصوائت؛ لخصائصها النطقية (الانفتاح)، وتوزيعها داخل المقطع»^(٢). ويذكر أن بعض علماء الأصوات يميزون بين شبه الصائت، وشبه الصامت؛ فهو شبه صامت حين يقع قبل قمة المقطع، كما في كلمتي: تبيان tibia:n، وأقوال 'aqwa:L، وهو شبه صائت حين يقع بعد القمة المقطعية، كما في كلمتي بيض baid، وحوض hawd...، ثم يشير إلى أن علماء الأصوات الأنكليز يستعملون مصطلحاً عاماً هو: الانزلاق Glide الذي يتميز على صعيد السمات الفيزيائية بأنه ليس صائتياً، ولا صامتياً^(٣) بمعنى: أن أشباه الصوائت: الواو والياء العربيتين صنف ثالث، غير الحركات، قصيرها وطويلها، وغير الصوامت، إنها صنف يجمع بين الصوائت والصوامت، فيه من الصوائت: الانفتاح، وحرية مرور الهواء من الفم، وخروجه من مخرج الحركة. وفيه من الصوامت: الاحتكاك، والتضييق في المخرج، والقصر

(١) د. محمد لمتزوي ٤٩.

(٢) السابق. نفس الصفحة. والرمز (١٤) يقصد به الصوت (O) الموجود في اللهجة المصرية في قولنا:

يوم، ونوم، وعوم... الخ.

(٣) السابق. ٥١.

النطقى، وقلة الوضوح السمعى إذا قيست كل من الواو والياء بالحركات ، وقدرته على بناء المقطع؛ حيث تشكل كل من الواو والياء فى العربية (وديان المقاطع)؛ فقد تأتى الواو، أو الياء فى بداية المقطع ، أى : قبل قمته الحركية - كما أشرنا من قبل - وسميها بحروف العلة فى مثل : ولد ، وولد ، وقد تأتى الواو ، أو الياء بعد قمة المقطع الحركية ، وهى تلك التى سميها بحروف اللين، فى مثل : بيت ، ونوم.

بمعنى : أن علماء اللغة الإنجليز عندما نظروا إلى الواو والياء، كصوت انزلاقى ، نظروا إليه من زاوية دخوله فى تكوين المقطع؛ فالواو أو الياء قبل قمة المقطع (الحركية) شبه صامت؛ لأنه حرف يحمل حركة، فهو أشبه بالصوامت الأخرى، كما فى (يكتب) ، (ولد) . . الخ ، والواو، أو الياء الساكنة بعد قمة المقطع شبه صائت؛ لأنه حرف لين يكمل المقطع ، فهو أشبه بالحركات الطويلة ولكن دون المد فيها مثل : بيت ، ويوم . . . الخ، وهم فى هذا يتفقون مع علماء العربية القدماء عندما وصفوا الأول بحرف العلة، والثانى بحرف اللين، أما حروف المدّ فهم يتفقون معهم فى أنها ليست سوى الحركات الطويلة Long Vowels بتعبير أكثر وضوحاً واختصاراً.

تنوزع حروف العلة واللين والمدّ العربية على النحو التالى :

- تكون قمماً مقطعية حالاتها المدية مثل : قال ، مسلمون ، كبير .
- تكون ودياناً مقطعية فى بادئاته فى مثل : يَحْضُرُ ، وَجَدَ .
- تكون ودياناً مقطعية منتهية للمقطع فى مثل : بَيْت . نَوْم .

إن بعض الأصوات مؤهلة بحكم خصائصها الذاتية، ووظيفتها فى نظام اللغة، لأن تكون الصوت الأساسى فى المقطع ، على حين يحتل بعض آخر مركزاً ثانوياً فى تكوين المقطع ، وتمتاز الأصوات المقطعية بأنها فى الغالب صوائت،

أو صوامت من النوع الذى يحمل شهاً قوياً بالصوائت، وتصف هذه الاصوات من حيث إصدارها بأنها ذات تطق واسع مفتوح Open articulation من حيث فيزيقيتها بالرنين.

أما الاصوات غير المقطعية، فتصف على عكس ذلك بالنطق الضيق وانعدام الرنين^(١). ومن ثمَّ كانت الاصوات المعتلة :

(و.ا.ى) نتيجة لطبيعتها النطقية، وصفاتها الصوتية، قادرة على أن تشكل قمم المقاطع فى اللغة العربية، وعلى أن تُشكّل وديانها أيضاً .

٤ - التحولات التى تطرأ على حروف العلة واللين والمد:

تسمى التحولات الصوتية التى تحدث للاصوات نتيجة لتأثرها ببعض بالقلب والأدغام؛ «وأقصى ما يصل إليه الصوت فى تأثره بما يجاوره، أن يفنى فيه الصوت المجاور، فلا يبقى له أثر، وفناء الصوت فى صوت آخر هو ما اصطلح القدماء على تسميته بالإدغام، وتأثر الاصوات اللغوية بعضها ببعض ليس مقصوراً على الاصوات الساكنة (يقصد : الصامتة) ، بل قد يكون أيضاً فى أصوات اللين، وهو ما يسمى بانسجام أصوات اللين Vowel Harmony^(٢) .

والقلب الذى يطرأ على حروف العلة، ويحولها إلى حروف لين، أو مد، راجع فى أساسه إلى إحداث نوع من الانسجام فيما بينها؛ فحروف العلة واللين والمد - كما أشار ابن جنى - كانت فى أساسها حركات : الفتحة والكسرة والضمة؛ « فإنك متى أشبعت واحدة منهن، حدث بعدها الحرف الذى هو بعضه، وذلك نحو فتحة عين (عَمَرَ) ، فإن أشبعتها حدثت بعدها (الف) ، فقلت: عَامَرٌ ، وكذلك كسرة عين (عَنَبَ)، إن أشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة،

(١) د. سعد معلوح . دراسة السمع والكلام ٢٢٦ عالم الكتب ١٩٨٠ .

(٢) د. أنيس . الاصوات اللغوية ١٨٢ .

وذلك قولك: عييب ، وكذلك ضمة عين (عُمِرَ) لو أشبعتها لأنشأت بعدها واواً ساكنة ، وذلك قولك : عُوِمِرَ ، فلولا أن الحركات أبعاداً لهذه الحروف ، وأوتل لها ، لما نشأت عنها ، ولا كانت تابعة لها^(١).

بمعنى : أن أول تحول نسجله على هذه الحروف المعتلة ، هو ما يسمى بالمدّ، أى : تحولها إلى حروف مد ، وأن هذا المدّ ناشئ - فى بعض منه - عن إشباع للحركات القصيرة ، وسبق لنا أن علمنا لماذا تلتجأ اللغة إلى مثل هذا الإشباع ، « فالعرب ربما احتاجت فى إقامة الوزن إلى حرف مُجْتَلَب ، ليس من لفظ الحروف ، فتشبع الفتحة ... »^(٢).

وقد تستخدمه اللغة وسيلة من وسائل تنويع الاشتقاق ، لاستخراج مختلف المعانى من الجذر ، أو لإحداث فروق معنوية ، أو لغايات تمييزه بين صيغة وأخرى ، مثل : كَتَبَ وَكَاتَبَ ، وَقَتَلَ وَقَاتَلَ .. الخ.

لكن المتأمل لحروف المد العربية ، يلاحظ أنها لم تنشأ كلها عن إشباع للحركات القصيرة ، لكن - وكما سبق أن علمنا - من سقوط لحروف العلة دون حركاتها ، حينما تجمع الأمثال ، حيث يسقط حرف العلة بين علتين ، وينشأ من الحركتين المتبقيتين المد الطويل ، بعد أن تغلب إحداهما على الأخرى ، لأسباب موضوعية محددة فى كل حالة .

صحيح أن ابن جنى هو صاحب ملمح السقوط ؛ لاجتماع الأمثال ، لكنه لم يحسن تفسير هذه الظاهرة التى تحكم حروف العلة فى أغلب تحولاتها ، واكتفى بالقول : إنها راجعة إلى الثقل الناشئ عن اجتماع الثقيلين ، ومرة أخرى بأن العرب كرهوا الخروج من الضم إلى الياء ، أو كرهوا الخروج من الكسر إلى السواو ، أو من الكسر إلى الالف . وقد سبق إيراد نصه الذى أشار

(١) ابن جنى . سر الصناعة ١٨/١ .

(٢) السابق . ٢٣/١ .

فيه بأنه « استكراههم الخروج من كسر إلى ضم بناء لازماً ، فليس ذلك راجعاً إلى الحروف ، إنما هو استئصال منهم الخروج من ثقل إلى ما هو أثقل منه ... » ^(١) ، بل ، وأضاف إليه : « وكذلك إن انكسر ما قبل الألف ، أو انضم ، قلبت الكسرة ياء ، والضمّة واواً ، وذلك الياء في (قُراطيس) إنما هي بدل من لآلف في (قُراطس) ، والواو في : (ضُويُرب) إنما هي بدل من الألف في (ضارب) » ^(٢) .

بمعنى : أنه علل السقوط بالثقل الناشئ عن اجتماع المثليين : ضمة بعد واو ، أو كسرة بعد ياء ، أو ناشئ عن اجتماع المتنافرين : ضمة بعد ياء أو كسرة بعد واو ، وفي كلتا الحالتين يكون الاجتماع ثقیلاً في النطق ، وإن كان التماثل أثقل من التنافر ؛ لكون التنافر فيه تنوع حركي من الخلف للأمام ، أو العكس ، وهذا ولاشك ، أسهل على اللسان من النطق بحركتين ثقيلتين متماثلتين ، لكون اللسان يكره ، أو يثقل عليه العودة إلى موضع واحد مرات متعددة في كلمة واحدة ، وهو ما أسماه العرب بفصاحة الألفاظ ، عند خلوها من مثل هذا التماثل ، ومثلوا له بكلمة : (مُسْتَشْرِزَات) في بيت امرئ القيس الشهير ، حيث تتقارب مخارج ألفاظ هذه الكلمة ، أو تتحد في كلمة واحدة .

النتيجة أن العرب في مثل هذه المواضع ، أسقطوا حرف العلة ، ثم أدغموا إحدى الحركتين الثقيلتين في الأخرى بعد قلبها ؛ لينشأ عنها مد طويل للحركة الأولى . أو أدغموا واحدة في الأخرى فقط لينشأ عن الأولى مد طويل .

وإدغام الحركات بعضها في بعض يكون بقلبها إلى حركة عمالة للأخرى التي تستدغم فيها ، لينشأ عن هذا الإدغام مدٌّ للحركة الأولى . وهذا يختلف

(١) انظر النص في هامش (A) .

(٢) السابق نفس الهامش .

عن إدغام الصوامت؛ إذ يتطلب ذلك أن يسكن أحد الصامتين، ثم يُدك إلى حرف مائل للحرف الذى سيدغم فيه، فينشأ عن الإدغام الصوت المضعف.

لقد سبق لنا القول : إن ذلك النص من ابن جنى يفسر لنا جوانب مهمة فى تحولات حروف العلة؛ منها :

كيفية تحولها من حروف علة إلى حروف مدّ .

ومنها : كيفية تحولها من حروف علة إلى حروف لين، وفسّر هذا الأخير بأنه تحول من الصيغة التى على وزن (فعل) فى مثل : قول ، وطول ، إلى صيغة (فَعُل) التى ارتضوها اسماً ومصدرأ ، فقالوا : قَوْل ، طَوْل ؛ حيث ورد حرف العلة فى الصيغتين ساكناً ، لكنه مسبوق بكسرة، وهى لاتناسب الواو؛ لاجتماع المتنافرين، فتقل ذلك على اللسان، فحوّلوا الكسرة إلى فتحة؛ لأن الفتحة تجانس الضمة وتجانس الكسرة، أى تقع موقعاً وسطاً بين الضمة الخلفية والكسرة الامامية، ومن ثمّ تسهل الفتحة قبل الواو ، كما تسهل قبل الياء ، وهذا يفسر لنا لماذا تسهل حروف اللين على اللسان ، ولماذا تثبت الواو والياء الساكتين مع الفتحة ولا تحذفان أو تدغمان .

كان يمكن لهذا الصيغة أن تستمر فى التحول، لكنها وقفت عند هذا الحد، أى حد التحول إلى حرف لين ساكن مسبوق بفتحة؛ لأنهم قصدوا بها أن تكون اسماً ، ومصدرأ على هذا الوزن (فعل) ، فلماً تحقّق لهم ما أرادوا ، مع سهولة لفظه ، وقفوا به فى تحوله إلى هذا الحد، ليكون الوزن واحداً فى كل من الصحيح والمعتل؛ لاحظ: ضَرَبَ ضَرْباً، فَتَحَ فَتْحاً ، أَكَلَ أَكْلاً، وكذلك : قَالَ قَوْلًا ، وَبَاعَ بَيْعًا وَحَالَ حَوَالًا، وطال طولاً . . الخ.

ثمّة ملاحظة يمكن تسجيلها ، وهى أن حروف العلة، عندما تتحول فى أوزان اللغة إلى حروف لين، أى تُسَكَّن، فإنها لا تستقر على حالتها اللينة تلك إلا إذا سُبِقَتْ بفتحة، وهى فى هذا تختلف عن الحروف الصحيحة التى يمكن

أن تسكن وتسبق بضمة أو بكسرة، مثل : شَرِبَ شُرْباً، وَلِعَبَ لعباً . . الخ ،
 « على أن من العرب من يقلب في بعض الأحوال الواو والياء الساكتين الفين
 للفتحة قبلهما ، وذلك نحو قولهم : في الحَيْرَةِ : حَارِيّ وفي طَيْئٍ : طَائِيّ ،
 وأجاز غيرُ الخليل في «آية» أن يكون أصلها «آية» ، فقلبت الياء الأولى ألفاً
 لانفتاح ما قبلها. وقالوا : أرض داوِيَّةٌ ، منسوبة إلى الدَّوِّ ، وأصلها : «دَوِيَّة»
 فقلبت الواو الأولى الساكنة ألفاً لانفتاح ما قبلها ، إلا أن ذلك قليل غير مقيس
 عليه غيره »^(١).

بمعنى : أن التحول من العلة إلى اللين، رغم سهولته على اللسان ،
 واطراده في القياس مع نظيره الصحيح ، كان يمكن له أن يستمر في التحول إلى
 صورة المدِّ ، بدليل وجود نماذج منه - كما سبق في النص-، لكن هذا التحول
 لم يكتب له الحدوث مع صيغة اللين.

بل « غلبت اللهجات العربية إلى التخلص من نصف العلة المُشكَّل بالسكون
 والمفتوح ما قبله عن طريق تغييره هو والفتحة بحركة طويلة من جنسه : فتحة +
 و ← ضمة طويلة مُفَحَّمة : ضَوْءٌ ← ضَوْءٌ ، لَوْزٌ ← لَوْزٌ . وفتحة + ي ←
 كسرة طويلة مفحمة : يَيْتٌ ← يَيْتٌ ، عَيْبٌ ← عَيْبٌ »^(٢).

لكن يظل هذا التطور ، أو ذاك تطوراً لهجياً ، وهو تطور يجب أن يدرس
 دراسة مستقلة ، كما سبق لنا أن أشرنا إلى مثل تلك الظواهر في اللهجات .

وليست كل الصيغ المعتلة تكون مفتوحة قبل حروف اللين الساكنة؛ فثمة
 صيغ يلزم فيها أن تكون مضمومة، أو مكسورة، بل ليست كل واو أو ياء تأتي
 ساكنة وهذا ما أشرنا إليه في تحليل ابن جنى السابق، لسر سقوط الواو أو الياء
 بعد الضمة أو الكسرة، للثقل الناشئ عن اجتماع التماثلين، أو المتنافرين.

(١) السابق ٢٣/١.

(٢) د. أحمد مختار عمر . دراسة الصوت اللغوي ٣٩٣ عالم الكتب، ١٩٩١.

فثمة تحوُّلٌ يطرأ على الواو والياء عند بناء الأفعال المعتلة للمجهول ؛ فالواو فى : فالواو فى : قول ، وطول ، يلزمها التحرك بالكسر ، وأن تسبق بضمة ، كما هو القياس فى بناء الثلاثى للمجهول ، فنقول : (قول وطول) فاجتمعت الأمثال الثلاثة : الضمة والواو والكسرة ، فسقطت الواو ، أن حذفت ، فالتقى الثقيلان : الضمة والكسرة ، فكان لابد من الإدغام بتغليب إحدى الحركتين على الأخرى ، وتحويل الثانية مدا لها ، فلمن تكون الغلبة؟ وبخاصة أن كلتا الحركتين فى صيغة البناء للمجهول يجب مراعاتها فى هذا الوزن المميز للفعل المبني للمجهول .

باستقراء منهج العرب فى التعامل مع الفعل الثلاثى الجذور ، نجد أنهم قد أعطوا الحركة عين الفعل أهمية كبيرة على ماسواها ، ويتضح ذلك من جدول تصريف الثلاثى ، و من ثمَّ ، تصبح الكسرة هى الأكثر أهمية ومراعاة ، ومن ثم ، قلبت الضمة إلى كسرة لمناسبة الكسرة ، ومن الكسرتين نشأ المد الموجود فى صيغة البناء للمجهول ، فقالوا : قيل ، طيل ، بيع ، نيم ، صيم .. الخ .

فس على ذلك بقية الأوزان الأخرى التى ذكرها ابن جنى فى نصه المشار إليه سابقاً ، مثل : (مِيزان) على وزن (مِفْعَال) ، وكذلك : مِيقَات ، ومِيعَاد والأصل فيها : مِوزَان ، ومِوقَات ، ومِوَعَاد فاجتمع الثقيلان المتنافران : الكسرة والواو ، وهم « كانوا يستكروهون الخروج من كسر إلى ضم بناء لازماً .. لأنه خروج من ثقيل إلى ما هو أثقل منه » ، فما التحول الذى أحدثوه للخروج من ذلك الثقل ؟ غلبوا كسرة الميم على الواو الساكنة ؛ لأسباب ، منها : أن الميم حرف صحيح مُعْرَك بالكسرة ، والحركة زادته قوة على قوة .

ومنها ، أن الوزن المقيس عليه هو : (مفعال) ، مكسور الأول.

ومنها ، أن الواو حرف علة ضعيفة سريع القلب والحذف والإبدال ، وقد جاء ساكناً ، فازداد ضعفاً على ضعف. ومن ثَمَّ ، كانت الغلبة لكسرة الميم ، فأبدلت الواو ياء ساكنة لتناسب الكسرة قبلها في المد.

إذن التحول الذى أصاب حروف العلة ، قد سار فى اتجاهين : اتجهاء اللين ؛ بتسكينها بعد فتحة ، والوقوف بها عند هذا الحد.

واتجهاء تحويلها إلى حروف مد من جنس الحركة السابقة عليها ، وهذا الاتجهاء الأخير وجدنا له سبباً متعددة :

إما بإسقاط حرف العلة عندما تجتمع الأمثال ، ومن إدغام الحركتين ينشأ المد الطويل .

وإما بتغليب إحدى العلتين على الأخرى لأسباب موضوعية فى كل حالة فتقلب العلة الأخرى إلى علة ماثلة لها ، ومن الإدغام ينشأ المد .

اللافت للنظر اطراد هذه القواعد فى معظم التحولات التى تطرأ على حروف العلة ، ويتبع الصيغ التى ذكرها ابن جنى فى نصه ، بل وغيرها من أمثلة لم يوردها ، ونجد اطراداً لمعظم تحولات حروف العلة على هذا النسق :

ففى المثال الثالث الذى أورده ، وهو اسم الفاعل من غير الثلاثى : مُوسِر ، ومُوقِن ، تطرّد القاعدة ؛ حيث نعلم أن اسم الفاعل من غير الثلاثى يصاغ على وزن مضارعة ، مع إبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وكسر ما قبل الأخير .

و(مُوسِر) كان قياسها : مُبِير ، و (مُوقِن) كان قياسها : مُقِن ، فاجتمع الثقلان : الضم والياء ، ولما كان الضم الأول ذا أهمية فى تمييز صيغة اسم الفاعل من غير الثلاثى ، أبقي عليه ، وقلبت الياء الساكنة واواً ساكنة ؛ لأنها تناسب مد الضم ، فصارت : مُوقِن ، ومُوسِر .

وفى صيغة التصغير : (ضَوِيرِب) المشتقة من (ضارب) ، نجد أطراداً للقاعدة أيضاً ؛ فآلف ضارب نشأت من إشباع فتحة الضاد ؛ للتنويع الاشتقاقى : اشتقاق اسم الفاعل من : ضَرَبَ .

وعندما أرادوا اشتقاق صيغة التصغير من ضارب ، اضطردت القاعدة ؛ بدورها ؛ حيث يضم الأول ، ويفتح الثاني ، وتضاف ياء نالشة ساكنة فى الوزن الذى ارتضوه للتصغير .

فضمَّت الضاد بعد أن كانت مفتوحة ، فتحولت ألف المد إلى واو مد ساكنة ؛ لاستحالة النطق بالألف بعد ضمة - كما قال ابن جنى - ، ثم أضيفت ياء نالشة ساكنة بعد الواو الساكنة ، فصارت : ضَوِيرِب ، فالتقى ساكنان ثقيلان : الواو والياء ، والقاعدة تقول : بحذف الساكن الأول إذا كان حرف علة . لكن لو تم الحذف سيختل وزن التصغير خاصة أن الحرف الثانى فى وزن التصغير يحمل نبراً قوياً ، ولا يسقط النبر فى اللغة إلا على مقطع متحرك ، فما كان منهم إلا أن تخلصوا من التقاء الساكنين بتحريك الواو بالفتح ، وأبقوا على الياء الساكنة الثالثة فنشأ اللين السهل على ألسنتهم : ضَوِيرِب ، وحافظت الصيغة على صورتها المصغرة .

وتطرّد القاعدة أيضاً عند اجتماع حركتين متماثلتين ؛ فى مثل : يدعو ، ويسمُو ؛ فالأصل : يَدْعُو ، وَيَسْمُو ، فأدى اجتماع الأمثال الثقيل إلى سقوط الواو بين ضمتين ، ومن الإدغام نشأ المدُّ ، وصارت : يَدْعُو على وزن يَفْعُو .

وتطرّد القاعدة عند اجتماع علتين متافرتين ؛ فى مثل : يحكى ، ويرمى ؛ فالأصل : يَحْكِي ، وَيَرْمِي ، فأدى اجتماع الأمثال الثقيل إلى سقوط الياء ، فاجتمعت الكسرة بالضمّة ، ولما كانت الكسرة هى حركة عين الفعل ، كانت لها السيطرة والبقاء . فقلب الضمة كسرة لتناسب كسرة عين الفعل ، ومن الإدغام نشأ المدُّ ، وصارت : يَحْكِي وَيَرْمِي على وزن يَفْعِي .

وفى مثل : القاضى والداعى والساعى ، نعلم أن الأصل هو : القاضى ، والداعى والساعى ، وأنها جميعاً على وزن اسم الفاعل من الثلاثى ، ويمكن تفسيرها مثل الصيغ السابقة . لكن ثمة تفسير آخر يدعّمه ، وهو أن هذه الكلمة تحمل نبرين ، لتعدد مقاطعها ، حيث يسقط نبر قوى على كل من : القاف والضاد ، والdal والعين ، والسين والعين على التوالى ، ويسقط النبر على الحرف تزداد الحركة الحاملة لهذا النبر قوة ، وتصبح لها السيطرة والظهور على ما يجاورها ، بل تصاب الحركة التالية لها بالإغلام الصوتى ، أى تحذف إن كانت قصيرة ويسكن الحرف بعدها ، وتقصّر إن كانت طويلة ، والنتيجة أن حذفت حركة الإعراب بعد مقطع منبور ، فسكنت الياء فأدعمت فى الكسرة قبلها ، فنشأ المد .

وبمثل هذه الطريقة ، يفسر التحول الذى يصيب حروف العلة فى الأفعال التالية : يقضى ، ويدعو ، ويسعى ، ويبقى .. الخ .

وكذلك عند إسناد الأفعال المعتلة إلى الضمائر : واو الجماعة ، وألف الاثنين ، وياء المخاطبة ، كما فى : يَرْتُونَ ، وأنتِ ترمين ، وهم يَسْعَوْنَ وأنتِ تَسْعِينَ .. الخ .

وبتطبيق القاعدة نلاحظ : سقوط الواو (لام الفعل) فى (يرتون) فصار الفعل (يرتو) بالمد ، على وزن : يَفْعُو ، لتوالى الأمثال .

وعند إسناده إلى واو الجماعة ، السقى مدان : مَدَّ عَيْنَ الفعل ، وهو ذو أهمية كما نعلم ، ومَدَّ واو الجماعة : الضمير المسند إليه الفعل ، هنا يحذف مد عين الفعل رغم أهميته ، ويبقى مد الضمير ؛ حتى لا يفوت غرض الإسناد ، كما أن القاعدة تقول : بحذف الساكن الأول عند اجتماع الساكنين فصارت : يَرْتُونَ على وزن : يَفْعُونَ ..

يقاس على ذلك الإسناد إلى ياء المخاطبة .

أما الفعل (يَسْعُونَ)، فنلاحظ أن التحول فيه صار فى طريق التحول إلى حروف اللين، وليس فى طريق التحول إلى حروف المد؛ وسبق أن علمنا أن كلا التحولين مقبول ، ومستناخ فى اللغة، وأن الصيغة بحروفها الموجودة فيها هى التى تفرض أحد التحولين، دون الآخر، وقد تحقق شرط اللين فى الفعل يسعي؛ إذ سقطت الياء أولاً لاجتماع الأمثال، فادغمت ضمة الإعراب فى فتحة عين الفعل، فنشأ المد، فصار يسعى على وزن: يفعى، وبإسناده إلى واو الجماعة سقط مد عين الفعل لالتقاء الساكنين، فصارت واو الجماعة الساكنة مجاورة لفتحة العين فنشأ اللين السهل المقبول على الألسنة، وصارت الصيغة: يَسْعُونَ، واكتفت بهذا التطور.

ثمة شذوذ ظاهرى نسجله على حروف العلة، فيه كسر للقاعدة الصارمة السابقة فى تحولات حروف العلة؛ هذا الشذوذ يحدث غالباً لأمن اللبس، وهو أمر مشروع فى كل اللغات؛ فعند إسناد الفعل الماضى المعتل بالالف، إلى ألف الاثنين، مثل: سعى، ودنا، وهوى .. الخ فإننا نقول: سعيًا، ودنوا، وهويًا، حيث يعود حرف العلة فى مثل هذه الأفعال الناقصة إلى الظهور، ولا يسقط بين حركتين، كما هى القاعدة، والسبب فى ذلك هو أمن اللبس؛ لأنه لو لم يعد للظهور، لكان النطق مع الإسناد إلى ألف الاثنين هو أيضاً: سعى Sa'aa ودنًا Danna، وهوى Hawwa. وهو نفس نطق الفعل عند إسناده إلى ضمير المفرد الغائب، فلكى لا يفوت غرض الإسناد إلى الاثنين حدث الشذوذ السابق للقاعدة، بعودة الياء، والواو (لام الفعل الناقص)، وتحريكهما بدلاً من حذفهما، فصار الفعل بعد الإسناد إلى ألف الاثنين: سعيًا، وهويًا، دتوًا. ساعد على قبول ذلك خفة الفتحة مع كل من الواو والياء، فالفتحة - كما قلنا - حركة مجانية، أى مجاورة لكل من الواو والياء

ولست حركة مماثلة أو متنافرة لهما ، والثقل ينشأ عن التماثل أو عن التنافر في كل من الواو والياء ، وليس عن التجانس .

أما آخر ملمح نسجله على تحولات حروف العلة؛ فهو : وجود كلمات تثبت فيها حروف العلة متجاورة ، دون حدوث السطور السابق الإشارة إليه : وهو التحول إلى حروف لين ، أو حروف مد .

من هذه الكلمات : قَاوَمَ ، وِبَاعَ ، وِناوَكُ وسَائِرَ .. الخ في هذه الأفعال نلاحظ أنها رباعية الحروف ، وأن الزيادة فيها جاءت لتتويع الاشتقاق ، كما أن إيقاعها ، أى : وزنها ، يختلف عن إيقاع نظائرها الثلاثية الحروف ، مثل : قام ، وباع ، ونال ، وسار .. الخ ؛ ففي هذه الأفعال الثلاثية نلاحظ أطراد حذف حرف العلة لتوالى الأمثال ، ومن العلتين نشأ ألف المد .

كما أن هذه الأفعال الثلاثية ذات زمن قوى واحد : قام قَا أَمَ

$$= /uu/ \text{ وكذلـك : سار ، ونال وباع : زمن قوى منبور ، يعقبه زمن ضعيف غير منبور ؛ يحفظ للكلمة إيقاعها : أى : وزنها .}$$

أما : قَاوَمَ وأمثالها فإنها حاوية لزمنين قوين منبورين ، يتعاقب مع كل واحد زمن ضعيف ، يحفظ للكلمة إيقاعها ، أى : توازنها ، لاحظ :

$$/ قَا أَمَ - وَمَ - / = nu - nu \text{ (١) .}$$

بمعنى : أن الواو في قَاوَمَ ، وأمثالها ، ساقطة في الزمن القوى الثانى ، ويسقط عليها النبر القوى الثانى ، والنبر من خصائصه أنه لايسقط إلا على مقطع متحرك ، كما أنه يقوى الحرف الساقط عليه ، ويظهره على غيره ، ويمنع حذفه وإلا اختلَّ إيقاع الكلمة .

(١) انظر شرح كل ذلك فى كتابنا : إيقاع الشعر العربى بين الكم والكيف : دراسة فى النظرية والتطبيق . القاهرة ١٩٩٧ .

وسبق أن أشرنا إلى أن هذا الإيقاع الجديد لهذه الكلمة، وأمثالها ، هو إحدى وسائل الاشتقاق فى تنويع الكلمات، لاستخراج مختلف المعانى من الجذر، / فقاوم / تختلف لفظاً وإيقاعاً ومعنى عن / قام / ، وكذلك ساير عن سار ، ويباع عن باع .. الخ .

إذن فثبتت الواو المتحركة المنبورة فى مثل هذه الكلمات كان لضرورة إيقاعية، وليس كما يقول الطيب البكوش : « إن ثبوتها - يقصد الواو والياء - يرجع إلى خفية النطق بالفتحة بعدهما - أى : بعد الألف - ، لأنهما وسط بين الكسرة والضممة . أو أن ثبوتها يرجع إلى تأثير طول الفتحة؛ فالحركة الطويلة قوية تكون عنصر استقرار فى الصيغة»^(١) .

نخلص مما سبق إلى الآتى :

● التحولات التى تطرأ على حروف العلة ، فتقلبها إلى حروف لين، أو مد سببها الأساسى، هو محاولة تحقق الانسجام الحركى Vowel/Harmony بينها وبين الحركات القصيرة من جهة، وبينها وبين بعضها البعض من جهة أخرى. هذا الانسجام دافعه الأساسى أو الرئيسى تحقيق السهولة النطقية، وهو مبدأ عام يفسى كل اللغات، وتحرص عليه.

● سار اتجاه التحول بين حروف العلة فى اتجاهين متوازيين :

الأول : تحولها إلى حروف لين.

والثانى : تحولها إلى حروف مد.

● امتاز التحول الاول ، بسكون حرف العلة: السواو أو الياء بعد فتحة، ووقف عند تلك المرحلة، لكنه اقتصر على صيغ وأوزان محددة جاء معظمها على: فَعْل ، وَمَفْعَل ، مثل: سَوَّط ، وَبَيْت ، وَمَوْقَدٌ وَمَوْلَدٌ... الخ.

(١) الطيب البكوش. التصريف العربى ٥٤ وما بعدها .

• امتاز التحول الثانى : وهو تحول حروف العلة إلى حروف مد ، باتساع صيغه وأوزانه ومشتقاته وأمثله ، وانطلق فى تحوله من منطلقين :

١ - إشباع الفتحة والكسرة والضمة ، فتصير إلى ألف المد ، وواو المد ، وياء المد .

٢ - سقوط الواو أو الياء عند توالى الأمثال ، وقلب إحدى الحركتين وإدغامها فى الأخرى ، لينشأ عنها مد الأولى .

٣ - سقوط الواو المتحركة بعد كسرة ، أو الياء المتحركة بع ضمة لاجتماع الثقيلين ، ومن إدغام الحركتين ينشأ المد الطويل للكسرة ، أو المد الطويل للضمة .

٤ - سقوط الواو الساكنة بعد كسرة ، والياء الساكنة بعد ضمة للثقل الناشئ عن اجتماع المتنافرين ، ونشوء المد الطويل للكسرة ، أو الضمة بتأثير النبر القوى الساقط عليهما .

٥ - يصح تسمية تحول العلل إلى حروف لين بأشباه الصوامت ، ويصح تسمية تحولها إلى حروف مد بأشباه الصوائت .

٥ - الإبدال التاريخى لحروف العلة :

تناول د. إبراهيم أنيس هذا الإبدال فى بحث له تحت اسم : بحث اشتقاق حروف العلة^(١) عندما قال : « ويعتينا هنا استعمال الياء والواو كأصوات ساكنة { يقصد : صامتة } فى اللغات السامية عامة ، والعربية خاصة ، ولكنى سأغفل الإشارة إلى استعمالها فى الأسماء الجامدة ، والحروف التى لا نستطيع أن نميز فيها بصفة قاطعة أصول الكلمة ، والزائد فيها . أما الأفعال ، والمشتق من

(١) انظر هامش ١٥ .

الاسماء ، ففي غالب الاحيان يستطيع اللغوى أن يؤكد أصولها ، وأن يميز زوائدها .

وباستقراء صيغ الأفعال والأسماء المشتقة ، لانكاد نعثر على واو أو ياء ليست أصلاً من أصول الكلمة ؛ ففي جميع صيغ الأفعال لانعثر على الواو التي هي من الأصوات الساكنة [يقصد : الصامتة] ، وليست أصلاً من أصول الكلمة إلا في تلك الصيغة التي يسميها الصرفيون القدماء (أَفْعُولٌ) ، و (أَفْعُولٌ) ، وهي صيغة لا ندرى لها أصلاً ، ولم ترد لنا مستعملة لا في القرآن الكريم ، ولا في شعر جاهلي ، ولا أعرف لها نصاً عربياً قديماً ، فهي في رأيي في عداد الأسماء الجامدة .

أما الأسماء المشتقة ، فقد خلت جميعها من واو ، أو ياء ليست أصلاً من أصول الكلمة إلا صيغة (فَوَاعِلٌ) في جمع التكسير ، التي اختصت بجمع اسم الفاعل أمثال : (دَوَاقِعٌ ، وَمَوَانِعٌ) ، ولكن جموع التكسير من العناصر السامية القديمة التي احتفظت لنا بها اللغة العربية ، دون أخواتها السامية ، فنحن إذن نجعل الكثير من تاريخها ، وتطورها ^(١) .

معنى ما سبق : أن د. أنيس في بحثه التاريخي عن حروف العلة وتطورها ، أغفل الإشارة إلى حروف العلة في الأسماء الجامدة ، والحروف المبنية ؛ لأن اللغوى لا يستطيع أن يميز بصورة قاطعة الحرف الأصلي فيها من الزائد ، لكن اللغوى يستطيع أن يرد كل واو ، أو ياء إلى أصلها الذي اشتقت منه في الأفعال ، باستثناء الصيغتين (أفعول وأفعول) ، وفي الأسماء المشتقة ، باستثناء صيغة جمع التكسير (قواعل) .

ثم دعانا إلى البحث في أول هذه الحروف ، وكيف يقرب كل منها إلى صوت

(١) د. أنيس . بحث في اشتقاق حروف العلة ١٠٦ والأصوات اللغوية ٢٣٨ وما بعدها .

لين طويل، وذكر أن «هذا نوع من البحث يمكن أن يسمى الإبدال التاريخي، ويتمى هذا البحث إلى ذلك الفرع اللغوى الذى يسميه الغريون Etymology»^(١).

أما د. كمال بشر، فقد رفض ما جاء عن الصرفين العرب فى علاجهم لهذه الحروف المعتلة (و. ا. ي) ، والتي رأوا أن لها أصولاً منقلبة عنها، كما هو وارد فى علاجهم لها تحت باب الفعلين : الأجوف ، والناقص .

رفض د. بشر ذلك الأصل الذى قال به الصرفيون (للواو والالف والياء) فى هذه الأفعال ؛ لأنه «أصل افتراضى متوهم، لا أصل حقيقي، وذلك مانصوا عليه بالفعل .. والذى دعاهم إلى هذا السلوك هو خضوعهم لمنهجهم العام، وهو سيطرة فكرة الأصول على أذهانهم، ومحاولة حشد مختلف الأمثلة تحت قاعدة واحدة، أو تحت نظام واحد من البحث ، فإذا لم تنطبق القاعدة انطباقاً تاماً على بعض الأمثلة ، فإنهم يحاولون إرجاع كل فعل ثلاثى مجرد إلى النموذج الأساسى (ف ع ل) ، فإن وافقت الصيغة الوزن، فيها ونعمت ، والإوجب أن تفسر تفسيراً ما حتى تخضع لهذا الوزن»^(٢).

يرفض د. بشر علاج هذه الأفعال المعتلة، وفقاً لطريقتهم تلك، ويرى أن علاجها يجب أن يسلك طريقاً من اثنين :

- طريق وصفى يعنى بتسجيل الحقائق الموجودة فى الصيغة بالفعل، دون تأويل أو افتراض ، ويقول : « فى حالتنا هذه سوف نجد أنفسنا فى حاجة إلى معونة الدراسات الصوتية، وعن طريق هذه الدراسات سوف نعلم أن (قال) فى تركيبها الصوتى تختلف عن (نصر) مثلاً ، فكل منهما له تركيب مقطعى يختلف عن تركيب الآخر ، فقال تركيبها الصوتى هو : / ص ح ح / ص ح / ، أما نصر، فمقاطعتها هى : ص ح / ص ح / ص ح / ، فالأولى مكونة من

(١) السابق ١٠٧ .

(٢) د. كمال محمد بشر . دراسات فى علم اللغة ٢٤٣ - ٢٤٤ دار المعارف بمصر ١٩٧٣ .

مقطعين اثنين، والثانية مؤلفة من ثلاثة مقاطع، هذا بالإضافة إلى أن هناك فرقاً في كمية بعض المقاطع (ص ح ح X ص ح)^(١).

هنا يلزمنا التوقف ؛ لنقول : إن فكرة تحليل مثل تلك الكلمات أو الصيغ وفقاً للمنهج الوصفي، أو وفقاً للمنهج التاريخي الذي افترضه - كما سيأتى - هي فكرة منهجية سليمة في حد ذاتها، لكننا نختلف في تحليلها مع التحليل الذي أوردته د. بشر؛ لأنه في تحليله رأى أن ثمة خلافاً مقطعياً كمياً، بل وكيفياً بين كل من : قال ، ونصر، وأرى أن هذه النظرة التحليلية قائمة على فهم مختلف لمكونات المقاطع الصوتية، التى هى اللبنة الأساسية لكل تحليل علمى للكلام العربى، بل والإنسانى، وقد سبق لنا شرح كل ذلك فى بحثين سابقين لنا^(٢).

فليرجع إليهما من يشاء حول هذه النقطة ؛ لأن التصحيح فيها جوهري ! المهم أن د. بشر يقول : إن «قال» مكونة من مقطعتين، و«نصر» مكونة من ثلاثة مقاطع، كما أن كمية المقاطع فى «قال» تختلف عنها فى «نصر» ، ونحن نقول :

إن إيقاع الكلمتين واحد، أى وزنهما واحد ، وليست «قال» مكونة من مقطعين كما قد يتصور، وليست ثمة فروق كمية بين مكونات «قال» ، ومكونات نصر ، إنما الموجود هى فروق كيفية، لأننا لو نظرنا إلى عناصر اللغة المتحركة والساکنة التى تتكون منها كلمات اللغة، ولو وضعنا فى الاعتبار النبر أو الأنبار اللغوية التى تحملها كل كلمة ، لتحفظ لها إيقاعها الصوتي، أى : توازنها الإيقاعي، لاختلقت نظرنا تماماً حول كل ما قيل عن المقاطع القصيرة والطويلة ، المخلفة والمفتوحة؛ فحقيقة الأمر أن قال مكونة من ثلاثة عناصر

(١) السابق : ٢٤٤ .

(٢) انظر هامش ٢١، وهامش ٣٤.

شأنها شأن «نصر» تماماً ، هذه العناصر هي : ق . أ . لَ في : قال ، وهذه العناصر هي : نَ . صَ . رَ في : نصر ، أما الثبر اللغوي في الكلمتين ، فيسقط على المقطع الأول فيهما ، أى على (ق)، وعلى (ن) ، ويشكل هذا المقطع المنبور نبراً أولياً ، نصف الكلمة ، أو الزمن القوي فيها ، يتعاقب مع هذا الزمن القوي زمن ضعيف يساويه تماماً ، لكنه غير منبور ، ليحفظ للكلمة توازنها الصوتي ، هذا الزمن الضعيف في (قال) مكون من عنصرين : (أ . لَ) أى الألف الساكنة واللام المحركة بحركة قصيرة ، وكل واحد منها يساوي $\frac{1}{4}$ / نصف وحدة زمن غير منبورة . وفي (نصر) يشكل الزمن الضعيف العنصران : (ص.ر) وكل عنصر يساوي $\frac{1}{4}$ نصف وحدة زمن غير منبورة أيضاً .

معنى ذلك أن الفعلين متساويان تماماً من الناحية الكمية ، كل من هنالك أن الزمن الضعيف في : «قال» أحد عنصريه ساكن والآخر متحرك ، أما الزمن الضعيف في : «نصر» ، فالعنصران متحركان .

ما يعيننا هو أن د. بشر ، وفقاً لمنهجه في التحليل ، من عدم الاعتداد بالعنصر الساكن ، أو ما نسميه نحن بالمقاطع الساكنة ، قد خرج علينا بنتيجة تختلف معه فيها ، إذ يقول : « إن قال وزنها قال ، وغزا وزنها فعاً ، أما نصر فوزنها فعل »^(١) ، ويقول : « ولاضير من هذا العمل بحال من الأحوال ، إذ هو ممثل للحقيقة الواقعية ، فضلاً عن سهولته ، وتمثيه مع روح المنهج السليم ، فها اتبعنا مبدأ (تعدد الأنظمة) في إطار المنهج الوصفي ، وهذا شيء تفرضه الحقائق الناطقة ، فقد رأينا أن قال ، ونصر مثلاً - وإن كانا فعلين ثلاثيين مجردين - يختلفان في تركيبهما المقطعي ، وهذا يوجب علينا معاملتهما بطريق مختلف ؛ لأن إخضاعها لقاعدة واحدة ، أو اتباع مبدأ توحد الأنظمة في

(١) السابق : ٢٤٤ .

علاجهما سوف يؤدي إلى نتائج مضطربة معقدة، كما هو الواقع بالفعل في تفسير الصرفين التقليديين لتصريف هذه الأفعال ، ونحوها «^(١) .

أقول : ليس صحيحاً أن كلام د. بشر مثلاً للحقيقة الواقعة ؛ لأنه مبني على فهم مختلف لمكونات الكلام العربي ، بدليل أنه ناقض نفسه في نفس النص ، حين قال : « إن قال ونصر مثلاً فعلان ثلاثيان مجردان » ، معنى ذلك أنه اعتدّ بالآلف الساكنة جذراً ثالثاً ، إذن تفسير الصرفين التقليديين لهذه الأفعال لم يكن خاطئاً كما ادعى هو .

النقطة الثانية المهمة في كلام د. بشر ، موجودة في حديثه عن الطريق الثاني في التحليل ، وهو طريق المنهج التاريخي ، الذي يقضى بتتبع تاريخ تلك الصيغ الواردة فيها الواو ، أو الياء ؛ للكشف عما أصابها من تغير عبر فترات التاريخ .

يقول : « ولنا هنا أن نسأل : هل أتى على نحو (قال) ، و (غزا) فترة من الزمن كانتا تنطقان فيهما : قَوْلَ ، وَغَزَوَ ، ثم عرض لهما تطور في أصوات العلة أدى إلى هذه الصيغة الحاضرة ؟ »^(٢) .

إن مثل هذا التساؤل من د. بشر غير ذي بال ؛ لأنه افتراض لم يقل به أحد ، والغريب أنه راح ينقل لنا نصوصاً فيها ألفاظ معتلة بالسواو أو الياء ، وجاءت السواو أو الياء مصححة فيها ، على خلاف من نطقها الذي نعرفه ، وننطقها به ؛ ليحاول تأكيد وجود بقايا تاريخية للسواو أو الياء المصححتين .

إن السؤال بهذه الصورة يغفل حقائق علمية لا يمكن إنكارها . . . والأصح أن يأتي السؤال على النحو التالي : هل الصورة بالآلف في مثل : قال وغزا

(١) السابق : نفس الصفحة .

(٢) السابق : ٢٤٥ .

وأطال . . الخ ناشئة عن تحول أصاب حروفاً أخرى صامتة ، أو حروف علة متحركة ، أو ساكنة ؟ وهل ذلك التحول كانت له مبررات صوتية ؛ أو لغوية ، أو عروضية ، أو نحوية ؟ أم أن الصورة بالآلف صورة مرادفة لصور أخرى بغير الآلف ، وكتاهما مستخدمتان فى الكلام العربى ؟ وغير خاف ما بين تساؤل د . بشر وتساؤلنا من اختلاف فى المفهوم .

أصبح ذلك ، لأن ابن جنى قد سبقنا جميعاً فى تصحيح هذا الاعتقاد الخاطئ، عندما قال : « هذا الموضع كثير الإيهام لأكثر من يسمعه ، لا حقيقة تحته وذلك قولنا : الأصل فى قام قَوْمَ ، وفى باع بَيْعَ ، وفى طال طَوَّلَ ، وفى خاف خَوَّفَ ، ونَوِّمَ ، وهَيَّبَ ، وفى شَدَّ شَدَّدَ ، وفى استقام اسْتَقْوَمَ ، وفى يستعينُ يَسْتَعِينُ ، وفى يستعد يستَعِدُّ . فهذا يُوهِم أن هذه الألفاظ ، وما كان نحوها - مما يدعى أن له أصلاً يخالف ظاهر لفظه - قد كان مرةً يقال ، حتى أنهم كانوا يقولون فى موضع قام زيد . قَوْمَ زيد ، وكذلك نَوِّمَ جعفر ، وطَوَّلَ محمد ، وشَدَّدَ أخوك يده ، واستَعَدَّدَ الأمير لعدوه . وليس الأمر كذلك ، بل بضده ، وذلك أنه لم يكن قط مع اللفظ به إلا على ما تراه وتسمعه .

وإنما معنى قولنا : إنه كان أصله كذا : أنه لو جاء مجئ الصحيح ، ولم يُعْلَ لوجب أن يكون مجيئه على ما ذكرنا ، فأما أن يكون استعمال وقتاً من الزمان كذلك ، ثم انصرف عنه فيما بعد إلى هذا اللفظ فخطأ لا يمتقده أحد من أهل النظر^(١) .

كلام ابن جنى واضح جلي لا لبس فيه ، لأن العرب فى أفعالها وأسمائها وصفاتها ، قد استقرت على نطق نهائى لهذه الألفاظ ، رأت فيه الصورة المثلى من الناحية اللفظية ، حيث السهولة المتحققة من تفاعل الأصوات : صوامت

(١) ابن جنى الخصائص ٢٥٦/١ تحقيق محمد على النجار . الناشر : دار الكتاب العربى بدون تاريخ ، ومصور عن ط . دار الكتب المصرية ١٣٧١هـ - ١٩٥٢ وما بعدها .

وحركات، بعضها مع البعض الآخر، فى المخارج والصفات، غير عابثة بالجنود التى نشأت عنها تلك الصور النطقية . وهذا ماعبر عنه ابن جنى بالإعلال فى الحروف المعتلة، فهذه الحروف صورتها المثلى ألا تأتى على الأصل، فإذا حدث وجاء فعل أو اسم أو صفة فيه حرف من حروف العلة مكان فعل صحيح، ولم يعل، لكان مجيئه على تلك الصوة (غير المستخدمة) فى النطق، أى بالتصحيح فى حروف العلة.

وأن العرب لم تغير ما استقرت عليه - أى : من إعلال هذه الحروف دائماً - إلا عند الضرورة القصوى؛ كأن تحتاج إلى حرف متحرك مكان حرف ساكن، أو تحتاج إلى حرف تكمل به إيقاع بيت أو تفعيله، فتعود إلى ألفاظها التى يتكون منها بيت الشعر، مثلاً، فتصحح ما أعلت، وترد ما حذفت لالتقاء الساكنين، وهكذا . . وهذا كلام واضح ومعروف لكل من له دراية بصنيع العرب فى أشعارهم ومأثورهم من لغتهم .

فالبيت الذى أورده ابن جنى إشارة إلى تلك الضرورة، وهو :
صَدَدْتُ فَأَطَوَلْتُ الصَّدودَ وَقَلَمًا وَصَالَ عَلَى طُولِ الصَّدودِ يَدُومٌ^(١).
فلو قال : صددت فأطلت الصدودَ وقلمًا . . .

فإن التفعيلة ستغير من (مفاعيلن) إلى (متفاعل)، وهو تغيير كفىل بخروج البيت من البحر الذى صاغ الشاعر قصيدته على إيقاعه.
وكذلك قوله :^(٢).

تراه، وقد فات الرُماة كائنه : . أمام الكلاب، مُصْنِيُّ الحَدِّ أَصْلَمُ
حيث أثبت الشاعر الياء فى مصنى وحركتها بالضم، ولم يعلها الإعلال

(١) السابق ٢٥٧/١

(٢) السابق ٢٥٨/١

السابق شرحه : بحذف الياء لاجتماع الأمثال، ثم ادغام الضم في الكسر في صورة مد طويل للكسر، ثم حذف هذا المد الساكن لالتقاء الساكنين.

لأنه لو فعل هذا الإعلال الطبيعي الذي يُفَعَّل بهذه الكلمة في غير الشعر، لتحولت التفعيلة من (فعولن) إلى (فَعْلُن) ، وهذا غير مسموح به في حشو هذا البحر الطويل ؛ لأن النبر الإيقاعي Ictus في (فَعْلُن) يسقط على فتحة الفاء ، بينما النبر الإيقاعي في (فَعُولُن) يسقط على ضمة العين، بمعنى : أن فَعْلُن تبدأ بنبر قوى، أما فَعُولُن فتبدأ بنبر ضعيف، وشتان بين الاثنين في إيقاع الشعر العربي القديم . ومن ثَمَّ حرَّكها الشاعر على أصلها الجذري للضرورة الإيقاعية.

فإذا كانت ضرورة التخلص من التقاء الساكنين تُلْزِمُ العربي بحذف الساكن الأول إن كان حرف علة، أو تحريكه إن كان حرفاً صحيحاً ، فإن ضرورة الإيقاع تُلْزِمُهُ في المقابل بتحريك العلة الساكنة ، ليستقيم له الوزن إذا احتاج إلى ذلك .

رغم كل ذلك ، يرفض د. بشر، ويقول « القول بأن هذه الأمثلة ونحوها من ضرورات الشعر قول لا مُسَوِّغ له »^(١). بل ، وقوله : « إن هناك عشرات من الأمثلة - من هذا الباب - وردت بالتصحيح لا بالإعلال، في غير ضرورة في الأسماء نحو : الهَيْفَ والحَوْرَ والعَوْرَ »^(٢)، وأقول :

إن ورود تلك الأمثلة بالتصحيح وليس بالإعلال ، على خلاف من نهج العرب في كلامها، كان يقتضى منه التريث، وإعمال النظر؛ لأن كلمة (الحَوْرَ) نجد أن أمن اللبس، بل والتنوع الاشتقاقي يحكماتها، فاللغة فيها : (الحَوْرَ العين)، أما الحور بالتصحيح والتحريك، فاستخدمته لـ (حَوْرَ العينين) وهو

(١) د. بشر. دراسات في علم اللغة ٢٤٥.

(٢) السابق نفس الصفحة .

معنى آخر خلاف الأول ، كما أن اطرّاد الإعلال فى مثل هذه الكلمة موجود فى اللغة أيضاً ، ففيها الماء الحار والزيت الحار ، ويمكن لنا تتبع كل كلمة معتلة ، وردت بالتصحیح على خلاف الأصل فيها بالاعتلال ، وبيان السر فى مخالفتها .

فكلمة : العور ، لو أُعِلَّتْ الاعلال الطبيعى لصارت : العار ، وهى موجودة ومستخدمة فى اللغة ، لكن التحريك هنا اقتضاء وفرضه تنويع الاشتقاق للدلالة على معان مختلفة .

إذن يصبح كلام د. بشر الآلى لامعنى له ، بل مغالطة لانهجوز فى هذا الموضع عندما يقول : « ولسنا ندري تماماً لماذا ينكر ابن جنى أن يكون لهذه الأبواب ، ونحوها أصول تاريخية ، مع وجود بقايا لهذه الأصول فى الشعر والشعر كليهما »^(١) . لأن ابن جنى لم ينكر ذلك ، بل كلامه واضح وقاطع وصريح ولا يحتمل التأويل ، إنه أنكر أن تكون الكلمة المشتمة على الواو أو الياء ، كانت مستعملة بالتصحیح فى يوم من الأيام ، بدلاً من نفس الكلمة التى أُعِلَّتْ فيها الواو أو الياء ، وينفس المعنى .

وبالضرورة يظل قول د. بشر : « أما أن التطور قد لحق هذه الأبواب ونحوها بحيث أصبحت (قَوَّكَ وَعَزَّوْ قَالَ وغزا) دون غيرها ، فذلك أمر سهل فهمه لو علمنا أن التطور هنا قد لحق أصوات العلة ، وهى أسهل الأصوات قابلية للتطور ، وقد ظل هذا الاتجاه سائراً فى العربية حتى أصاب لهجاتها الحديثة ، كما وقع لنحو : يَوْمٌ وَيَتٌ bayt, yawm فصارتا : يَوْمٌ وَيَتٌ beet, yoom ، حيث حلت الحركات محل أصوات العلة ، أو ما تسمى أنصاف الحركات »^(٢) .

لأنه استنتاج توصّل إليه عبر مقدمات خاطئة ، وهى أن هذه الالفاظ

(١) السابق ٢٤٦ .

(٢) السابق ٢٤٥ .

بالتصحيح فى حروف العلة، كانت منطوقة فى يوم من الأيام، وهو ما لم يحدث ونفاه ابن جنى صراحة، ويتعبير ابن جنى « وليس الأمر كذلك، بل بضده وذلك أنه لم يكن قط مع اللفظ به إلا ما تراه وتسمعه » (راجع نص ابن جنى) لأن تحليل د. بشر فيه مغالطة علمية، لأنه يفترض أن هذه الألفاظ بالتصحيح قد تطورت فى لهجة القاهرة من يَوْم إلى يَوْم yoom، ومن يَيْت إلى يَيْت beet، وهو ما لم يحدث، فى لهجة القاهرة، ولا فى اللهجة التميمية فلم يحدث أن نطق القاهريون بـ (يَوْم) الفصيحة ولا بـ(يَيْت) الفصيحة، إنما استخدموا اللفظين وأمثالهما على ما نراه ونسمعه : بالإمالة فيهما . أى لم تعرف اللهجة القاهرية سوى الاستخدام اللهجى فى ألفاظها . بتعبير آخر : لم يحدث أن تطور هذا اللفظ على السنة المصرين من النطق الفصحى إلى النطق اللهجى، لأن النطق الأخير هو ميل للهجى قاهرى أو مصرى وجدت فيه لهجة القاهرة السهولة التى لم تجدها فى نطق غيره، بل طبعته بطابعها الخاص، بل اطردها فى كل ألفاظها المشابهة لأنه ميل للهجى ولم يحدث أن نطقت بغيره . ويقاس على لهجة القاهرة فى هذا الاتجاه : « اللهجة التميمية التى تصحح ولا تمل نحو مبيوع ومديون ومخيوط ومصوون .. إلى غير ذلك مما قد ينظر إليه على أنه بقية تاريخية لظاهرة أصيلة فى اللغة العربية فى فترة من فترات السحيقة من الزمن » (١) .

لأن نطق اللهجة التميمية ، إنما هو اتجاه للهجى ميزها عن غيرها ، ولم يحدث أن نطق أهلها بغير ذلك ، لنقول إنهم قد انتقلوا بنطقهم من حال إلى حال، أو إن حروف العلة كانت تصحح عندهم فى فترة زمنية وتَعَلُّ فى فترة زمنية أخرى .

إن إعلال حروف العلة قد أخذت به اللغة الفصيحة منذ أن عُرِفَتْ أو منذ

(١) السابق نفس الصفحة .

أن وصلت آثارها الأدبية إلينا، ولم يحدث أن صُحِّحت ثم أُعِلَّتْ فسي نطقها، وإذا وجدنا خلاف ذلك علينا أن نبحت عن سر ذلك، من خلال دراسة قوانينها الصرفية والنحوية بل والصوتية، لأن كل خروج على طريقة الفصحى المطردة، كانت له أسبابه وعلمه وضروراته وليس الزعم بأنه تحول تاريخي قد أصابها.

نعود إلى د. أنيس فنراه يقرر أن ثمة إبدالاً تاريخياً قد حدث بين الواو والياء من ناحية، وبين كل من النون واللام والميم، وشتان ما بين التعبيرين ! ! فإبدال د. أنيس قائم بين صورتين منطوقتين، ومستخدمتين في الفصحى، واحدة بحروف العلة : الواو أو الياء، وأخرى بالأصوات الصامتة : اللام، أو الميم، أو النون، والصورتان بمعنى واحد، أى : مترادفتان تماماً، هنا تكون له المشروعاتية في دعوتنا إلى البحث عن التطور الذي حدث في إحدى الصورتين، وأفضى بها إلى الأخرى . بينما حديث د. بشر عن تطور حدث بين صورة منطوقة بالفعل وأخرى وهمية يُدَّعى أنها كانت موجودة بل ومنطوقة في يوم من الأيام أو في فترة زمنية سحيقة، لا دليل عليها، لأن ما ذكره من أدلة مردود عليه، كما أوضحنا.

أما لماذا دعانا د. أنيس إلى هذا البحث، « فلأنه وجد ألفاظاً فصيحة اشترك معناها، ولم يختلف لفظها إلا في أننا نجد مكان الياء، أو الواو منها لآماً، أو نوناً، أو ميماً »^(١).

خلص د. أنيس إلى أن « اللام والنون والميم تعد من الناحية الصوتية أشباهاً لأصوات اللين، وإلى أن الواو والياء أنصاف لأصوات اللين »^(٢).

إذن : احتمال الإبدال بينهما وارد.

بالبحث عما قاله اللغويون عن هذه الحروف نجد أن الميم :

(١) د. أنيس . بحث في اشتقاق حروف العلة ١١٢ .

(٢) السابق ١٠٧ .

« صوت شفوى أنفى مجهور »^(١) . « لاهو بالشديد ولا بالرخو ، بل مما يسمى بالأصوات المتوسطة »^(٢) . بمعنى أن الميم تنسب إلى مجموعة الأصوات المتوسطة ، وهى : ر ل ن م ، وأضافوا إليها العين ، وأهم خاصية تميز هذه الأصوات هى : « قوة الوضوح السمعى Sonority ، كما أن هذه الأصوات مجهورة جميعها ، « كما أن الجهر فى الميم جهر محايد »^(٣) ؛ إذ لا وجود لحروف مهموسة مقابلة له ، تؤدي دوراً وظيفياً دلاليًا .

معنى ما سبق ، أن الميم بينها وبين الواو والياء شبه فى الجهر ، وفى مرور الهواء فى حرية ، ودون اعتراض ، لكنه بدلاً من أن يمر من وسط الفم كالواو والياء ، فإن مروره يكون من الأنف ، يضاف إلى ما سبق اشتراكها معهما فى قوة الوضوح السمعى ، فهى شبيهة بالحركات فى هذا الملحم ، شأنها شأن الواو والياء .

ليس هذا وحده « فالميم مشابهة للواو ، لأنهما من مخرج واحد ، وهو الشفة ، وفيها غنة تمتد إلى الخيشوم ، فناسبت بغتها حروف اللين »^(٤) .

ومن ثم ، « تبدل الميم من أربعة أحرف ، وهى : الواو والنون واللام والباء . أما إبدالها من الواو فقولهم : فم ، وأصله : فوه بوزن سَوَط ، فحذفت الهاء تخفيفاً فصار التقدير : فَو ، فلما بقى الاسم على حرفين الثانى منهما حرف لين ، كرهوا حذفه للتونين ، فيجحفوا به فأبدلوا من الواو ميماً لقرب الميم من الواو ، لأنهما شفهيّتان ، وفى الميم هوى فى الفم يضارع امتداد الواو »^(٥) .

(٢) د. أنيس . الأصوات اللغوية ٤٥ .

(١) د. بشر . الأصوات اللغوية ١٣٠ .

(٤) ابن يعيش . شرح المقصد ١٤١/٩ .

(٣) كاتبتينو . دروس فى علم أصوات العربية ٤٣ .

(٥) ابن جنى . الخصائص ٤١٣/١ - ٤١٤ الهوى : الانفتاح والنفوى يقال : هَوَتْ الطعنة هَوياً : فتحت

فأعما بالدم ، وهوت الأذن : دَوَّت .

وأما إبدالها من اللام، فيُروى أن النمر بن تولب حكى ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليس من امبر امصيام فى امسفر » يريد : ليس من البر الصيام فى السفر ، فأبدل لام المعرفة ميماً ^(١).

ويقول ابن جنى فى إبدال الميم من النون « وأما إبدال الميم من النون فإن كل نون ساكنة وقعت قبل باء قبلت فى اللفظ ميماً ، وذلك نحو : عنبر ، وامرأة شنباء ، وقتير ، فإذا تحركت أظهرت نحو : شنب ، وعنابر ، وقنابر ، ومتابر وقنابل ، وإنما قُلِبَتْ لَمْا وقعت ساكنة قَبْلَ الباء ، من قبل أن الباء أخت الميم ، وقد أدمغت النون من الميم فى نحو : مَنْ مَعَكَ ، وَمِنْ مُحَمَّد ، فلما كانت تدغم النون مع الميم التى هى أخت الباء ، أرادوا إعلالها أيضاً مع الباء ، إذ قد أدمغوها فى أختها الميم .

ولما كانت الميم التى هى أقرب إلى الباء من النون لم تدغم فى الباء فى نحو : أقم بكرة ، لاقول : أَقْبَكْرا ، ولا فى نَمَ بالله نبأ لله ، كانت النون التى هى من الباء أبعد منها من الميم أجدر بأن لا يجوز فيها إدغامها فى الباء ، فلما لم يصلوا إلى إدغام النون فى الباء ، أعلَّوها دون إعلال الإدغام ؛ فقربوها من الباء ، بأن قلبوها إلى لفظ أقرب الحروف من الباء وهو الميم ، فقالوا : عَمَبَر ، وَقُمَبَلَة ^(٢).

وحرف اللام بدوره « يتكون بأن يعتمد طرف اللسان على أصول الاسنان العليا مع اللثة ، بحيث توجد عقبة فى وسط الفم تمنع مرور الهواء منه ، ولكن مع ترك منفذ لهذا الهواء من جانبى الفم ، أو من أحدهما ، وهذا هو معنى الجانبية ، وتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق به ، فاللام صوت أستانى لثوى جانبى مجهور » ^(٣).

(١) السابق ٤٢٣/١ وأخرجه البخارى فى كتاب الصوم.

(٢) السابق ٤٢١/١-٤٢٢ الشنباء : العملية القم.

(٣) د. بشر . الأصوات اللغوية ١٢٩.

وهذا الصوت، بدوره، من الأصوات الشبيهة بالحركات؛ لأن هوائه يخرج حراً طليقاً، لا يحدث احتكاكاً في أثناء خروجه من الفم، كالحركات، إنما هواؤه جانبي.

فإذا كان الهواء مع الميم ليس من وسط الفم، لكن من الأنف، فإنه مع اللام، ليس من وسط الفم أيضاً، لكن من الجانبيين، أو من أحد الجانبيين، ولذلك وضع القدماء اللام ضمن ما أسموه بالأصوات المتوسطة، ذات الوضوح السمعي، ويرى د. أنيس أن « اللام، وبعدها النون، أكثر الأصوات الساكنة شيوعاً في اللغة العربية »^(١).

« وهذا الألفون - السابق وصفه - هو أكثر الـفونـات هذا الفونيم شيوياً .. ومده ٨٠ / ١٢٠ م/ث »^(٢) بمعنى أنه من الصوامت ذات التردد العالي الشبيهة بالحركة، إذا قيس بغيره من الصوامت.

وتبادل اللام مع الأصوات المتوسطة؛ « وأبدلوا السلام من النون في أصيلا ن فقالوا : أصيلا ل »^(٣) قال النابعة :

وقفت فيها أصيلاً لأسألتها عيت جواباً ، وما بالرّبع من أحدٍ
بإبدال النون لأمأ ، والمراد : أصيلاً^(٤) .

وتبادل اللام مع النون أمره واضح، إذ المخرج والصفات واحدة، ولا يختلفان إلا في خروج الهواء من جانبي الفم مع اللام، ومن الأنف مع النون وخروج الهواء من الأنف مع النون يضاف عليها وضوحاً سمعياً أقوى، حيث

(١) د. أنيس . الأصوات اللغوية ٦٧ .

(٢) د. سلمان العاني . التشكيل الصوتي في اللغة العربية ٧٧ .

(٣) ابن جني . سر الصناعة ١ / ٣٢١ .

(٤) ابن يعيش ٩ / ١٤٣ الهامش .

غنة « خاصة مع الصوت المشدد، فيهبها نغمة موسيقية مُحِبَّة إلى الأذن العربية »^(١).

ويرى كانتينو أن « اللام بجوار لام أخرى يجوز إبدالها نونا تبايناً »^(٢).
«والعلة فيه - أى فى التباين - نفسية محضة. نظيره الخطأ فى النطق ...
لأن النَّفس يوجد فيها قبل النطق بكلمة تصورات الحركات اللازمة على
ترتيبها، ويصعبُ عليها إعادة تصوُّر بعينة بعد حصوله بمدة قصيرة ومن هنا ينشأ
الخطأ »^(٣).

كما أن اللام بصيها الإدغام، ومعلوم « أن التضعيف Gemination هو
إطالة الأصوات المتماثلة Continuants، وقفل أطول فى الوقفيات »^(٤) وهو
يعنى مضاعفه الصوت المفرد الساكن»^(٥)، «ولذلك يدغم فيه النون نحو قوله
(من لدنه) ، وقد يحذفون معها نون الوقاية، كما يحذفونها مع مثلها ، قالوا :
(لعلّى) كما قالوا (إئى) و (كائى) »^(٦).

ومن دلائل شيوخ اللام فى اللغة العربية، اتخاذهم لها حرفاً للتعريف دون
سواها من حروف المعجم، وقد علل ابن جنى للسرى اختيار اللام حرفاً
للتعريف دون سائر الحروف « بأنهم أرادوا إدغام حرف التعريف فيما بعده، ..
ليكون إدغامه دليلاً على شدة اتصاله ، وأقوى منه عليه لو كان ساكناً غير
مدغم. فلما أرادوا ادغامه فيما بعده، اعتبروا حروف المعجم - أى تأملوها
وأنعموا النظر فيها - فلم يجدوا فيها حرفاً أشد مشاركة لأكثر الحروف من

(١) د. أنيس . الأصوات اللغوية ٧٢.

(٢) كانتينو ٧٩.

(٣) برجستراسر. التطور النحوى ٣٤.

(٤) العائى ١١٩.

(٥) مارويوي. أسس علم اللغة ١٤٥.

(٦) ابن يعيش ١٤٣/٩.

اللام .. فعمدوا إلى اللام ، لأنها تجاور أكثر حروف الفم التي هي معظم الحروف ، ليصلوا بذلك إلى الإدغام المترجم عما اعترضوا من شدة اتصال حرف التعريف بما عرّفه ، فُيُستَدَلّ بذلك على أنه قد نقله عن معنى التنكير إلى معنى التعريف .. وأنهم إنما خصوا اللام التعريف بأول الاسم ، دون آخره من قبل أنهم صانوه ، وشحو عليه ، لحاجتهم إليه ، فجعلوه فى موضع لا يحذف فيه حرف صحيح اليته .. ذلك الموضع هو أول الكلمة «^(١)» .

نخلص مما سبق إلى أن كُلاً من اللام والميم فيهما من الصفات ما يجعلها أشباه أصوات اللين ، شأنهما شأن الواو والياء تماماً ، من حيث حرية مرور الهواء ؛ من وسط الفم مع الواو والياء ، ومن الأنف مع الميم ومن جانبى الفم مع اللام ، وكذلك قوة الوضوح السمعى فيهما الناتج عن الجهر بهما ، وزيادة ترددهما إذا قيس بتردد الصوامت الأخرى ، وأخيراً نسبة شيوع استخدامهما فى اللغة وإبدالهما بما يجاورهما من أصوات أو إدغامهما فيها شأنهما شأن الواو والياء تماماً .

أما النون : فهي « صوت أنسانى لثوى أنفى مجهور »^(٢) ، بمعنى : أن طرف اللسان يلتقى بأصول الثنايا العليا مع اللثة ، بينما تغلق اللهاة فراغ الفم تماماً ، وينخفض الحنك اللين ؛ يسمح للهواء بالمرور من الأنف ، دون أن يحدث احتكاكاً مسموعاً ، سوى أن تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به . من ثم ، يُعدُّ النون صوتاً شبيهاً بالحركات فى حرية مرور الهواء الجهر ، ويختلف عنها فى أن هواءه من الأنف ، وليس ومن وسط الفم كالحركات .

« ولاتنطق النون نطقاً خالصاً - وهو ما يُسمى بالإظهار - إلا إذا كانت قبل

(١) ابن جنى . سر الصناعة ١/ ٣٤٦ - ٣٤٩ .

(٢) د. بشر ١٣٠ .

إحدى الحروف الآتية : الهمزة ، والهاء والحاء ، والعين ، والحاء والغين « (١) ،

معنى ذلك : أن النون « لا تكاد تتأثر بأصوات الحلق حين تجاورها ، وربما كان هذا لبعده مخرج النون عن مخرج هذه الأصوات » (٢) .

وتعرض النون الساكنة للإبدال ، والإدغام ، والإخفاء ، لأن الحركة مع النون غالباً ما تحفظها من التأثير بما يجاورها من أصوات ، وهذا الذى يطرأ على النون يسمى : الغنة ، « وهى وسيلة لجأ إليها القراء منذ القدم لإعطاء النون بعض حقها الصوتى مع غير أصوات الحلق ، وليس الغنة إلا إطالة لصوت النون ، مع تردد موسيقى محبب فيها ، فالزمن الذى يستغرقه النطق بالغنة ، هو فى معظم الأحيان ضعف ما تحتاج إليه النون المظهرة » (٣) .

وتدغم النون مع أصوات المجموعة الكبرى ، أى مجموعة أصوات الفم إذا سكنت وتلاها أحد الحروف من مخرجها ، أو من المخرج السابق لها ، أو المخرج التالى لها ، شأنها فى ذلك شأن لام التعريف ، كما أنها تتبادل مع تلك الأصوات التى تشترك معها فى قوة الوضوح السمعى ، والجهر ، وحرية مرور الهواء ، مثل اللام والميم .

ويرى ابن جنى « أن النون فى : فعلاً فعلى ، نحو : سكران سكري ، وغضبان غضبي ، وولهان وحيران بدل من همزة فعلاء ، نحو : حمراء وصفراء » (٤) . « فإن قيل : فلم أبدلت همزة فعلاء نوناً ؟ وما الذى سهّل ذلك وحمل عليه ؟ فالجواب : أن للنون شبيهاً بحروف اللين قوياً ، لأشياء : منها :

(١) كاتينو ٦٠ .

(٢) د. أنيس . الأصوات اللغوية ٦٨ .

(٣) السابق ٧٠ .

(٤) ابن جنى . سر الصناعة ١ / ٤٣٥ .

أن الغنة التي في التون كاللين الذي في حروف اللين، ومنها اجتماعها في الزيادة معهن، ومعاقبتها لهن في الموضع الواحد من المثال الواحد، وذلك نحو: شرنبث وشرابث، وجرنفس وجرافس، وعصنصر وعصيصر، وعرنقصان وعريقصان^(١) ألا ترى أن التون قد عاقبت الألف والياء فيما ذكرنا.

وقالوا أيضاً: قَدَوَكْس، وسَرَوَمَط، وعَمَيْل، كما قالوا: جَحَنْقَلْ وَقَلَنْقَس، وفصلوا بها بين العينين، فقالوا: عَقَنْقَل، وعَصَنْصَر، وَسَجَنْجَل، وَهَجَنْجَل وَعَبَبَل، كما قالوا: عَدَوْدَن، وَقَطَوَطَى، وَشَجَوَجَى في أحد قَوْلَى سيبويه^(٢) وَخَفَيْفَد.

وحذفوها أيضاً لالتقاء الساكنين في نحو: (م الآن) في بيت أبي صخر الهذلي: (٣).

كانهما م الآن لم يتغيراً . . وقد مرَّ للدارين من بعدنا عَصْرٌ .

(أى : من الآن) ، و (لاك اسقنى) في بيت النجاشي الحارثي^(٤) يذكر

فيه ذنباً ، وهو :

(١) الشرنبث : الغليظ الكفين والرجلين، ومثله الشرابث والجرفنس والجرفاس : الضخم الشديد من الرجال . وعصنصر وعصيصر : هو موضع، وفيه ثلاث لغات : عصنصر وعصيصر وعصوصر وعرنقصان وعريقصان : نبات .

(٢) انظر الكتاب لسبويه ١١١/٢، ٣٢٩، ٣٤٥، ٣٨٦ .

القَدَوَكْس : الأسد . السَرَوَمَط : الطويل . العَمَيْل : الضخم الثقيل .

جَحَنْقَل : العظيم الجحفة، والجحقة مشفر البعر . قَلَنْقَس : البخيل اللئيم .

عَقَنْقَل : الكتب المطبوع المتناخل الرمل . سَجَنْجَل : المرأة .

هَيْجَنْجَل : اسم . عَيْبَل : الضخم الشديد . عَدَوْدَن : الطويل .

قَطَوَطَى : المتبختر . شَجَوَجَى : المقرط في الطول . خَفَيْفَد : الخفيف من الظلمان .

(٣) ابن جني . سر الصناعة ٣٩/٢ وانظر في اشعار الهندلين ٩٥٦ والخزاة ٢٥٨/٣ الشاهد ٢٠٥ بتحقيق هارون .

(٤) ابن جني . سر الصناعة ٤٤٠/٢ والكتاب ٩٠/١ والخصائص ٣١٠/١ والأنصاف ٦٨٤/٢ والخزاة

٣٦٧/٤ الشاهد ٨٧٥ .

فلست بآتيه ولا أستطيعه ولاك اسقنى إن كان ماؤك ذا فضل
(أى : ولاكن اسقنى) . و (لم يك الحق) فى بيت حسيل بن عُرْفَةَ
الأسدى (١).

لم يك الحق سوى أن هاجه رسم دار قد تعفَى بالسُرر .
{ أى : لم يكن الحق } .

كما حذفوها لذلك فى نحو : غزا القوم ، وتعطى ابنك ، وتصبوا المرأة .
وجعلوها أيضاً علم الرفع فى نحو : يومان ، ويقومون ، وتقومين ، كما
جعلوا الواو والألف علماً له ، فى نحو : أخوك ، وأبوك ، والزيدان
والزيدون .. إلى غير ذلك .

فلما ضارعت النون حروف اللين هذه المضارعة ، وكانت الهمزة قد قلبت
إلى كل واحدة من الألف والياء والواو ، قلبوها أيضاً إلى الحرف الذى
ضارعهن وهو النون ، للتصرف والانتاع (٢).

نخلص مما سبق إلى أن حروف الميم واللام والنون فيها من الصفات ما
يجعلها تشابه بحروف العلة واللين والمد : الواو والياء والألف ، ومن ثم كثر
الإبدال فيما بينها ، وبالبحت فى المعجم عن ألفاظ اتحد معناها واختلف لفظها :
مرادفات تامة ، وتركز البحث حول التبادل الحاصل بين حروف العلة الثلاثة
(و.ا.ى) ، وبين حروف (ل.م.ن) فى هذه الألفاظ؛ لتؤكد إن كان ثمة
تطور قد حدث بينها ، خاصة أن الصورتين موجودتان ومنطوقتان فى اللغة
العربية الفصيحة ، فخرجنا بكم هائل من هذه الأفعال يؤكد أن الإبدال قد
حدث فعلاً بين هذه المواد للأسباب التى ذكرها علماء اللغة القدماء والمحدثون .

(١) ابن جنى . سر الصناعة ٢/ ٤٤٠ والخصائص ١/ ٩٠ والمخرقة ٤/ ٧٢ الشاهد ٧٤٥ .

(٢) ابن جنى . سر الصناعة ٢/ ٤٣٨ - ٤٤٠ .

بل إن هذا الإبدال قد حدث بين تلك الصور وبين نظائرها المشدد وغير خاف العلاقة بين التشديد وبين تلك الحروف جميعها كما سبق توضيح ذلك .

لكن الدافع إلى هذا الإبدال لم يكن واضحاً تماماً فى كتب علماء السلغة الأقدمين ؛ لأنهم ركزوا بصفة أساسية على مابين الصوتين المتبادلين من تشابه فى الصفات والمخارج . أما علماء اللغة المحدثون فقد بحثوا فى عوامل التطور بين الأصوات ، وأرجعوها إلى عاملين مهمين ، هما : عامل السهولة ، وعامل الشبوع .

بمعنى أن الإنسان فى نطقه يميل إلى تلمس أسهل الأصوات التى لا تحتاج إلى جهد عضلي ، أو مجهود زائد فى نطقها ، فيبدل مع الأيام بأصوات لفته الصعبة نظائرها السهلة ، ولاشك أن حروف العلة (و.ا.ي) أسهل من غيرها ؛ لحرية مرور الهواء معها ، وجهرها . لكننا لاحظنا خلال عرضنا السابق أن الفرق بينها وبين كل من : اللام والميم والنون ، ليس كبيراً ، إذ تمتاز هذه الحروف الصامتة ، بدورها ، بأنها أشبه بأصوات اللين فى خصائصها : من حرية مرور الهواء ، وجهر ، بل وعلو وارتفاع ناتج عن زيادة فى نسبة التردد معها إذا قيست بغيرها من الصوامت الأخرى ، بل وناتج عن غنة تصاحبها ، أو إدغام يقويها .. إلخ .

معنى ذلك أن مبدأ السهولة وحده ، لم يكن منشوداً لدى من أبدل هذه الأصوات فى لفته ، لأن السهولة متحققة مع حروف العلة ، ومع كل من اللام والميم والنون أيضاً ، ومن ثم يصبح القول بأن الإبدال الحاصل بين هذه الصيغ سببه السهولة اللفظية ، غير كاف ، ولا بد من البحث عن سبب آخر .

ثمة نظرية أخرى تقول : بأن التبادل بين الأصوات قد ينشأ عن شبوع بعض الأصوات فى الاستخدام ، دون غيرها ، فيستبدلون بالأصوات التى لا يشيع استخدامها الأصوات الشائعة الاستخدام ، الكثيرة التردد فى صيغهم ، لأن

اللفظ لا يشيع على الألسن إلا إذا امتلك صفات تؤهله لذلك، والأصوات السابقة بنوعها تمتلك - ولا شك - كل مقومات هذا الشيوخ.

والناظر فى الإحصاء الذى قام به د. على حلمى موسى (١) لدرجة تردد الصوائت وبعض الصوامت فى القرآن الكريم يجد أن حروف المد الثلاثة قد ترددت بنسبة ٢٤,٣٩٪ وأن الحركات الثلاث قد ترددت بنسبة ٧٥,٦١٪ بمعنى : أن تردد حروف العلة إلى الحركات قد جاء بنسبة ١ : ٣ وهى نسبة صادقة تماماً ؛ لأننا نعلم أن النسيج المقطعى فى اللغة العربية لا يسمح بتتابع أربعة متحركات فى الكلمة الواحدة أو ما يشبه الكلمة، إذ لا بد من كسر هذا التتابع الحركى بالمد أو بالسكون مثل : يَتَقَاتُلْ، كَتَبَ < كَتَبَتْ وهكذا .

أما الصوامت ، فنجد أن اللام تمثل أعلى نسبة تردد؛ حيث بلغ تردها ١٠,١٤٪، يليها النون بنسبة ١٠,١٢٪ ، ثم الميم بنسبة ١٠,٦٦٪ . بمجموع ٣٦,٨٦٪ بمعنى أن هذه الحروف الثلاثة قد استحوذت على هذه النسبة المرتفعة، أما باقى حروف العربية الخمسة والعشرين فقد كانت نسبتها مجتمعة ٦٣,١٤٪ وهذا ولا شك يؤكد حقيقة شيوع هذه الأحرف الثلاثة فى اللغة العربية، فإذا أضفنا حروف العلة الثلاثة إليها تصبح نسبة شيوعها فى الكلام العربى ٦١,٢٥٪ ، بمعنى أن خمسة حروف تحتل هذه النسبة الشائعة فى الكلام العربى، لا بد وأن تتعرض لصنوف شتى من الإدغام والإبدال والحذف والسقوط . . الخ ، وقد شاهدنا كيف أن حروف العلة الأصل فيها هو الإعلال، بينما الشذوذ فيها هو التصحيح أما اللام، فقد اتخذتها العربية حرفاً للتعريف ، ومعلوم أنه يدغم فى نصف أصوات اللغة : كل الأصوات التى تخرج من مخرجه ، والأصوات التى تخرج من المخرج السابق لمخرجه، والأصوات التى تخرج من المخرج التالى لمخرجه . ورأيناها تتبادل مع حروف المجموعة الكبرى . . الخ .

(١) انظره فى الجدول رقم (٥) فى بحث د. محمد أمزوى ٦٤ .

كما رأينا الميم تبدل مع الأصوات من مخرجها كالباء والواو والنون وتبدل كذلك مع اللام : حديث الصيام فى السفر .
أما النون فتشبه اللام ، وتزيد للغنة فيها .

نخلص مما سبق ، أن النظرية التى تقول : بأن الألفاظ التى تحتوى على لام ، أو ميم ، أو نون ، قد تعرضت أكثر من غيرها لأن تبدل هذه الأصوات بحروف العلة : الواو ، أو الياء هى نظرية لها مايررها من الناحية العلمية ، وأن هذه النظرية وجدت أرضاً خصبة لها فى بعض البيئات العربية ، دون البعض الآخر ، ومن ثم ، حدث لهذه الحروف الإبدال فى تلك البيئات ، ونتج عنه وجود هذه الألفاظ المترادفة باللام ، أو الميم ، أو النون من ناحية والألفاظ بالواو أو الياء (أو ما اعتل منهما) من ناحية أخرى .

أما المرادف لتلك الألفاظ بالتضعيف « فهو ما كانت عينه ولامه من جنس واحد ، ويغلب على هذه الألفاظ سقوط حركة العين ؛ لأن النبرة على المقطع الأول من الفعل تُضَعَّف عادةً من مدى حركة العين ، وتتفق اللهجات العربية القديمة فى إسقاط هذه الحركة عند تماثل العين واللام . . وترجع ظاهرة إسقاط حركة العين فى المضاعف ، بالإضافة إلى تأثير النبرة إلى ثقل تتابع مقطعين قصيرين متماثلين : شَدَدَ < شَدَّ ، لذلك لم تحتفظ العربية بحركة العين رغم التضعيف إلا فى أفعال قليلة على وزن (فعل) لتمييزها عن البقية ، لأن (فعل) خاص دائماً بالصفات مثل : لَبِب ، شَرَر ، حَبِت ، خَفَف ، رَمِم »^(١) .

لأنه من المعروف لغوياً ، أن المقطع المنبور نبراً أولاً ، يصيب المقطع التالى له ، بل والسابق له بالإظلام الصوتى ؛ بمعنى أن حركة المقطع الطويلة تَقْصُرُ ، والقصيرة تَسْكُنُ ، والساكن يحذف ؟ ففى الفعل : (ردد) يسقط النبر الأولى

(١) البكوش ٩٩ وراجع الزهر ٣٧/٢ .

على الراء ، فتسكن الدال الأولى نتيجة لهذا النبر القوى السابق لها ، فيلتقى حرفان من نوع واحد ، أحدهما ساكن والثاني متحرك فيدغم الساكن فى المتحرك ؛ توفيراً للمجهود العضوى ، ونطقهما بعملية واحدة بدلاً من عمليتين .

ومن ثَمَّ ، تتضح العلاقة بين الصيغ المشددة ، والصيغ المعتلة ؛ ففى كلتا الحالتين ، تكون الصيغة مكونة من عنصرين ، سواء اختفى العنصر الثانى ، أو العنصر الثالث ، فالنتيجة واحدة ؛ لأن سقوط حرف العلة كما رأينا ناتج إما عن توالى الأمثال ، ونشوء المد من الحركتين ، أو ناشئ عن حذف أحد المعتلين للثقل عند اجتماع المتماثلين أو المتنافرين .

وسقوط عنصر التضعيف ناشئ بدوره عن تماثل العين واللام ، وسكون أحدهما بفعل النبر ، وإدخاله فى العنصر الثالث .

وقد أنعمت النظر فى المعجم الوسيط ، حول هذه الأفعال أو الصيغ التى حدث فيها إبدال بين كل من اللام والميم والنون من ناحية ، وبين حروف العلة الثلاثة (و.ا.ى) من ناحية أخرى ، بل الصيغ المشددة التى جاءت مرادفة للنوعين السابقين فخرجت بثبت الكلمات التالية ولا أدعى لها الحصر ، بل هى نسبية ولا شك ، يمكن الإضافة إليها أو الحذف منها ، والله الموفق .

مراجع البحث

- أمزوى . د. محمد أمزوى
أشباه الصوائت فى اللغة العربية (نظامها ووظائفها) . مجلة اللسان العربي. العدد الثامن والأربعون. ديسمبر ١٩٩٩ المنظمة العربية للترجمة والثقافة والعلوم. مكتب تنسيق التعريب. الرباط.
- الأنبارى . كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن سعيد الأنبارى النحوى . الإنصاف فى مسائل الخلاف (بين النحويين : البصريين والكوفيين) تحقيق محى الدين عبد الحميد.
المكتبة العصرية. صيدا بيروت ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- أنيس . د. إبراهيم أنيس.
- الأصوات اللغوية .
الطبعة الخامسة ١٩٧٩ - مكتبة الأنجلو المصرية .
- بحث فى اشتقاق حروف العلة .
مجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية - المجلد الثانى ١٩٤٤ . القاهرة.
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- پاى . ماريو پاى.
أسس علم اللغة .
ترجمة وتعليق : د. أحمد مختار عمر .
الطبعة الثانية ١٩٨٣ . عالم الكتب ٣٨ش عبد الخالق ثروت القاهرة.
- برجسترا سر .
التطور النحوى .

أخرجه وصححه وعلق عليه د. رمضان عبد التواب

مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٨٢ .

● بشر . د. كمال محمد بشر

الأصوات العربية .

الناشر . مكتبة الشباب ٢٦ ش إسماعيل سرى بالنتيرة.

● دراسات فى علم اللغة .

دار المعارف بمصر ١٩٧٣ .

● البغدادى . عبد القادر البغدادى .

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب .

ط . بولاق ١٢٩٩ هـ .

ويتحقق عبد السلام هارون ١٣٨٧ - ١٩٦٧ وما بعدهما . القاهرة .

● البكوش . الطيب البكوش .

التصريف العربى (من خلال علم الأصوات الحديث) .

تقديم : صالح القرمادى . تونس ١٩٧٣ .

الشركة التونسية لفنون الرسم ٢٠ نهج المنهجى - تونس .

● ابن جنى . أبو الفتح عثمان بن جنى ت ٣٩٢ هـ الخصائص .

بتحقيق : محمد على النجار .

الناشر : دار الكتاب العربى . بدون تاريخ . ط . ثانية .

مصور عن ط . دار الكتب المصرية ١٣٧١ - ١٩٥٢ وما بعدها .

- سر صناعة الإعراب.
- دراسة وتحقيق : د. حسن هندراوي.
- دار القلم - دمشق ط. ثانية ١٤١٣ - ١٩٩٣.
- ديوان الهذليين.
- دار الكتب المصرية ١٣٦٩ - ١٩٥٠ .
- سيبويه . أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ١٨٠ هـ .
- كتاب سيبويه.
- تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون.
- دار الجليل - بيروت ط. أولى .
- السيوطي . عبد الرحمن جلال الدين السيوطي.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها .
- شرحه وضبطه وعنون موضوعاته محمد أحمد جاد المولى وآخرون.
- دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابي الحلبي وشركاه .
- العاني . د. سلمان حسن العاني.
- التشكيل الصوتي في العربية (فونولوجيا العربية) .
- ترجمة : د. ياسر الملاح . مراجعة : د. محمود غالى .
- ط. أولى ١٤٠٣ - ١٩٨٣ النادي الأدبي الثقافي . جدة - السعودية .
- عليوة د. عبد الحميد عليوة مسعد.
- اتجاه حديث في دراسة موسيقا الشعر العربى .
- القاهرة ٢٠٠٠ (تحت النشر . مجلة الدراسات اللغوية . جامعة الامام محمد بن سعود) .

- إيقاع الشعر العربي بين الكم والكيف .
- القاهرة ١٩٩٧ مكتبة القاهرة ٩ ش الصنادقة . القاهرة .
- عمر . د. أحد مختار عمر .
- دراسة الصوت اللغوي.
- عالم الكتب ١٩٩١ ٣٨ ش عبد الخالق ثروت . القاهرة .
- كاتينو . جان كاتينو .
- دروس فى علم أصوات العربية .
- نقله إلى العربية : صالح القرماذى . الجامعة التونسية .
- نشر : مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ١٩٦٦ .
- المبرد . أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ٢١٠ - ٢٨٥ هـ كتاب المقتضب .
- تحقيق : محمد عبد الخالق عزيمة القاهرة ١٣٩٩ هـ .
- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . لجنة إحياء التراث الإسلامى .
- مجمع اللغة العربية .
- المعجم الوسيط .
- قام بإخراجه : د. إبراهيم أنيس . د. عبد الحليم منتصر . عطية
- الصوالحى محمد خلف الله أحمد . الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
- مصلوح . د. سعد مصلوح .
- دراسة السمع والكلام .
- عالم الكتب ١٩٨٠ .
- ابن يعيش . الشيخ موفق الدين بن يعيش النحوى ت ٦٤٣ هـ - شرح المفصل .
- عالم الكتب - بيروت ، مكتبة المتبنى - القاهرة .

مصطلح علم الحديث

والتقعيد النحوي عند سيبويه

د. فكري محمد سليمان
قسم اللغة العربية - كلية الأكن
جامعة عين شمس

مقدمة

موضوع هذا البحث هو : مصطلح علم الحديث والتقعيد النحوي عند سيبويه .

لقد كان علم الحديث من أهم العلوم التي حرص سيبويه على تعلمها منذ نشأته ، فقد حضر حلقات علماء الحديث ، الذين تلقى العلم على أيديهم حماد بن سلمة بن دينار البصري ، وقد أخطار سيبويه في إعراب ونطق بعض الكلمات أمام حماد بن سلمة فصحيح له حماد ما أخطأ فيه ، وبسبب خطئه هذا ، اندفع سيبويه نحو العلوم اللغوية ينهل من ينابيعها حتى أصبح إماماً للعربية .

وتهدف هذه الدراسة إلى بيان مدى تأثير سيبويه بمصطلحات علم الحديث عند تقعيده القواعد والأصول النحوية ، كما تهدف الدراسة أيضاً إلى معرفة المعايير التي استند إليها سيبويه عند إطلاقه الأحكام النحوية التي أصدرها على التراكيب المفترضة التي صنعها من أجل التفسير والشرح ، والتراكيب المسموعة من العرب ، مثل : صحيح ، حسن ، ضعيف ، قبيح الخ .

وهناك كتاب بعنوان : مصطلح الحديث وأثره على الدرس اللغوى عند العرب { د. شرف الدين على الراجحى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، بدون تاريخ } .

يدور هذا الكتاب حول تأثير اللغويين بطريقة المحدثين فى اكتساب العلم ، وطرق الأخذ ، ونقد السند ، والجرح والتعديل ، والتصحيح والتحريف ، ونقد المتن .

والدراسة السابقة تختلف فى موضوعها ونهجها عن الدراسة التى قام بها الباحث هنا ، وأغلب ظن الباحث أن موضوع هذا البحث وهو مصطلح الحديث والتقعيد النحوى عند سيويه لم يدرس من قبل .

وقد اعتمدت هذه الدراسة على أهم المراجع التى تناولت تدوين الحديث وكذلك التى اهتمت بمصطلح الحديث وأقسامه . كما اعتمدت على كتاب سيويه ، تحقيق عبد السلام هارون . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ - ١٩٧٩ م .

وتتضمن هذه الدراسة النقاط التالية :

- تدوين الحديث .
- اهتمام سيويه بتعلم الحديث ، وأثر ذلك فى اتجاهه نحو العلوم اللغوية .
- مراعاة الدقة فى فصاحة النص اللغوى بين اللغويين والمحدثين .
- منهج سيويه فى جمع اللغة .
- بين مصطلح الحديث ومصطلحات التقعيد عند سيويه .
- أقسام الحديث : الصحيح ، الحسن ، الضعيف وأقسام كل قسم منها .
- التقعيد عند سيويه .

- الأحكام النحوية عند سيويه ومنها : صحيح مستقيم ، حسن ، محال ، جيد ، أجود ، ضعيف ، قبيح ضعيف ، خبيث ، خطأ ، ردى .
وارتباط هذه الأحكام بالظواهر التالية : الإعراب ، التقديم والتأخير ، العامل ، الحذف ، الفصل ، بناء الكلام .
- الخاتمة ، وتتضمن أهم نتائج البحث .

مصطلح علم الحديث والتقعيد النحوى عند سيوبه

الحديث :

المعنى اللغوى :

الحديث : نقيض القديم . وحدث أمر أى وقع . والحديث : الجديد من الأشياء . والحديث : الخبر يأتى على القليل والكثير . والجمع : أحاديث .
والحديث : ما يحدث به المحدث .

ورجل حَدَّثَ حَدَّثَ وَحَدَّثَ وَحَدَّثَ ، ومُحَدِّثٌ بمعنى واحد : كثير الحديث حسن السياق له . كل هذا على النسب^(١) .

الحديث : كل ما يتحدث به من كلام وخبر . والحديث : الجديد . يقال : هو حديث عهد بكذا : قريب عهد به^(٢) .

المعنى الاصطلاحى :

تطلق كلمة حديث على «ما أثر ونقل عن النبى محمد ﷺ من قول ، وفعل ، وتقرير ، وصفات .

ويراد بـ «التقرير» «ما فعله أحد الصحابة أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقره ولم ينهه عنه» ، كما يراد بـ «الصفات» « أقوال الصحابة فى وصف الرسول ووصف الحالات التى يمر بها »^(٣) .

(١) ابن منظور، لسان العرب ، مادة : حدث .

(٢) المعجم الوسيط ، مادة : حدث .

(٣) د . بكرى شيخ أمين ، أدب الحديث النبوى ، دار الشروق بيروت - القاهرة ط . الخامسة ١٩٨١ م .

١٤٠١ هـ . ص ١٠٠ .

نما تقدم من عرض للمعنى اللغوى والاصطلاحى لكلمة «حديث» نلاحظ وجود علاقة بين المعنيين، فمن المعانى اللغوية لمادة حدث : الخبر، والوقوع ، وهو ما دل عليه المعنى الاصطلاحى ، من إخبار الرسول لأمته بأشياء وتقريره صلى الله عليه وسلم لأشياء حدثت من بعض الصحابة .

تدوين الحديث :

الحديث النبوى الشريف هو المصدر الثانى من مصادر التشريع فى الإسلام بعد القرآن الكريم .

وقد نهى رسول الله ﷺ عن كتابة الحديث أول الأمر فقد روى مسلم فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : «لا تكتبوا عنى شيئا إلا القرآن، ومن كتب عنى شيئا غير القرآن فليمحاه » .

ويرجع نهى الرسول الكريم عن كتابة الحديث فى أول الأمر للأسباب^(١) الآتية :

١ - خشية الرسول ﷺ اختلاط الحديث بالقرآن الكريم ، وذلك بأن يجمع كاتب آية قرآنية بحديث نبوى فى صحيفة واحدة فيؤدى ذلك إلى الخلط بينهما .

٢ - خشى الرسول ﷺ أن يشغل المسلمون بالحديث عن القرآن الكريم .

٣ - أن النهى ربما كان موجهاً لمن لا يجيد الكتابة ، أو فى حق من يوثق بحفظه وخيف اتكاله على الكتابة .

(١) د. بكرى شيخ أمين ، أدب الحديث النبوى ص ٣١-٣٢ .

وعندما زالت الأسباب المتقدمة، أذن الرسول بكتابة الحديث، فقد حفظ الكثيرون القرآن الكريم، وأصبح التفريق بين القرآن والحديث واضحاً وضوحاً شديداً أمام الصحابة .

فقد رُوي أن الرسول ﷺ لما فتح مكة قام فخطب في الناس، فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه، فقال : «يا رسول الله اكتبوا لى ، فقال عليه الصلاة والسلام : اكتبوا لأبى شاه » .

فقد سمح رسول الله ﷺ بالكتابة لأبى شاه . وبسبب حديث النهى وحديث الإباحة فى كتابة الحديث اختلف السلف من الصحابة فى حكم كتابة الحديث إلى طائفتين^(١) :

الأولى : تكره كتابة الحديث ومنها : عمر ، وابن مسعود، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى ، وأبو سعيد .

الثانية : وقد أباحت كتابة الحديث ومنها : على ، وابنه الحسن، وأنس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأكثر الصحابة .

ثم أجمع الصحابة والتابعين بعد ذلك على جواز تدوين الحديث ، وقد بدأ تدوين الحديث فى القرن الأول الهجرى بصفة غير رسمية، فكان عبد الله ابن عمرو بن العاص، يكتب كل ما يسمع من رسول الله ﷺ ، وجمع كل ما سمع فى صحيفة تسمى «الصادقة»^(٢) وقد اشتملت هذه الصحيفة على ألف

(١) ابن الصلاح ، مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث . دار الكتب العلمية . بيروت ، لبنان ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م . ص ٨٨ .

(٢) د. صبحى الصالح . علوم الحديث ومصطلحه عرض ودراسة، دار العلم للملايين ، بيروت، ط الخامسة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٦م . ص ٢٧، د. أحمد عمر هاشم، أضواء على مصطلح الحديث . دار المنار . القاهرة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م . ص ٣٨ .

حديث وسميت «الصادقة» لأنها أصدق وثيقة فى كتابة الحديث فى عهد الرسول ﷺ .

فلم يرخص الرسول ﷺ بكتابة الحديث ترخيصاً مطلقاً ، ولم يمنع كتابته منعاً مطلقاً ، وإنما كان متفاوتاً بتفاوت الظروف والأشخاص الكائين^(١) .

فتدوين الحديث بدأ فى عهد الرسول الكريم ﷺ بجانب ما حفظ فى صدور الصحابة رضوان الله عليهم ، ولكن هذا التدوين لم يكن شاملاً وكثيراً .

وفى عهد عمر بن عبد العزيز بدأ تدوين الحديث بشكل عام ، فقد ظهر الكذب والنفاق ، وبدأ المنافقون فى وضع بعض الأحاديث تأييداً للفرق والشيعة المختلفة ، كما اتسعت الفتوحات وتباعدت الأمصار ، وخيف على ذهاب العلماء ، فادت كل هذه الأسباب إلى جمع الحديث وتدوينه حتى لا يضيع على الأمة الإسلامية المصدر الثانى من مصادر التشريع وهو السنة النبوية التى هى بيان لكتاب الله سبحانه وتعالى .

فبدأ الخليفة عمر بن عبد العزيز فى الحث على جمع الحديث وتدوينه فى نهاية القرن الأول الهجرى ، فأرسل إلى أبى بكر بن حزم وأمره بكتابة الحديث .

ففى الموطأ للإمام مالك وصحيح البخارى فى كتاب العلم ، أن عمر ابن عبد العزيز كتب إلى أبى بكر بن حزم : «انظر ماكان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه ، فإنى خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، ولا يقبل إلا حديث النبى ﷺ ، وليفشوا العلم ، وليجلسوا حتى يُعَلِّم من لا يعلم ، فإن العلم

(١) د . بكرى شيخ أمين . ادب الحديث النبوى ص ٣٨ .

لا يهلك حتى يكون سرّاً^(١) .

وقد رُوي أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى محمد بن مسلم بن عبيد الله ابن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ) ، وقد كان عالم أهل الحجاز والشام وأحد الأئمة الأعلام الموثقين ، فكان أول من دون بأمر عمر بن عبد العزيز ، ثم شاع التدوين في الطبقة التي تلى طبقة الزهري ، فكان أول من جمعه :

- ابن جريح بمكة . (ت ١٥٠ هـ) .
- ابن إسحاق (ت ١٠١ هـ) أو مالك (١٧٩ هـ) بالمدينة .
- الربيع بن صبح (ت ١٦٠ هـ) أو سعيد بن أبي عروبة (ت ١٥٦ هـ) . أو حماد بن سلمة بالبصرة (ت ١٧٦ هـ) بالبصرة .
- سفيان الثوري (ت ١٦١ هـ) بالكوفة .
- الأوزاعي (ت ١٥٦ هـ) بالشام .
- معمر بن راشد (ت ١٥٣ هـ) باليمن .
- جرير بن عبد الحميد (ت ١٨٨ هـ) بالرى .
- ابن المبارك بخراسان

فكل هؤلاء في عصر واحد ، فهم من أهل القرن الثاني الهجري ، ويلاحظ أن مما يتميز به هذا التصنيف في القرن الثاني الهجري ، أن جمع الحديث كان جمعاً مختلطاً بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ، كما يرى في موطأ الإمام مالك ، ومصنف أبي بكر (ابن أبي شيبة ت ٢٣٥ هـ) .

(١) د. محمد أنيب صالح ، لمحات في أصول الحديث . المكتب الإسلامي بيروت - دمشق ، ط الرابعة

أما بدء إفراء الحديث النبوى بالتدوين مجرداً عن فتاوى الصحابة وأقوال التابعين فكان على رأس الماتين للهجرة^(١) .

سيبويه وعلم الحديث :

كان العلماء فى زمان سيبويه يهتمون أول ما يهتمون بتعلم الفقه والحديث ، وعندما نما سيبويه شغف بالعلم وأهله ، وأقبل على تعلم الحديث والفقه ، فصحب علماء الحديث ، وحضر حلقاتهم العلمية ، وكان من بين هؤلاء العلماء العالم المحدث اللغوى حماد بن سلمة بن دينار البصرى .

وقد حرص سيبويه على التعلم على يد حماد ، فكان حماد من أوائل العلماء الذين وجهوا سيبويه ، ودفعوه إلى تعلم علم العربية . فقد روى نصر بن على أن سيبويه « كان يستملى من حماد بن سلمة يوماً : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أحد من أصحابى إلا وقد أخذت عليه ليس أبا الدرداء » فقال سيبويه : « ليس أبو الدرداء ، فقال : لخت ياسيبويه ، فقال سيبويه : لاجرم ! لأطلبن علماً لاتلحننى فيه أبداً ، فطلب النحو ، ولم يزل يلزم الخليل^(٢) .

فقد أخطأ سيبويه فى ضبط كلمة « أبو » ولم ينطقها بالآلف ظناً منه أنها اسم ليس ، و « ليس » هنا أداة استثناء ، كما ذكر له ذلك عالم الحديث حماد بن سلمة ، ففى الرواية التى رواها الزيدى فى طبقاته أن سيبويه عندما نطق

(١) د. محمد أديب صالح . لمحات فى أصول الحديث ص ٦٨ .

وانظر د. محمد محمد أبو شهبة ، دفاع عن السنة وردّ شبه المشرقين والكتاب المعاصرين . سلسلة البحوث الإسلامية . مطبعة الأزهر الشريف بالقاهرة ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م ، ص ٤٣ - ٤٤ .

(٢) القفطى ، جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف ، إنباء الرواة على أنباء النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م . ج ٢ ص ٣٥٠ .

الكلمة مرفوعة « أبو الدرداء » رد عليه حماد قائلاً « لحنْتَ ياسيويهِ » ليس هنا حيث ذهبْتَ وإنما « ليس » ها هنا استثناء ، فقال : سأطلب علماً لاتلححتي فيه ، فلزم الخليل فبرع ^(١) .

فخطأ سيويهِ فيما تقدم في الروایتين السابقتين خطأ يرتبط بظاهرة الإعراب ، ووظيفة الكلمة في التركيب اللغوي ، وهو مادفع سيويهِ إلى طلب علم العربية ، وملازمته لمجالس علماء اللغة في عصره ، مثل مجلس الأخفش ^(٢) مع يعقوب الحضرمي والخليل بن أحمد أستاذه الأول دون منازع .

ولم يكن خطأ سيويهِ الإعرابي والذي يرتبط بعلم النحو هو الدافع الوحيد له في طلب علم العربية ولزومه حلقات اللغويين والنحويين ، بل كان خطؤه في نطق بنية بعض الكلمات وتغيير وزنها والذي يرتبط بعلم الصرف دافعاً كذلك على تصميمه على تعلم علم العربية حتى برع فيه وأصبح إماماً له .

وكان حماد بن سلمة أيضاً هو الذي نبّه سيويهِ إلى أنه يلحن في نطق بنية بعض الكلمات ، فيروى أن عبيد الله بن معاذ العنبري قال : « جاء سيويهِ إلى حماد بن سلمة فقال له : أحذثك هشام بن عروة عن أبيه في رجل رَعَفَ في الصلاة ؟ فقال : أخطأت يا سيويهِ ! إنما هو رَعَفَ . فقال : فانصرف إلى الخليل فشكا إليه ما لقيه به حماد ، فقال : صدق ، ومثل حماد يقول هذا . ورَعَفَ يجوز إلا أنها ضعيفة والكلام رَعَفَ » ^(٣) .

(١) الزبيدي ، أبو بكر محمد بن الحسن ، طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، ط . الثانية ١٩٥٤ ، ص ٦٤ .

(٢) الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق) ، مجالس العلماء ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخفافي بالقاهرة ، ودار الرقاعي بالرياض . ط . الثانية ١٤٠٣ هـ . ١٩٨٣ م ص ١١٨ .

(٣) القفطي ، إنباء الرواة على أنباء النحاة جـ ٢ ص ٣٥٣ .

فَنُطِقَ سَيِّبِيهِ كَلِمَةً « رَعْفٌ » بِضَمِّ الْعَيْنِ بَدَلًا مِنْ فَتْحِهَا أَوْقَعَهُ فِي
 «الْحَنْ»، لِذَلِكَ هَمَّ إِلَى أَسَازَةِ الْخَلِيلِ لِيَشْكُوا لَهُ هَذِهِ الْإِهَانَةَ اللَّغْوِيَّةَ الَّتِي لَقِيَهَا
 مِنْ أَسَازَةِ حَمَادِ بْنِ سَلْمَةَ، وَلَقَدْ لَفَتِ الْخَلِيلَ نَظَرَ سَيِّبِيهِ فِي أَوَّلِ حَيَاتِهِ
 الْعِلْمِيَّةِ إِلَى بَعْضِ الْأَحْكَامِ الَّتِي تَطْلُقُ عِنْدَ التَّقْعِيدِ اللَّغْوِيِّ مِثْلَ الضَّعْفِ
 وَمَا يُقَابِلُهُ مِنْ صِحَّةٍ وَقُوَّةٍ، وَهُوَ مَا أُطْلِقَ عَلَيْهِ الْخَلِيلُ مُصْطَلَحَ الْكَلَامِ حِينَمَا قَالَ
 «وَالْكَلَامُ رَعْفٌ» فَالْكَلَامُ هُنَا عِنْدَ الْخَلِيلِ هُوَ الصَّحِيحُ وَهُوَ الْمُصْطَلَحُ الَّذِي ظَهَرَ
 فِي رَوَايَةِ الزُّبَيْدِيِّ حَيْثُ قَالَ: «فَانصَرَفَ إِلَى الْخَلِيلِ فَشَكَا إِلَيْهِ مَا لَقِيَهِ مِنْ
 حَمَادٍ. فَقَالَ: صَدَقَ حَمَادٌ، وَمِثْلُ حَمَادٍ يَقُولُ هَذَا، وَرَعْفٌ لُغَةٌ ضَعِيفَةٌ،
 وَالصَّحِيحُ رَعْفٌ»^(١).

وَيَعِدُ هَذَا اللَّحْنَ مِنْ أَوَائِلِ الْإِشَارَاتِ اللَّغْوِيَّةِ الَّتِي تَلْقَاهَا سَيِّبِيهِ عَلَى يَدِ
 حَمَادِ بْنِ سَلْمَةَ الْمَحْدُثِ اللَّغْوِيِّ الْمَشْهُورِ، وَالَّذِي أَكَّدَهُ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ.

وَهُنَاكَ حَادِثَةٌ أُخْرَى تَرْتَبِطُ بِوِزْنِ الْكَلِمَةِ وَطَرِيقَةِ نَظْفِهَا وَأَيْضًا كِتَابَتِهَا،
 كَانَتْ سَبَبًا فِي دَفْعِ سَيِّبِيهِ إِلَى تَعَلُّمِ الْعَرَبِيَّةِ، فَيَقُولُ الزَّجَاجِيُّ: «حَدَّثَنَا أَبُو
 جَعْفَرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَائِشَةَ عُبَيْدُ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلْمَةَ قَالَ: جَاءَ
 سَيِّبِيهِ مَعَ قَوْمٍ يَكْتُبُونَ شَيْئًا مِنَ الْحَدِيثِ، فَكَانَ فِيمَا أَمْلَيْتُ ذَكَرَ الصَّفَا عَنْ
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: «صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّفَا» وَهُوَ الَّذِي كَانَ
 يَسْتَمِلُ فَقَالَ «صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّفَاءُ» فَقُلْتُ: يَا فَارِسِيُّ لَا تَقْلُ الصَّفَاءَ،
 لِأَنَّ الصَّفَا مَقْصُورٌ. فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ مَجْلِسِهِ كَسَرَ الْقَلَمَ وَقَالَ: لَا أَكْتُبُ شَيْئًا حَتَّى
 أَحْكُمَ الْعَرَبِيَّةَ»^(٢).

فَتَرْجِيهِ اللُّسُومَ مِنَ الْإِسْتِزَادِ إِلَى تَلْمِيزِهِ عَنْ طَرِيقِ اسْلُوبِ النَّدَاءِ، وَنَدَائِهِ
 بِالنَّسَبِ إِلَى مَوْطِنِهِ الْأَصْلِيِّ، رُبَّمَا أَشْعَرَ سَيِّبِيهِ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَصْحَابِ السَّلِيقَةِ

(١) الزُّبَيْدِيُّ، طَبَقَاتُ النَّحْوِيِّينَ وَاللُّغَوِيِّينَ، تَحْقِيقُ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ إِبْرَاهِيمَ ص ٦٦.

(٢) الزَّجَاجِيُّ، مَجَالِسُ الْعُلَمَاءِ. تَحْقِيقُ عَبْدِ السَّلَامِ هَارُونَ ص ١١٨.

اللغوية، فهو ليس بعربى ، وهذا مادفع سيبويه دفْعاً قوياً إلى حضور حلقات العلماء ينهل من علمهم حتى أصبح إماماً للعربية .

كما سبق يتبين لنا أن سيبويه اتبع طريقة الاستملاء، وكذلك الاستفسار والسؤال عند تعلمه علوم العربية ، وكانت الأولى على يد حماد ابن سلمة ، والثانية على يد أستاذه الخليل بن أحمد وهى الأكثر استعمالاً كما يتضح ذلك فى كتابه .

وقد ظل سيبويه متصلاً بعلم الحديث، حتى عندما كبر وأصبح يلقى دروسه فى حلقة خاصة به بالبصرة ، كان يذكر لرواده بعض الأحاديث .

فيروى أن محمد بن سلام قال : « كان سيبويه النحوى جالساً فى حلقة بالبصرة فتذاكرنا شيئاً من حديث قتاده ، فذكر حديثاً غريباً وقال : لم يرو هذا إلا سعيد بن أبى العروة . فقال له بعض ولد جعفر بن سليمان ماهاتان الزائدتان يا أبا بشر ؟ فقال : هكذا يقال ، لأن العروبة هى الجمعة ، ومن قال عروبة فقد أخطأ فقال ابن سلام : فذكرت ذلك ليونس فقال : أصاب لله دره ! » (١) .

فقد حرص سيبويه أول ما حرص على حضور حلقات أهل الفقه والحديث ، وقد ساعده على ذلك معرفة أحكام هذين العلمين وطريقة العلماء فيهما ، مما جعله يعكس تلك المعرفة على علم العربية عندما اشتد عوده ، وأحكم قواعد العربية ، فبدأت تظهر عنده بعض المصطلحات التى ألم بها من علم الحديث عندما أراد أن يقعد للغة .

(١) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ص ٦٧ .

بين المحدثين واللغويين :

لم يعرف علم من العلوم اهتماماً شديداً برواته ومنتها مثلما عرف عن علم الحديث ، فقد اهتم علماء الحديث اهتماماً بالغاً براوى الحديث وكذلك بنص الحديث .

ولم يقنع علماء الحديث بأخذ الحديث من المدينة الموطن الأصلية للحديث ، ولا من بلادهم التي نشأوا فيها ، بل أرادوا أن يوسعوا دائرة سماعهم ، فرحلوا إلى جميع الأمصار يسمعون من أفواه العلماء ما يطلبونه من أحاديث توثيقاً للنصوص وتأكيداً لصحة السند .

وقد تكبد العلماء مشاق الرحلة ليحصلوا على مرادهم ، ولو كان المراد حديثاً واحداً ، فيروى أن جابر بن عبد الله « ابتاع بعيراً فشد عليه رحله وسار شهراً حتى قدم الشام ليلأل عبد الله بن أنيس عن حديث فى القصاص ... »^(١) .

وقد اهتم علماء الحديث بدراسة الرواة دراسة دقيقة ترتبط بحياتهم العلمية والاجتماعية والعقلية فتبعوا أحوالهم من حيث النشأة والتلقى ، والعدالة أو الفسق ، والضبط أو الغفلة ، والصدق أو الكذب ، وبسبب ذلك نشأ ما يسمى بعلم الجرح والتعديل ، وهو العلم الذى يتناول دراسة الرواة دراسة شاملة من جميع الجوانب التى تورث الشك أو الثقة بهم .

وكان الدافع الرئيسى إلى هذا التدقيق فى أحوال رواة الحديث هو صون حديث الرسول ﷺ من أى تغيير أو تبديل ، وكان يحدو العلماء فى ذلك قول ابن سيرين رضي الله عنه « إن هذا الحديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم »^(٢) .

(١) د. صبحى الصالح ، علوم الحديث ومصطلحه ، ص ٥٣ - ٥٤ .

(٢) د. بكرى شيخ ، أدب الحديث النبوى ص ٢٥ .

وقد اشترط علماء الحديث شروطاً محددة فيمن يحتج بحديثه وذلك « أن يكون عدلاً ضابطاً لما يرويه ، وتفصيله أن يكون مسلماً بالغاً عاقلاً ، سالماً من أسباب الفسق وخوارم المروءة ، متيقظاً غير مغفل ، حافظاً إن حدث من حفظه ، ضابطاً ، لكتابه إن حدث من كتابه ، وإن كان يحدث بالمعنى اشترط مع ذلك أن يكون عالماً بما يحيل من المعاني »^(١) .

فالشروط الواجب توافرها فيمن يروى عنه الحديث أن يكون عدلاً ضابطاً ، والعدالة معناها أن يكون مسلماً بالغاً عاقلاً سليماً من أسباب الفسق وخوارم المروءة ، أما الضبط فمعناه أن يكون حافظاً يقظاً إن حدث من حفظه ، ضابطاً لكتابه إن حدث منه ، فاهماً بما يحيل من المعاني .

وقد وضع علماء الحديث ألفاظاً في علم الجرح والتعديل فألفاظ التعديل على مراتب أربع هي :

الأول : هو ثقة ، أو متقن ، أو ثبت أو حجة ، أو يقال في العدل حافظ أو ضابط ، فهو ممن يحتج بحديثه .

الثانية : صدوق أو محله الصدق أو لا بأس به .

الثالثة : هو شيخ .

الرابعة : صالح الحديث .

وألفاظ الجرح أيضاً على مراتب أربع هي :

أولها : هو لين الحديث . الثانية : هو ليس بقوي

الثالثة : ضعيف الحديث . الرابعة : هو متروك الحديث^(٢) .

(١) ابن الصلاح ، مقدمة ابن الصلاح ص ٥٠ .

(٢) الطيبي ، الخلاصة في أصول الحديث تحقيق صبحي السامرائي ، مطبعة الإرشاد بغداد ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م ، ص ٩٠ - ٩٢ .

فأرفع الالفاظ فى أحوال رواة الحديث أن يقال حجة أو ثقة وأدناها أن يقال « كذاب ساقط »^(١) .

المكان وعلاقته بالصحيح :

ارتبط المكان بالصحيح من الأحاديث النبوية ، كما ارتبط أيضاً بالصحيح من اللغة ، فقد حدد علماء الحديث أصح الأحاديث وربطوها بآماكن معينة ، كما اجتهد علماء اللغة فى أخذ اللغة الصحيحة النقية من أفواه العرب فى أماكن محددة .

ف نجد عند أهل الحديث أن أصح الأحاديث مارواه أهل المدينة يقول ابن تيمية « اتفق أهل العلم بالحديث على أن أصح الأحاديث ما رواه أهل المدينة ، ثم أهل البصرة ثم أهل الشام ، وقال الخطيب : أصح طرق السنن ما يرويه أهل الحرمين مكة والمدينة فإن التدليس عنهم قليل والكذب ، ووضع الحديث عندهم عزيز ، ولأهل اليمن روايات جيدة وطرق صحيحة إلا أنها قليلة ، ومرجعها إلى أهل الحجاز أيضاً ، ولأهل البصرة من السنن الثابتة بالأساتيد الواضحة ماليس لغيرهم مع إكثارهم ، والكوفيون مثلهم فى الكثرة ، غير أن رواياتهم كثيرة الدغل ، قليلة السلامة من العلل ، وحديث الشاميين أكثر مراسيل ومقاطيع ، وما اتصل منه فإنه صالح والغالب عليه ما يتعلق بالمواضع »^(٢) .

وكما كان للمكان تأثير فى تحديد أصح الأحاديث ، كان له أيضاً أثر واضح فى تحديد الصحيح من اللغات فقد حدد علماء اللغة القبائل التى يؤخذ عنها

(١) ابن الصلاح . مقدمة ابن الصلاح ص ٥٩ .

ونظر ابن كثير الباعث الحث شرح اختصار علوم الحديث ، تأليف أحمد محمد شاكر ، دار الكتب بيروت - لبنان ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م ص ١٣٠ ، ١٤٨ .

(٢) د. صبحى الصالح ، علوم الحديث ومصطلحه ، ص ١٥٣ - ١٥٤ .

اللغة الفصحى، وربطوا ذلك بأماكن معينة، فيؤخذ عن سكان البادية الذين يعيشون وسط الجزيرة، ولا يؤخذ عن سكان الحضر الذين يعيشون فى أطراف البلاد.

يقول السيوطى « والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدى، وعنهم أخذ اللسان العربى من بين قبائل العرب ، هم قيس وعيم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل فى الغريب وفى الإعراب والتصريف ثم هذيل وبعض كنانة، وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم .

وبالجملـة فإنه لم يؤخذ عن حضرى قط، ولا عن سكان البرارى ممن كان يسكن أطراف بلادهم التى تجاور سائر الأمم الذين حولهم . فإنه لم يؤخذ لا من لحـم ولا من جذام فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقيـط، ولا من قضاة ولا من غسان ولا من إياد فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام وأكثرهم نصارى يقرأون فى صلاتهم بغير العربية ، ولا من تغلب ولا من النمر فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية، ولا من بكر لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس، ولا من عبد قيس، لأنهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أرد عمان لمخالطتهم للهند والفرس، ولا من أهل اليمن أصلا لمخالطتهم الهند والحبشة ولولادة الحبشة فيهم، ولا من بنى حنيـفة وسكان اليمامة ، ولا من ثقيف وسكان الطائف لمخالطتهم تجار الأمم المقيمة عندهم، ولا من حاضرة الحجاز، لأن الذين نقلوا اللغة صادفهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم ، وفست ألسنتهم^(١) .

(١) السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن) كتاب الاقتراح فى علم أصول النحو، تحقيق وتعليق د. أحمد

محمد قاسم . مطبعة السعادة بالقاهرة، ط الأولى ، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م، ص ٥٦ - ٥٧ .

فشرط جمع اللغة عند اللغويين هو نقاؤها وصفائها من الشوائب التي يمكن أن تعلق بها نتيجة لاختلاط أصحابها بغير العرب الذين لا يجيدون العربية.

فسبب عدم أخذ اللغة عن بعض القبائل هو الاختلاط الذي يؤدي بالضرورة إلى فساد اللغة وحدث اللحن، يقول ابن جنس : « إن علة امتناع أخذ اللغة عن أهل المدر هو ماعرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد والخلط . ولو علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم، ولم يعترض شئ من الفساد للغتهم، لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوير .

وكذلك أيضاً لوفشا في أهل الوير ماشاع في لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وخبالها، وانتقاص عادة الفصاحة وانتشارها لوجب رفض لغتها وترك تلقى مايرد عنها »^(١) .

إذن الأساس في مسألة أخذ اللغة وتحري الدقة في نقلها عن قوم بعينهم هو المحافظة على الفصاحة والبعد عن الاضطراب والفساد اللغوي، سواء أكان الإقليم المأخوذ عنه هذه اللغة يمثل المدر أم الحضر .

فاهتمام علماء اللغة كان منصباً على اللغة الفصحى « ومن ثم فقد أهملوا تلك اللهجات التي أصبح البون بينها وبين الفصحى شاسعاً ولم ينظروا ويهتموا إلا باللهجات التي تقترب في خصائصها من العربية الفصحى وهذه هي لهجات الحجاز وتميم وهذيل وطىء »^(٢) .

وسبب الدقة في جمع اللغة يرجع إلى ظهور وضع اللغة وتسرب الشك في بعض الروايات « إذ يبدو أن بعض الرواة من الأعراب كان احتراف صناعة

(١) ابن جنس ، الخصائص ، حققه محمد علي التجار ، عالم الكتب بيروت ، ط الثالثة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ج٢ ص ٥ .

(٢) د . محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٢٢٥ .

النصوص غير الصحيحة ، يحشوها بالغريب من الالفاظ . . ومنهم من أخذ يضع أشعاراً ينسبها إلى شعراء سابقين ، على حين أن أهل الشعر لا يقرونها ولا يعترفون بصحتها»^(١) .

فاحتاط اللغويون في قبول ما يسمعون «فحدثنا على بن إبراهيم عن المعداني عن أبيه عن أبي معاذ معروف بن حسان عن الليث عن الخليل قال « إن النحارير ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللبس والتعني»^(٢) .

ونلاحظ في الرواية السابقة حرص علماء اللغة على اتباع منهج علماء الحديث في الإسناد ، وهو دقة التسلسل الإسنادي للخبر حتى يصل إلى قائله الأول ، مع الفارق بين النصين ، فنص الحديث نص لغوي تستنبط منه الأحكام والشرائع الدينية التي تنظم حياة البشر ، أما النص اللغوي فهو مجرد نص تستنبط منه القواعد اللغوية سواء أكانت صوتية أم صرفية أم نحوية أم دلالية ، وهي ترتبط جميعها بصحة وسلامة اللغة في النطق والفهم .

«فالرواية اللغوية تختلف عن رواية الحديث في أمر جوهري هو توثيق الكلمة أو التركيب دون نظر إلى الحكم الوارد في النص ، أكان صواباً أم خطأ»^(٣) .

لذلك كان على علماء اللغة أن يتحروا الثقة والصدق حتى يأمنوا ما ليس من كلام العرب الفصحاء ، يقول ابن فارس : «فلينحذر أخذ اللغة . . أهل الأمانة والثقة والصدق والعدالة فقد بلغنا من أمر بعض مشيخة بغداد ما بلغنا»^(٤) .

(١) د. عبد الصبور شاهين ، دراسات لغوية ، المطبعة العالية بالقاهرة ، ١٣٩٦ هـ ، ١٩٧٦ م ، ص ٢٧ .

(٢) ابن فارس ، الصحاح ، تحقيق أحمد صقر ، عيسى البابلي الحلبي بالقاهرة بدون تاريخ ، ص ٤٨ .

(٣) د. عبد الصبور شاهين ، دراسات لغوية ، ص ٢٧ .

(٤) ابن فارس ، الصحاح ، ص ٤٣ .

وخوفاً من اتساع رقعة التزييف فى اللغة التى تؤدى بالضرورة إلى فساد اللغة ، أخذ علماء اللغة على عاتقهم ضرورة التصدى لموجه التزييف ، ونهجوا نهج علماء الحديث فى نقد النصوص وتوثيق نسبة الكلام إلى قائله ، ويرى بعض الباحثين أن السبب الذى ألبأ النحاة إلى التشدد والتزمى فى أخذ اللغة يرجع إلى أن اللغة كانت مكتوبة وليست منطوقة « فلما لم تكن هذه اللغة بنت وقتها ، وكانت مروية عن عصور سابقة جاهلية وإسلامية ، اضطر النحاة إلى توثيق الرواية كما فعل رجال الحديث بالحديث »^(١) .

الآخذ عن الثقة :

عنى أصحاب الحديث بالآخذ عن أهل الثقة والأمانة واهتموا بدراسة أحوال الرواة اهتماماً بالغاً ، حتى إنهم بعد دراسة مستفيضة انتهوا إلى تحديد أوهى الأسانيد حتى لا يشبه أمر الحديث على الناس ويختلط عندهم المقبول منه بالمردود . ومثال ذلك قالوا « إن أوهى أسانيد أهل البيت عمرو بن شمر الجعفى عن جابر عن يزيد الجعفى ، عن الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني عن على بن عيسى »^(٢) .

منهج سيبويه فى جمع اللغة :

تأثر سيبويه بمنهج المحدثين فى جمع اللغة من أفواه العرب الفصحاء الذين اشتهروا بالثقة والأمانة ، سواء أكان ذلك بطريقة مباشرة أم كان بطريقة غير مباشرة . وذلك عن طريق سماعه من شيوخه الذين سمعوا بدورهم من ذوى الثقة من العرب .

وقد أشار سيبويه كثيراً إلى منهجه فى السماع من أهل الثقة وحرص على أن يروى ذلك بنفسه إيماناً منه بضرورة السعى من أجل الوقوف على اللغة النقية

(١) د. تمام حسان ، الأصول ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٢م ص ١١١ .

(٢) د. محمد أدبى صالح ، لمحات فى أصول الحديث ص ١٩٤ - ١٩٥ .

الفصيحة الخالية من الشوائب .

وقد استعمل سيويه بعض الألفاظ التي تدل على اهتمامه بأخذ اللغة من ذوى الثقة مثل :

السماع ، والتحديث ، والإخبار ، والتبليغ .

السماع : أما من السماع فقد ذكر ما سمعه بنفسه عن العرب ، وماسمعه ممن يثق به أنه سمع من العرب .

فمن النوع الأول نجده يستعمل ضمير المفرد أو الجمع فيقول :

● وسمعت من أئق به من العرب . ٢٣٠ / ١ .

● وسمعتا من العرب من يقول ممن يوثق به ٥٣ / ١ .

● سمعناه ممن يوثق بعربيته . ٣١٣ ، ١٥٥ ، ٧١ / ١ .

● وسمعتا العرب الموثوق بهم يقولون . ٣٣٠ / ١ .

● سمعتا بعض العرب الموثوق به ٤٢٣ ، ٣٢٠ ، ٣١٩ / ١ .

● سمعتا ذلك ممن يوثق به من العرب . ٤٠٥ / ١ .

● وسمعتا الثقة من العرب . ٢٤٤ / ٢ .

● سمعناه من أهل الثقة . ١٣٧ / ٣ .

● وسمعتا من يقول ممن يوثق به من العرب . ٤٢٥ / ٣ .

● وسمعتا فصحاء العرب يقولون . ٥٠٣ / ٣ .

● وسمعتا من يوثق به من العرب ٥٤٩ / ٣ .

● سمعتا من ثق به من العرب^(١) ١٣٩ / ٤ .

(١) يدل اهتمام سيويه وحرصه على سماع اللغة النقية الصافية من أفواه العرب الفصحاء على أنه رحل إلى يتابع اللغة، يجمع منها ما يستطيع حتى تعينه على استخراج قواعده وأحكامه .

ومن النوع الثانى وهو السماع غير المباشر عن العرب، يقول :

- هذه حجج سمعت من العرب وعن يوثق به، يزعم أنه سمعها من العرب.
٢٥٥/١ .
- وزعم أبو الخطاب أنه سمع بعض العرب الموثوق بهم ٣٠٤/١ .
- وزعم من نثق به أنه سمع رؤية يقول . ١١٣/٢ .
- سمعناه عن يرويه عن العرب الموثوق بهم. ٣٣٦/٢ .
- وزعم من يوثق به ، أنه سمع من العرب من يقول . ٢٦٥/٣ .
- وزعم أبو الخطاب أنه سمع من يوثق به من العرب. ٢٩٤/٣ .

التحديث (حدثنا) :

وهى عبارة ترتبط بمصطلح الحديث، وتبين مدى اهتمام العلماء بتتبع سلسلة السند حتى تصل إلى راويها الأول .

وقد اهتم سيبويه أن يكون المحدث من أهل الثقة والصدق فى القول،
يقول :

- وحدثنا من لا نتهم أنه سمع من العرب من يقول . ٤٧٢/٤، ٢٤٥/١ .
- وحدثنا من يوثق به أن بعض العرب قيل له ... ٢٥٥/١ .
- وحدثنى من لا اتهم عن الخليل أنه سمع أعرابيا يقول . ٢٧٩/١ .
- وحدثنا الخليل أنه سمع من العرب من يوثق بعربيته . ١١٠/٢ .
- وحدثنى أبو الخطاب أنه سمع من يوثق بعربيته من العرب . ١١١/٢ .

- حدثنا يونس وعيسى أن بعض العرب الموثوق بعربيته يقول . ٣١٩/٢ .
- حدثنا أبو الخطاب « أنه سمع من العرب الموثوق بهم » ٣٢٩/٢ ،
- ٥٤٦/٣ .

- وحدثنا يونس أن بعض العرب الموثوق بهم يقولون . ٣٣٧/٢
- وحدثني من لا أنهم عن رجل من أهل المدينة موثق به ، أنه سمع
أعرايا يتكلم ... ١٥٢/٢
- وحدثنا من نق به أن ... ٣٣٦/٣
- وحدثني من أتق به أنه سمع عربيا ١٧٢/٤
- وحدثنا أبو الخطاب ويونس أن بعض من يوثق بعربيته من العرب .
- ١٨٣/٤

الإخبار (أخبرني) :

- أخبرني من أتق به أنه يقول ٤٦٢/٣ .

التبليغ (بلغني) :

- وبلغني عن العرب الموثوق بهم أنهم يقولون ... ٣٥٩/٢
- وبلغنا أن أهل المدينة . ٥٠ /٣

فقد تأثر سيويه بأهل الحديث تأثراً واضحاً في طريقة جمعه اللغة فأخذها عن ذوي الثقة والأمانة ، فقد روى كثيراً عن أساتذته وهم أهل الثقة والعدل منهم : الخليل بن أحمد ، وأبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري ، وكان من رواة الحديث ، عرف بالثقة والأمانة في الحديث واللغة .

ويدو أن سيبويه كان إذا قال : حدثني من أثق بعريته فلأنما كان يعنى أبا زيد الأنصارى ، يقول أبو الطيب اللغوى « وقد أخذ عن أبي زيد اللغة أكابر الناس ، منهم سيبويه وحسبك . قال أبو حاتم عن أبي زيد : كان سيبويه يأتى مجلسى وله ذؤابتان . قال : فإذا سمعته يقول « حدثني من أثق بعريته » فلأنما يريدنى «^(١)» .

وفى رواية ابن قتيبة « فلأنما يعنينى »^(٢) .

ولمكانة سيبويه العلمية ، كان أبو زيد يرى أن رواية سيبويه عنه تعد نوعا من الفخرو والاعتزاز بين العلماء يقول السيرافى : « وذكر أبو زيد النحوى كالمفتخر بذلك بعد موت سيبويه قال : كل ما قاله سيبويه وأخبرنى الثقة فأنما أخبرته »^(٣) .

ويدو أن أبا زيد الأنصارى كان معروفا بالثقة بين علماء عصره ، فقد ذكر يونس أنه من أهل الثقة ، يقول السيوطى : « وكان يونس يقول : حدثنى الثقة من العرب ، فقليل له : من الثقة ؟ قال : أبو زيد . قيل له : فلم لا تسميه ؟ قال : هو حى بعد فأنما لا أسميه »^(٤) .

ولقد حرص علماء اللغة بعد سيبويه على توثيق المادة اللغوية فاهتموا بالبحث عن أحوال اللغات ورواتها متأثرين فى ذلك بمنهج المحدثين ، فاستعملوا بعض مصطلحات علماء الحديث كالأحاد ، والمرسل والمنقطع .

(١) أبو الطيب اللغوى ، مراتب النحويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر بالقاهرة ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م . ص ٧٤ .

(٢) الأزيدى ، طبقات النحويين واللغويين ، ص ٦٧ .

(٣) السيرافى | أبو سعيد الحسن بن عبد الله | أخبار النحويين البصريين ، تحقيق طه محمد الزينى ، محمد عبد المنعم خفاجى ، مصطفى البابى الحلبي بمصر ، ط الأولى ، ١٣٧٤هـ ، ١٩٥٥م ص ٣٧ .

(٤) السيوطى ، كتاب الاقتراح فى علم أصول النحو ، ص ٧٤ وانظر الزهر فى علوم اللغة وأصولها للسيوطى ج ١ ص ١٤٣ .

صحيح أن درجات النقل اللغوى لم تتنوع كشأنها لدى المتحدثين، فهو لاء قد وجدت لديهم أنواع كثيرة ذات ألقاب مختلفة كالأحاد، والغريب، والمرسل، والمنقطع، والمتصل والمرفوع^(١).

وقد قسم أبو البركات الأنبارى النقل الصحيح للكلام العربى الفصيح إلى قسمين : تواتر وآحاد . فأما التواتر فلغة القرآن، وماتواتر من السنة وكلام العرب وهذا القسم دليل قطعى من أدلة النحو . وأما الأحاد فما تفرد بنقله بعض أهل اللغة وأن يكون ناقله عدلا رجلا كان أو امرأة حرا كان أو عبدا، كما يشترط فى نقلها ما اشترط فى نقله، فإن كان ناقل اللغة فاسقا لم يقبل نقله^(٢).

ويقول أيضا : «واعلم أن أكثر العلماء ذهبوا إلى أن شرط التواتر أن يبلغ عدد النقلة إلى حد لايجوز على مثلهم الاتفاق على الكذب كنقلة لغة القرآن وما تواتر من السنة وكلام العرب، فإنهم انتهوا إلى حد يستحيل على مثلهم الاتفاق على الكذب»^(٣).

ونلاحظ أن أبا البركات الأنبارى متأثر بطريقة أهل الحديث ومصطلحاتهم فى كلامه عن النقل اللغوى وانقسامه إلى تواتر وآحاد.

(١) د. عبد الصبور شاهين، دراسات لغوية، ص ٧٤.

(٢) السيوطى، كتاب الاقتراح فى علم أصول النحو، ص ٨٥ ، ٨٦ . وانظر له الزهر فى علوم اللغة حققه محمد أحمد جاد المولى وآخرين، عيسى البابلى الحلبي بالقاهرة، بدون تاريخ . ج١ ص ١٣٨ .

(٣) السيوطى، الزهر فى علوم اللغة وأنواعها ج١ ص ١١٤ .

بين مصطلح الحديث ومصطلحات التعيد عند سيويه :

أولاً : مصطلح الحديث :

عنى علماء الحديث بما سموه « مصطلح الحديث »^(١)، وعرفوه كذلك باسم « الاصطلاح » .

« وكلمة (اصطلاح) تعنى الكلمات المتفق على استخدامها بين أصحاب التخصص الواحد للتعبير عن المفاهيم العلمية لذلك التخصص، وبهذا المعنى استخدمت أيضاً كلمة (مصطلح) »^(٢).

فقد اتفق علماء الحديث كغيرهم من علماء العلوم الأخرى على استخدام كلمات محددة ذات دلالة معينة للتعبير عن المفاهيم التى يريدونها من علم الحديث .

أقسام الحديث :

وضع علماء الحديث بعض المصطلحات التى تشير إلى نوع الحديث من حيث الصحة أو الضعف ، وكان الحديث فى عصر الإمام أحمد بن حنبل وقبل الترمذى ينقسم إلى قسمين هما :

أ - الصحيح ب - الضعيف .

ثم جاء أبو عيسى الترمذى وجعل الحديث ثلاثة أقسام هى : الصحيح ، والحسن ، والضعف . فالترمذى هو أول من قسم الحديث إلى الأقسام الثلاثة

(١) ويطلق عليه أيضاً « علم مصطلح الأثر » ، وعلم أصول الحديث ، وعلم الحديث دراية ، وعلوم الحديث . انظر عبد الوهاب عابد اللطيف ، المتصر من مصطلحات أهل الأثر ، مطبعة الفجالة بالقاهرة . ط . الأولى ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م ص ٤ - ٥ .

(٢) د . محمود فهمى حجازى ، الأسس السلفية لعلم المصطلح ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة ، د . ت ص ٨ .

السابقة، «ولم تعرف هذه القسمة عن أحد قبله»^(١).

ثم وضع أهل الحديث بعض المصطلحات تحت المسميات الثلاثة السابقة .
ونتناول هنا مصطلحات الحديث على النحو التالي :

١ - الصحيح :

المعنى اللغوي :

صَحَّ الشَّيْءُ يَصْحُ صُحًا وَصِحَّةً وَصَحَّاحًا : برئ من كل عيب أو ريب
يقال: صحَّ المريض وصَحَّ الخبر، وصَحَّت الصلاة ، وصَحَّت الشهادة، وصحَّ
العقد فهو صحيح .

والصحيح : السليم من العيوب والأمراض^(٢)، والصحيح من الشعر:
ماسلم من النقص^(٣).

المعنى الاصطلاحي :

الصحيح : «هو الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن
العدل الضابط إلى متناه، ولا يكون شاذًا ولا معللاً»^(٤).

ويقول عنه ابن كثير « حد الصحيح أنه المتصل سنده بنقل العدل الضابط
عن مثله حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ ، أو إلى متناه ، من صحابي أو من

(١) ابن تيمية ، أبو العباس أحمد، علم الحديث ، تحقيق وتعليق موسى محمد علي ، عالم الكتب
بيروت، ط الثانية ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م : ص ٨٢ .

(٢) المعجم الوسيط مادة : صحح . .

(٣) لسان العرب مادة : صحح .

(٤) ابن الصلاح ، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٣٩٨هـ -
١٩٧٨م ص ٧ - ٨ .

دونه، ولا يكون شاذاً ولا مردوداً، ولا معللاً بعلّة قادحة، وقد يكون مشهوراً أو غريباً^(١).

فالحديث الصحيح لابد أن تتوافر فيه بعض الشروط حتى يصح أن يطلق عليه مصطلح الصحة، وهذه الشروط هي :

١ - اتصال السند : أى يكون كل راو أو كل رجل من رجال الإسناد قد روى عن قبله وهكذا من أول الإسناد إلى آخره حتى يصل إلى رسول الله ﷺ .

٢ - عدالة الراوى : والمراد بعدالته أن يكون موثقاً به فى دينه وذلك بأن يكون مسلماً بالغاً عاقلاً سالماً من أسباب الفسق .

٣ - ضبط الراوى : والمراد بضبطه أن يكون موثقاً به فى روايته، وذلك بأن يكون الراوى حافظاً متيقظاً لما يرويه، حافظاً لروايته إن كان يروى من حفظه، وضابطاً لكتابه إن كان يروى من الكتاب .

٤ - أن يكون الحديث خالياً من الشذوذ، والشذوذ هو مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه وأرجح، فيجب ألا يخالف الثقة من هو أوثق وأرجح منه من الرواة .

٥ - ألا يكون الحديث معللاً بعلّة قادحة، والعلّة وصف خفى يقدر فى قبول الحديث، ويكون ظاهره السلامة منه^(٢).

فالصحيح من الحديث ما اجتمع فيه شروط الصحة وهى اتصال السند، وعدالة الراوى وضبطه، وخلا من الشذوذ ومن العلّة، فإن فقد الحديث شرطاً من الشروط السابقة خرج من أن يكون صحيحاً، وانتقل إلى نوع آخر

(١) ابن كثير، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث - ص ٢٩ .

(٢) انظر د. أحمد عمر هاشم، أضواء على مصطلح الحديث، ص ٥٢ - ٥٥ .

هو الحسن أو الضعيف .

فهناك علاقة بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى وهى الخلو من النقص والعيوب .

وينقسم الحديث الصحيح - من حيث السند والنص إلى قسمين هما :

أ - صحيح لذاته . ب - صحيح لغيره .

أ - صحيح لذاته :

وهو الحديث الذى اشتمل على أعلى صفات القبول وهى :

- اتصال السند .
- عدل الراوى وضبطه
- خلوه من الشذوذ والعلة

فالصحة هنا نابعة من ذاته ، أى من السند والمتن لامن حديث آخر خارج عنه .

ب - صحيح لغيره :

وهو الحديث الذى قصر شرط ضبطه ، بأن كان غير تام الضبط ، وهو الحديث الحسن الذى جبر قصوره عن طريق تعدد الروايات ، فانتقل إلى مرتبة الصحة ، غير أن هذه الصحة جاءت من طريق آخر فسمى صحيحاً لغيره^(١) ، فالحديث هنا هو :

الحديث الحسن لذاته + تعدد طرق الرواية
بشرط الاتصاف بالصدق ← صحيح لغيره .

(١) انظر ، د . أحمد عمر ماشم ، أضواء على مصطلح الحديث ص ٦٢ .

فقد صحح لأمر خارج عنه ، فالحسن لذاته إذا روى من وجه آخر انتقل إلى مرتبة الصحيح ، لأنه قوى من الجهتين ، لأن راوى الحديث الحسن متأخر «عن درجة أهل الحفظ والإنقاذ غير أنه من المشهورين بالصدق والستر، وروى مع ذلك حديثه من غير وجه، فقد اجتمعت له القوة من الجهتين ، وذلك يرقى حديثه من درجة الحسن إلى بدرجة الصحيح»^(١).

وقد ساوى بعض العلماء بين الجيد والصحيح من جهة الإسناد «فالجودة قد يعبر بها عن الصحة، فيساوى حيثن الجيد و الصحيح كالذى نرى فى قول أحمد بن حنبل ، وهو يتحدث عن أصح الأسانيد : (أجود الأسانيد الزهرى عن سالم عن أبيه)»^(٢).

والحديث الصحيح يوصف بأوصاف منها :

- المسند .
- المتصل .
- المتواتر
- الأحادي.
- الغريب
- المشهور.

« فالحديث الصحيح يسمى « غريبا » إذا تفرد براويته واحد ثقة، وتكون غرابته فى المتن تارة وفى الإسناد تارة أخرى، ويسمى «مشهورا» إذا اشتركت جماعة فى روايته عن الشيخ الثقة»^(٣).

وهذه الأوصاف السابقة بالإضافة إلى أوصاف أخرى^(٤) مثل : جيد، مجود، وقوى، وثابت ، ومحفوظ ، ومعروف . وصالح، ومستحسن ،

(١) ابن الصلاح ، مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث ص ١٧ .

(٢) د. محمد أديب صالح ، لمحات فى أصول الحديث ، ص ١٨٩ .

(٣) د. صبحى الصالح ، علوم الحديث و مصطلحه ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

(٤) هذه الأوصاف يوصف بها الحديث الحسن أيضا .

لاتقل من دقة مصطلح «الصحيح» ، «فليس من الضروري أن يحمل المصطلح كل صفات المفهوم الذي يدل عليه»^(١).

فمصطلح «صحيح» عندما يطلق على الحديث إنما يعنى صحة الحديث متناً وسنداً ، والمصطلح هنا مكون من كلمة واحدة ، وهى أقوى من عبارة : صحيح الإسناد .

مضاف + مضاف إليه .

إذ إن هذه العبارة « تعنى صحة السند من غير أن تستلزم صحة المتن ، لجواز أن يكون فى المتن شذوذاً أو علة »^(٢).

لأن المصطلح فى هذه الحالة السابقة قد أشار إلى صحة السند دون صحة النص ، فالعبارة حددت مفهوم الصحة فى جانب دون الآخر ، أما إطلاق كلمة صحيح دون قيد ، فإن ذلك يعنى تحقق الصحة فى كل من السند والنص معاً.

ب - الحسن :

المعنى اللغوى :

حَسَنٌ يَحْسُنُ حُسْنًا : جَمُلٌ . فهو حَسَنٌ واستحسن الشئ : عده حسنًا^(٣).

(١) د. محمود فهى حجازى ، الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، ص ١٥ .

(٢) د. بكرى شيخ أمين ، فى أدب الحديث النبوى ، ص ٨٥ .

(٣) المعجم الوسيط مادة : حسن .

المعنى الاصطلاحي:

الحسن فى اصطلاح الترمذى هو « ماروى من وجهين ، وليس فى رواته من هو متهم بالكذب ، ولا هو شاذ مخالف للأحاديث الصحيحة »^(١).

ويروى عن أبى سليمان الخطابى أن الحسن « ما عرف مخرجه واشتهر رجاله وقال وعليه مدار أكثر الحديث وهو الذى يقبله أكثر العلماء ، ويستعمله عامة الفقهاء »^(٢).

ويرى ابن الصلاح أن التعريفين السابقين للحديث الحسن لا يتضح فيهما الفرق بين الحسن والصحيح فيقول « وليس فيما ذكره الترمذى والخطابى ما يفصل الحسن من الصحيح وقد أمعنت النظر فى ذلك والبحث جامعا بين أطراف كلامهم ملاحظا مواقع استعمالهم ، فتفتح لى واتضح أن الحديث الحسن قسمان :

أحدهما : الحديث الذى لا يخلو رجال إسناده من مستور لم تتحقق أهليته ، غير أنه ليس مغفلا كثير الخطأ فيما يرويه ، ولا هو متهم بالكذب فى الحديث ... ويكون متن الحديث مع ذلك قد عرف بأن روى مثله أو نحوه من وجه آخر ... » .

الثانى : أن يكون راويه من المشهورين بالصدق والأمانة غير أنه لم يبلغ درجة رجال الصحيح ؛ لكونه يقصر عنهم فى الحفظ والإتقان ... »^(٣).

ويرى ابن كثير أنه قد عسر على أهل الحديث التعبير عن الحديث الحسن ؛ لأنه يقع وسطا بين الصحيح والضعيف ، واعترض على تعريف الخطابى السابق

(١) ابن تيمية ، علم الحديث ، ص ١٠١ .

(٢) ابن الصلاح ، مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث . ص ١٥ .

(٣) ابن الصلاح ، مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث . ص ١٥ - ١٦ .

فقال أما قول الخطابي بأن الحسن هو ماعرف مخرجه واشتهر رجاله « فالحديث الصحيح كذلك ، بل والضعيف »^(١).

مما سبق يمكن تعريف الحديث الحسن بأنه : ما اتصل سنده بنقل عدل خفيف الضبط ، وسلم من الشذوذ والعلة .

وبهذا يكون الحديث الحسن قد اشتمل على معظم شروط الحديث الصحيح ، غير أنه يخالفه في شرط الضبط والإتقان فإن العدل في الحديث الصحيح يتم بالضبط التام ، إلا أنه في الحديث الحسن يقل ضبطه ، فهو خفيف الضبط ، فالفرق بين الصحيح والحسن في شرط واحد هو الضبط ، أما باقى الشروط فتوجد فيهما معا بدرجة واحدة .

فهناك صلة بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحي للحديث الحسن ، وهى عدم وجود النقص والخلو من العيوب ، لأن الحديث الحسن يعد نوعاً من الصحيح عند بعض العلماء كالذهبي^(٢).

أقسام الحسن :

ينقسم الحديث الحسن إلى قسمين :

١ - حسن لذاته :

وسمى حسناً لذاته ، لأن الحسن ناتج من شئ فيه .

٢ - حسن لغيره :

وهو الذى فى إسناده مستور لم تتحقق أهليته ، وهو غير مغفل ، ولا كثير

(١) ابن كثير ، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، ص ٥٣ .

(٢) انظر د . صبحى الصالح ، علوم الحديث ومصطلحه ، ص ١٦٠ .

الخطأ في روايته، ولا متهم بالكذب ويكون متنه معضدا بمتابع أو شاهد^(١).

فأصل الحسن لغيره هو الحديث الضعيف، ثم يأتي ما يعضده فينتقل بسبب العاضد إلى مرتبة الحسن فهو على النحو التالي :

ضعيف + تعدد طرق روايته ← الحسن

فالحسن هنا من أمر خارج عنه، لذا سمي حسنا لغيره فشرط الضعيف هنا أن يكون راويه غير متهم بفسق أو كذب، فإذا روى من أوجه أخرى انتقل إلى الحسن، ولم يكن ضعفه لسوء حفظ راويه الصدوق الأمين، بل لأنه يرسل أو يدلس، أو لأنه مجهول، وموافقة الضعيف لفسق راويه أو كذبه لاتوصله إلى مرتبة الحسن^(٢).

فالضعيف يرتقى إلى درجة الحسن لغيره بأمرين هما :

أ - أن يروى من طريق آخر فأكثر على أن يكون الطريق الآخر مثله أو أقوى منه .

ب - أن يكون سبب ضعف الحديث إما سوء حفظ راويه، أو انقطاع في سنده أو جهالة في رجاله^(٣).

الجمع بين مصطلحين في مسمى واحد :

جمع الترمذى مصطلح « حسن » ومصطلح « صحيح » في عبارة واحدة فقال هذا حديث «حسن صحيح» ، ويرى ابن الصلاح في قول الترمذى السابق إشكالا « لأن الحسن قاصر عن الصحيح... ففى الجمع بينهما فى حديث

(١) انظر د. صبحى الصالح ، علوم الحديث ومصطلحه . ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٢) عبد الوهاب عبد اللطيف ، المختصر من مصطلحات أهل الأثر . ص ١٤ .

(٣) د. محمود الطحان . تيسير مصطلح الحديث ، مطابع دار التراث العربى . ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ،

واحد جمع بين نفى ذلك القصور وإثباته^(١).

والجواب عند ابن الصلاح على الإشكال السابق يتلخص فى نقطتين^(٢) هما:

١ - أن الحديث روى بإسنادين أحدهما إسناد حسن والآخر إسناد صحيح.

٢ - أن من « قال حسن صحيح » أراد بالحسن معناه اللغوى ، وهو ما تميل إليه النفس ولا يأباه القلب ، دون المعنى الاصطلاحى .

ويعترض ابن كثير على النقطة الأولى وهى القول بأن الحديث هنا قد روى بإسنادين أحدهما يقتضى الحسن والآخر يقتضى الصحة يقول « وهذا يردده فى بعض الأحاديث :

هذا حديث حسن صحيح ، لانعرفه إلا من هذا الوجه »^(٣). أى أن الحديث هنا ليس له إلا إسناد واحد.

ويرى ابن كثير أن عبارة « حسن صحيح » هى درجة من درجات المصطلح فهى تقع وسطا بين الصحيح والحسن.

يقول « فعلى هذا يكون ما يقوله فيه « حسن صحيح » أعلى رتبة عنده من الحسن ودون الصحيح ، ويكون حكمه على الحديث بالصحة المحضة أقوى من حكمه عليه بالصحة مع الحسن »^(٤).

فما تقدم تكون رتبة الحديث من حيث الصحة والحسن من الأعلى إلى الأدنى على النحو التالى :

(١) ابن الصلاح ، مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث ص ١٩ .

(٢) انظر المرجع السابق والصفحة نفسها .

(٣) ابن كثير ، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، ص ٦١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٦٢ .

١ - حديث صحيح .

٢ - حديث حسن صحيح .

٣ - حديث حسن .

وقد ذكر الترمذى بعض المصطلحات مصحوبة بالوصف مثل :

• صحيح غريب .

• حسن غريب .

• حسن صحيح غريب . والمقصود هنا أن الرواية جاءت من وجه واحد .

والغريب ما تفرد به واحد، والغرابة تكون فى المتن كما تكون فى الإسناد^(١)، فعبارة « حسن صحيح غريب » معناها أن الحديث حسن عند قوم، صحيح عند قوم آخرين^(٢).

وقد مزج الترمذى بين الجودة والحسن فى عبارة واحدة فقال : هذا حديث جيد حسن .

ويرى أن العبارة السابقة توقع الحديث فى مرتبة بين الحسن لذاته والصحيح ، فتكون رتبة الحديث الذى يقال عنه :

« جيد حسن » من حيث الصحة والحسن على النحو التالى :

• صحيح .

• جيد حسن .

• حسن لذاته .

(١) انظر ابن كثير . الباعث الحثيث فى شرح علوم الحديث . ص ٢٣٦ .

(٢) د. محمود الطحان ، تيسير مصطلح الحديث ، ص ٣٨ .

- فعبارة « جيد حسن » تعنى عند الترمذى ارتقاء الحديث « عن الحسن لذاته وتردده فى بلوغ الصحيح ، فهو حسن لذاته ، وصحيح لغيره ، وذلك يعنى أن التعبير بالجودة يشمل الحسن كالصحيح »^(١).

فكان عبارة « جيد حسن » تساوى عند الترمذى عبارة « حسن صحيح » فالعبارتان عنده فى مرتبة واحدة فهما تقعان بين الحسن لذاته والصحيح .

ج- الضعيف:

الحديث الضعيف هو « كل حديث لم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح ولا صفات الحديث الحسن »^(٢).

فتعريف الحديث الضعيف كما هو واضح فيما سبق تعريف سلبى أى أنه يعتمد على نفى صفات الحديث الصحيح وكذلك الحسن عن الحديث الضعيف ، فهو أدنى رتبة من الحديث الصحيح والحديث الحسن ، لفقده صفة أو أكثر من صفات الصحيح أو الحسن وهى :

- ١ - اتصال السند .
 - ٢ - العدالة والضبط .
 - ٣ - عدم الشذوذ .
 - ٤ - عدم العلة .
 - ٥ - أن يروى الحديث من وجه آخر ، إذا كان فى إسناده راو سئى الحفظ أو مستور لم تعرف أهليته غير متهم بالكذب ولا بكثرة الغلط .
- فإذا فقدت صفة أو أكثر من الصفات السابقة انتقل الحديث إلى مستوى

الضعف .

(١) د. صبرى الصالح ، علوم الحديث ومصطلحه . ص ١٦٢ .

(٢) ابن الصلاح . مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث . ص ٢٠ .

أقسام الحديث الضعيف:

ينقسم الحديث الضعيف إلى أقسام متنوعة باعتبار فقد صفته من صفات الصحة أو أكثر أو جميعها، ومن هذه الأقسام ما يلي :

الموضوع ، والمقلوب ، والشاذ^(١)، والمعلل، والمضطرب، والمرسل، والمنقطع، والمعضل^(٢).

وتستعمل بعض مصطلحات علم الحديث المتدرجة تحت مصطلح الضعيف في وصف الرواية اللغوية مثل المرسل ، والمنقطع .

فتوصف الرواية اللغوية أحياناً بالإرسال والانقطاع ، والمقصود منهما انقطاع مصدر النص وإرساله، وليس المراد أن النص «مرسل من النبي ﷺ» أو منقطع السند إليه، فلنا بصدد رواية حديث نبوي شريف ، وإنما هي رواية نص لغوي قد يكون مصدره أعرابياً معروفاً أو مجهولاً^(٣).

وقد ذكر بعض علماء الحديث أوصافاً أخرى للحديث المقبول من ذلك : الجيد ، والقوى . «والجودة قد يعبر بها عن الصحة، فيتساوى الجيد والصحيح إلا أن المحقق منهم لا يعدل عن الصحيح إلى الجيد إلا لئلا ينكته كان يرتقى الحديث عنده عن الحسن لذاته، ويتردد في بلوغه الصحيح»^(٤).

(١) قال الشافعي : الحديث الشاذ «هو أن يروى الثقة حديثاً يخالف ما روى الناس : وليس من ذلك أن يروى سالم يروى غيره» والمقصود بالناس هنا هم أهل الثقة . مقدمة ابن الصلاح ص ٣٦ ، والباحث الحديث شرح اختصار علوم الحديث ص ٧٩ .

(٢) ابن كثير ، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ص ٦٣ .

وانظر ، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ص ٢٠ .

(٣) د . عبد الصبور شاهين . دراسات لغوية . ص ٢٨ .

(٤) د : أحمد عمر هاشم ، أضواء على مصطلح الحديث ، ص ٩٦ .

فالجيد عند بعض علماء الحديث هو ما كان أقل درجة من الصحيح أى ما كان بين الحسن والصحيح ، وكذلك الحديث القوى .

مصادر التقعيد النحوى عند سيبويه :

اعتمد سيبويه على بعض المصادر اللغوية التى استمد منها قواعده وأحكامه ، وهى :

- القرآن الكريم ، وهو الأساس^(١) الأول فى الاستشهاد .
- الشعر والرجز .
- العبارات المروية^(٢) عن العرب . ومنها التى سمعها بنفسه أو سمعها ممن يوثق بسماعه من العرب .
- الأمثال .
- المسائل المفترضة . وهى التى صنعها سيبويه من أجل المحافظة على القواعد المقررة ، وكذلك العناية بظاهرة القياس اللغوى .
- الحديث النبوى الشريف^(٣) . وإن كان سيبويه لم يصرح بأنها أحاديث مروية عن الرسول ﷺ ، وقد كانت قليلة جدا بالنسبة لبقاى المصادر .

(١) د. خديجة الحديثى، دراسات فى كتاب سيبويه ، ص ١٤ .

(٢) انظر . على التجدى ناصف . سيبويه إمام النحاة ، عالم الكتب بالقاهرة ، ط الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م . ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٣) لم يذكر سيبويه سوى أربعة أحاديث . انظر د. مصطفى جطل ، نظام الجملة ، المؤسسة العلمية للوسائل التعليمية ، حلب ، ١٩٨٢م . ج ٢ ص ٤٧٣ . وانظر د. محمد حمادة عبد اللطيف ، الضرورة الشعرية فى النحو العربى ، مكتبة دار العلوم ١٩٧٩م ص ٣٩-٤٠ .

التقيد عند سيبويه :

اهتم سيبويه ببيان الصحيح وغير الصحيح من التراكيب اللغوية وسمى الصحيح أحيانا بالمستقيم، لبعده عن الانحراف اللغوي، وقد عنى فى صفحات كتابه بتوضيح المقصود من الاستقامة اللغوية وكذلك المحال منها .

والاستقامة عنده تعنى شيئين :

١ - الصحة التركيبية .

٢ - الصحة الدلالية المترتبة على الصحة التركيبية .

يقول سيبويه « هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة ، فمعه مستقيم حسن ، ومحال ، ومستقيم كذب ، ومستقيم قبيح وما هو محال كذب ، فاما المستقيم الحسن فقولك : أتيتك أمس ، وسأيتك غدا . وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول : أتيتك غداً وسأيتك أمس وأما المستقيم الكذب فقولك : حملت الجبل ، وشربت ماء البحر ونحوه ، وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ فى غير موضعه ، نحو قولك : قد زيدا رأيت ، وكى زيدا يأتيك . وأشباه هذا وأما المحال الكذب فأن تقول : سوف أشرب ماء البحر أمس ^(١) .

فالمستقيم عند سيبويه ثلاثة أقسام هي:

- مستقيم حسن .
- مستقيم كذب .
- مستقيم قبيح .

(١) سيبويه ، الكتاب ٢٥/١ - ٢٦ .


فالاول وهو المستقيم الحسن يمثل أعلى درجات الاستقامة، لاشتماله على الصحة التركيبية وكذلك الدلالية.

والصحة التركيبية تعنى عند سيويه الأتى :

- حسن اختيار الأصوات التى تتألف منها المفردات.
 - اختيار المفردات التى تتفق مع الوزن العربى.
 - حسن تأليف الكلام بوضع المفردات فى موضعها الصحيح.
 - مراعاة الوظائف النحوية التى تشغلها المفردات.
 - إقامة العلاقات المناسبة بين المفردات .
- ومثل لذلك بجملة .

أثيتك أمس . وسأتيك غداً .

فعل + فاعل + مفعول + ظرف



أما النوع الثانى وهو المستقيم الكذب ، فكذبه يرجع إلى مخالفة الصحة الدلالية من جهة الحقيقة .

ومثل له بقوله . حملت الجبل

وشربت ماء البحر .

فالاستقامة أى الصحة التركيبية بكل شروطها متمثلة فى المثالين السابقين، إلا أن الكذب يرجع إلى عدم استطاعة التكلم فعل الحدث على وجه الحقيقة، فلا يستطيع حمل الجبل ولا شرب ماء البحر. أما إذا حمل المعنى على المجاز، فالكلام مقبول حيثئذ.

والنوع الثالث وهو المستقيم القبيح، وقبحه يرجع إلى وضع الشئ فى غير موضعه أى مخالفة الاصل المحدد من قبل النحويين، وقد مثل له سيبويه بقوله :

● قد زيدا رأيت .

● كى زيدا يأتيك .

والتركيان السابقان خالفا قاعدة الاختصاص ، وكذلك قاعدة الترتيب بين العناصر اللغوية المكونة لهما .

فالاداتان : قد ، وكى . تختصان بالدخول على العنصر الفعلى فى الجملة ، فلا يمكن أن يقال :

● قد على .

أو - كى خالد .

فهذا مخالف للتركيب اللغوى ، فكسر قاعدتى الترتيب والاختصاص، أدبا إلى قبح التركيب .

فالقبح هنا لاعلاقة له بالمعنى المراد من التركيب، إنما يرتبط أساساً بعدم مراعاة المتكلم لحسن ترتيب العناصر المكونة للكلام. فهناك شروط محددة لصحة التركيب لابد من مراعتها حتى يوصف بالاستقامة الحسنة، فلو قال المتكلم : زيدا قد رأيت . لاستقام الكلام ووصف بالحسن.

أما وضع عنصر واحد أو أكثر فى غير موضعه فيؤدى إلى نقل التركيب إلى مستوى آخر هو المستقيم القبيح .

أما المحال فقد قسمه سيبويه قسمين هما :

● محال .

● محال كذب .

وعرف المحال من الكلام بأنه ما انتقض أول الكلام بآخره، ومثل له بقوله :

● أتيتك غداً .

● سأتيك أمس .

فقد انتقض الزمن بين أول الكلام وآخره في المثالين السابقين ولم يراع الزمن بين الفعل والظرف، لأنّ الظرف يتعلق بالفعل ولا بد من المطابقة الزمنية بينهما .

ففي المثال الأول يدل الفعل على وقوع الحدث في الزمن الماضي ثم جاء الظرف معبرا عن زمن الاستقبال ، فحدث تناقض زمني بين الظرف ومتعلقه ، فادى ذلك التناقض إلى استحالة قبول التركيب .

والاستحالة هنا ترتبط بعدم مراعاة حسن اختيار المفردات الدالة على الزمن واتفاقه بين عناصر التركيب .

فلو قال قائل :

أتيتك أمس .

وسأتيك غداً .

لاصبح التركيب - بعد مراعاة الزمن بين عناصره - مستقيماً حسناً .

والمحال الكذب هو ما تحقق فيه شيان :

أ - عدم مراعاة اتفاق الزمن بين عناصر التركيب .

ب - عدم تحقق الفعل (الحدث) على وجه الحقيقة .

ومثل سيويه لذلك بقوله :

● سوف أشرب ماء البحر أمس .

فالفعل المضارع «أشرب» قد سبق بالأداة « سوف » فدل على الاستقبال ، ثم جاء الظرف « أمس » الذى يدل على الماضى ، وهو يتعلق بالفعل « أشرب » أى يرتبط به معنويا ، فأدى هذا التناقض الزمنى إلى جعل التركيب من النوع المحال .

ثم أضيف إلى كسر قاعدة الاتفاق الزمنى بين الفعل والظروف عدم استطاعة المتكلم تحقيق الحدث ، وهو شرب ماء البحر على وجه الحقيقة ، فأصبح التركيب لذلك من النوع المحال الكذب .

فقد فرق سيويه فى الأمثلة السابقة بين نوعين من الكلام .

أ - المستقيم ، وهو الصحيح نحويا ودلاليا .

ب - المحال ، وهو مالا يمكن تحقيقه فى الواقع ، لفقده بعض شروط الصحة اللغوية .

وهذه التقسيمات اللغوية للمستقيم والمحال من الكلام ، والتي ذكرها سيويه فى أول صفحات كتابه « لم يعد إليها فيما بعد فى الكتاب ، لأن هذه المتابعات الصوتية التى تؤلف جملا غير صحيحة دلاليا مثل :

● أنتيك غدا .

● وسأتيك أمس .

● وحملت الجبل ...

ليس لها معنى مفيد، وينبغي أن يتوجه الجهد والاهتمام والعناية إلى ماله معنى من الكلام»^(١).

وقد عاد سيويه إلى هذه الأحكام منفردة فتحدث عن المستقيم، والمحال. فنراه ينظر إلى المعنى المراد من الكلام، ويحكم على الكلام بالاستقامة من خلال هذا المعنى المراد، ففي قولك :

والله إن أتيتني آتيك

يكون آتيك على معنى النفي أى : لا آتيك، أما إن كان على إرادة الإتيان فلا يجوز ، يقول سيويه : «فإن أردت أن الإتيان يكون ، فهو غير جائز ، وإن نفيت الإتيان، وأردت معنى لا آتيك فهو مستقيم»^(٢).

فلاستقامة هنا ترجع إلى أن معنى النفي مفهوم من السياق، لأن الإثبات يقتضى تأكيد الفعل باللام والنون، لانه واقع فى جواب قسم ، فلما لم يات الفعل مؤكدا علم أنه منفى، وإسقاط حرف النفي « لا » فى جواب القسم جائز فى الكلام.

كما تحدث سيويه أيضاً عن الكلام المحال ، وربط حكم محال^(٣) ببعض الظواهر اللغوية ومنها :

أ - الاختصاص.

ب - تناقض الدلالة الزمنية .

(١) د. محمد حسامه عبد اللطيف ، النحو والدلالة، مطبعة المدينة دار السلام القاهرة ط الأولى ١٩٨٣ ، ص ٨٣ - ٨٤ .

(٢) سيويه ، الكتاب ، ٨٤/٣ .

(٣) انظر سيويه، الكتاب ٨١/٢، ١٧٧، ١٨٤، ١٨٧، ٣٣١، ٣٦٢، ٣٩٥.

١٦٩ ، ١٤٤، ١٠٣، ٩٧، ٨٨، ٨٤، ٧٢، ٢٦/٣ .

١- الاختصاص:

تختص اللام وحتى بالدخول على الأسماء وجرها ، عند سيويه ، فإذا وقع الفعل بعدهما منصوبا ، كان النصب بـ « أن » مضمرة ، لعدم اختصاصهما بالدخول على الأفعال في مثل :

● جئتكَ لتفعل .

● جئتكَ حتى تفعل .

يتنصب الفعل بعد اللام وحتى بـ « أن » مضمرة ، وإلا كان الكلام محالا .

يقول سيويه : « فلما انتصب هذا بـ « أن » وأن ههنا مضمرة ، ولو لم تضمرها لكان الكلام محالا ، لأن اللام وحتى يعملان في الأسماء فيجران » ^(١) .

فوصف التركيب السابق بالمحال دون مراعاة للواقع اللغوي المنطوق ، والاهتمام بتقدير أداة أخرى ناصبة ، سببه التمسك بظاهرة الاختصاص .

ب- تناقض الدلالة الزمنية :

يجب اتفاق عناصر التركيب في الدلالة الزمنية التي تشير إليها فإن جاء عنصر يخالف العناصر الأخرى زمنيا ، أدى هذا التناقض إلى دخول التركيب في دائرة المحال

مثل : والله ما أعدو أن جالسك غدا .

والله ما أعدو أن أجالسك أمس .

فالتناقض في الزمن بين الفعل والظرف في المثالين السابقين جعل سيويه يصفهما بالمحال ^(٢) .

(١) المرجع السابق ، ٦/٣ .

(٢) انظر سيويه ، الكتاب ، ٥٥/٣ .

الاحكام النحوية عند سيويه :

من الاحكام النحوية التى وضعها سيويه مصطلح « جيد » وأحيانا يستعمل صيغة التفضيل فيقول « أجود » . ونرى سيويه يفاضل بين حالتين من الإعراب فيصف إحداهما بأنها أجود من الأخرى .

ففى قوله تعالى ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾^(١) ، برفع كلمة « ثمود » ، وقراءة بعضهم ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ بالنصب .

يعلق سيويه قائلاً « والنصب عربى كثير والرفع أجود »^(٢) .

وكان سيويه هنا يفضل عدم التقدير ، لأن فى حالة رفع كلمة ثمود لانتاج إلى تقدير عامل الرفع ، لأن الكلمة تشغل وظيفة « المبتدأ » فلا نحتاج إلى عامل لفظى ، وذلك على النحو التالى :

فاما ثمودُ فهديناهم

مبتدأ فعل + فاعل + مفعول



وجوده هذه الحالة الإعرابية عند سيويه ترجع إلى تعدى الفعل إلى ضمير الاسم المتقدم ، فقد أخذ الفعل مفعوله ، فصح أن يبنى على الاسم ويشغل وظيفة الخبر .

أما فى حالة النصب فلا بد من البحث عن عامل النصب وبالتالي اللجوء إلى التقدير ، والتقدير يبعد التركيب اللغوى عن روح اللغة ؛ لأنه فيه تكلف

(١) سورة فصلت من الآية ١٧ .

(٢) سيويه ، الكتاب ، ٨٢ / ١ .

فى البحث عن العامل ، وهو تقدير عامل من لفظ الفعل الموجود فى الجملة
ويكون المعنى المراد :

فأما ثمود فهدينا فهديناهم

وواضح مدى التكلف فى مثل هذا التقدير ، أما فى حالة الرفع فلا نحتاج
معهما إلى التقدير .

وفى قولهم : أئيميا مرة وقيسيا أخرى .

ينصب الاسم على فعل تقديره : التحول .

والنصب هنا الوجه ، لأن الاسم هنا معاقب للفظ بالفعل ولو رفع الاسم
فقال قائل :

أئيمى يريد : أنت

لكان الرفع هنا جيدا .

فالوجه والقياس هو نصب الاسم ، لأنه على اللفظ بالفعل ، ولورفع لكان
خبرا مبتدأ مضمرة تقديره « أنت » وهو جيد ^(١) .

فالاختيار هنا بين حالتين من الإعراب ، وهما يحتاجان إلى التقدير إلا أن
حالة النصب هى الوجه ، لوقوع كثير من المصادر منصوبة ، وكذلك الأسماء .

وقد ربط سيبويه مصطلح « جيد » أو بمعنى آخر حكم « جيد » بالحالة
الإعرابية ، ففى قوله تعالى :

﴿لَكِنَّ السَّارِصِينَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا
أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ ^(٢) .

(١) انظر سيبويه ، الكتاب ، ٣٤٧/١ .

(٢) سورة النساء من الآية ١٦٢

يقول سيويه : « فلو كان كله رفعا كان جيدا ، فأما المؤتون فمحمول على الابتداء »^(١) .

وفى قوله تعالى «وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ»^(٢) .

يقول سيويه^(٣) : « ولو رفع الصابرين على أول الكلام كان جيدا ، ولو ابتدأته فرفعته على الابتداء كان جيدا ، كما ابتدأت فى قوله «المؤتون الزكاة» .

وفى قولك : فيها رجل وقد أثنى آخر كريمين .

يقول سيويه : «ولو ابتداء فرفع كان جيداً»^(٤) .

والحالات الإعرابية التى يحكم عليها سيويه بالجودة هنا حالات غير موجودة فى البنية السطحية الظاهرة ، ولكن سيويه يرى أنها لو نطق بها لكانت جيدة أى : مقبولة من جهة الصحة النحوية . وكان سيويه يقوى أحيانا حكم الجودة ، لأنه عربى فكان يقول : وهو عربى جيد .

وقد ربط ذلك باتفاق الحالة الإعرابية مع توجيه المعنى يقول : «وتقول» أ أنت عبد الله ضربته . تجربه هاهنا مجرى : أنازيد ضربته .

لأن الذى يلى حرف الاستفهام أنت ، ثم ابتدأت هنا وليس قبله حرف استفهام ولا شئ هو بالفعل وتقديمه أولى . إلا أنك لو شئت نصبت كما تنصب زيدا ضربته . فهو عربى جيد ، وأمره ها هنا على قولك : زيد ضربته»^(٥) .

(١) سيويه ، الكتاب ٦٣/٢ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١٧٧ .

(٣) سيويه ، الكتاب ٦٤/٢ .

(٤) سيويه ، الكتاب ١٥١/٢ .

(٥) المرجع السابق ١٠٤/١ .

فالوجه هنا هو الرفع لعدم الحاجة إلى النصب، إلا أن النصب يجوز على الاشتغال أى على تقدير فعل يفسره المذكور فى الجملة، ويرى سيويه أن هذا الوجه أى النصب على إضمار فعل، هو عربى جيد .

والاسم المشغول عنه إن سبق بجملة فعلية فالأرجح والأحسن أن ينصب حتى يكون المعطف فيه نوع من الاتساق، وهو عطف جملة فعلية على جملة فعلية، مما يودى إلى تشاكل الجملتين وهو أحسن من تخالفهما، وذلك مثل :

● رأيت زيدا وعمرا كلمته .

● ورأيت عبد الله وزيدا مررت به .

«وإنما اختير النصب هاهنا، لأن الاسم الأول مبنى على الفعل، فكان بناء الفعل أحسن عندهم، إذ كان يبنى على الفعل، وليس قبله اسم مبنى على الفعل . . . وقد يستأد فيحمل على مثل ما يحمل عليه، وليس قبله منصوب وهو عربى جيد »^(١) .

وقد ربط سيويه بين الحكم بالجودة وظاهرة ترتيب عناصر الجملة، فالأصل فى ترتيب عناصر الجملة الفعلية ذات الفعل المتعدى أن تأتى على النحو التالى :

فعل + فاعل + مفعول به

مثل : ضرب زيد عمرا .

وقد يتطلب المعنى تقديم المفعول به على الفاعل فيصير النمط هو :

فعل + مفعول به + فاعل .

أو يقدم المفعول به على الفعل والفاعل فيصبح النمط هو :

مفعول به + فعل + فاعل .

(١) سيويه، الكتاب ج١ ص ٨٨، ٩٠ .

يقول سيبويه : « كما كان الحد ضرب زيد عمرا ... وإن قدمت الاسم فهو عربى جيد ، كما كان ذلك عربيا جيدا وذلك قولك : زيدا ضربت والاهتمام والعناية هنا فى التقديم والتأخير سواء مثله فى ضرب زيد عمرا وضرب عمرا زيد » (١).

وقد وصف سيبويه تقديم المفعول به على الفاعل لغرض معنوى وهو اهتمام وعناية العرب بالعنصر المتقدم .

ففى قولك : ضرب زيدا عبد الله

يقول سيبويه : « لأنك إنما أردت به مؤخرا ما أردت به مقدما ، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه ، وإن كان مؤخرا فى اللفظ .

فمن ثم كان حد اللفظ أن يكون فيه مقدما ، وهو عربى جيد كثير ، كأنهم إنما يقدمون الذى بيانه أهم لهم ، وهم يبيانه أعمى » (٢).

واستشهد سيبويه على كثرة ورود الاسم المنصوب قبل المرفوع بما جاء فى القرآن الكريم وذلك كقوله تعالى :

﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ (٣).

فقال : « وهو عربى جيد كثير » (٤).

وقد استعمل سيبويه حكم الجودة عند حديثه عن ظاهرة العامل ، ففى باب ظن وأخواتها ، يكون الفعل قويا من جهة التأثير الإعرابى إذا تقدم على عناصر الجملة ، وكلما تأخر الفعل ضعف عمله ، فإذا توسط الفعل بين مفعولين جاز الإلغاء والإعمال ، وإذا تأخر عنهما كان الإلغاء أقوى .

(١) المرجع السابق ١/ ٨٠ - ٨١ .

(٢) سيبويه ، الكتاب ١/ ٣٤ .

(٣) سورة الإخلاص / الآية ٤ .

(٤) انظر سيبويه ، الكتاب ١/ ٥٦ .

يقول سيويه : فإن ألغيت قلت :

عبد الله أظن ذاهب .

... وكلما أردت الإلغاء فالتأخير أقوى . وكل عربى جيد « (١) » .

وقد وصف سيويه حكم الجودة بالحسن فى بعض المواضع ففى قولك :

● سير عليه سيرا .

● وانطلق به انطلاقا .

يرى سيويه أن الاسم المنصوب فى المثالين السابقين يجوز فيه وجهان من

الإعراب هما :

١ - الحالية .

٢ - المفعولية المطلقة .

وكانك قلت فى الوجه الثانى ، يسيرون سيرا ، وينطلقون انطلاقا ،

فالمصدر صار هنا « بدلا من اللفظ بالفعل ... وهو عربى جيد حسن » (٢) .

ومن الأحكام النحوية التى استعملها سيويه مصطلح « حسن » .

وقد ذكره عند حديثه عن ظاهرة العامل ، ففى باب الاشتغال الذى يعالج

ظاهرة العامل والمعمول ، يرى سيويه أن الفعل المتعدى إذا انشغل بضمير

الاسم المتقدم عليه ، جاز أن يبنى على ذلك الاسم ، أى أن يشغل وظيفة

الخبر ، فالذى حسن وقوع الفعل خبرا هو اتصاله بضمير الاسم المتقدم ، يقول

سيويه « فإذا بنيت الفعل على الاسم قلت :

زيد ضربته

(١) سيويه ، الكتاب ، ١ / ١١٩ .

(٢) للمرجع السابق ، ١ / ٢٣١ .

فلزمته الهاء . وإنما تريد بقولك مبنى عليه الفعل أنه فى موضع منطلق إذا قلت : عبد الله منطلق . . . وإنما حسن أن يبنى الفعل على الاسم حيث كان معملا فى المضمير وشغلته به ، ولولا ذلك لم يحسن ، لأنك لم تشغله بشئ^(١) .

فعدم الحسن يرجع إلى عدم اتصال الفعل بضمير الاسم المتقدم مثل :

زيد ضربت

وهنا لا يجوز رفع الاسم المتقدم ، لأن الفعل يطلبه ، وكذلك لأنه لم يشغل بضميره ، لذلك يجب أن يقال :

زيدا ضربت

بالنصب ، ولا يجوز الرفع ، وعصطلح سيويه لا يحسن الرفع . ويرى سيويه أن العامل إذا تقدم حسن عمله ، وأنه إذا تأخر حسن إلغاؤه .

ففى مثل :

- ما كان فيها أحد خير منك . { فيها هنا تكون مستقرا أى خيرا } .
 - ما كان أحد خيرا منك فيها . { فيها هنا ملغاة ، والخير هو «خيرا» }
- فالحسن إنما يكون فى تقديم مايراد عمله ، ويكون فى تأخير مايراد إلغاؤه . يقول سيويه : « وتقول : ما كان فيها أحد خيرا منك . . .

إذا جعلت فيها مستقرا . . . وما كان أحد خيرا منك فيها إلا أنك إذا أردت الإلغاء ، فكلما أخرت الذى تلغيه كان أحسن ، وإذا أردت أن يكون مستقرا نكتفى به فكلما قدمته كان أحسن^(٢) .

(١) سيويه ، الكتاب ، ٨١ / ١ .

(٢) المرجع السابق ٥٥ / ١ - ٥٦ .

فسيبويه يسمى الظرف الواقع خبرا مستقرا، لأنه يقلد باستقر، وإن لم يكن خبرا سماه لغوا.

وقد ربط سيبويه بين حكم « حسن » وبين الإعراب فاستعمل صيغة التفضيل « أحسن » ليفاضل بها بين حالتين من الإعراب ففى قولك :

● رأيتك قلت ذاك أنت وزيد.

يجوز رفع الاسم بالمعطف على الضمير المرفوع « أنت » وفى قولك :

● رأيتك قلت ذاك وزيدا .

« فالنصب أحسن ، لأن المنصوب يعطف على المنصوب المضمّر ، ولا يعطف على المرفوع المضمّر »^(١).

فالمشكلة بين المعطوف والمعطوف عليه هى التى حسنت الحالة الإعرابية الثانية وهى النصب ، لاتفاق المعطوف والمعطوف عليه فى الحالة الإعرابية .
ويفضل سيبويه حالة النصب على الرفع فى قول العرب :

من أنت زيدا

● ومن أنت زيد . ويرى أن النصب على إعمال الفعل ، لأن الاسم هنا مفعول به لفعل محذوف، أما الرفع فعلى أن يكون الاسم خبرا لمصدر محذوف ليس له ، وهو قليل .

يقول سيبويه : « وإنما قل « الرفع لأن إعمالهم الفعل أحسن من أن يكون خبرا لمصدر ليس له »^(٢).

ويفاضل سيبويه بين حالة الرفع وحالة النصب فى قولهم :

(١) سيبويه، الكتاب ، ٢٧٨/١ .

(٢) المرجع السابق ٢٩٢/١ .

الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير .

وقول بعضهم : الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخيراً .

يقول : « والرفع أكثر وأحسن . . . » ، لأنك إذا أدخلت الفاء فى جواب الشرط استأنفت ما بعدها ، وحسن أن تقع بعدها الأسماء » ^(١) .

فسيبويه يرى أن الفاء من معانيها الاستئناف فإذا ربطت الفاء بين الشرط والجواب حسن أن ترفع بعدها الأسماء .

● وفى قولك : زيد مررت به .

وزيدا مررت به .

اختار سيبويه حالة الرفع ، لأنها أقرب إلى المعنى المراد ، ولأنها تتفق مع السليقة اللغوية .

يقول سيبويه : « والرفع فى هذا أحسن وأجود لأن أقرب إلى ذلك أن نقول : مررت بزيد » ^(٢) .

فالضمير فى المثال السابق لم يتصل بالفعل ، ووصل الفعل إليه عن طريق « الباء » ، لأن الفعل هنا لازم لا يتعدى إلى الضمير بنفسه بل لابد من واسطة حرف الجر « الباء » .

فحالة الرفع هنا عند سيبويه ، هى الاحسن والأجود لعدم احتياجها إلى تقدير عامل ، عكس حالة النصب التى تحتاج إلى تقدير عامل خارج عن السياق .

كما استعمل صيغة التفضيل « أحسن » عند حديثه عن ظاهرة العامل ،

(١) سيبويه الكتاب ١/ ٢٥٨ .

(٢) المرجع السابق ١/ ٨٣ ، ٨٤ .

والغناء هذا العامل . فيرى أن الفعل فى باب « ظن » يمكن إلغاؤه إذا توسط بين المفعولين مثل : عبد الله أظن منطلق .

يقول : « فهذا أجمل من قولك أظنه ، وأظن بغيرهاء : أحسن لثلا يلتبس بالاسم ، وليكن أين فى أنه ليس يعمل »^(١) .

فسيبويه يرى عدم اتصال الفعل بضمير خوفا من الوقوع فى اللبس ، لأن وجود الضمير فى السفل يؤدى إلى عمل الفعل ، والمراد هنا الإلغاء عن طريق توسط العامل ، وخلو الفعل من الضمير يؤكد هذا الإلغاء .

وقد ربط سيبويه حكم « حسن » بتمام التركيب لإفادة المعنى المراد .

ففى قولك : كان رجل ذاهبا لم تقد السامع شيئا كان جهله ولو قلت : كان رجل من آل فلان فارسا .

حسن ، لأنك أعلمت السامع أنه من آل فلان وقد جهله ولو قلت : كان رجل من قوم عاقلا .

« لم يحسن ، لأنه لا يستكر أن يكون فى الدنيا عاقل وأن يكون فى قوم »^(٢) .

فالحسن فى التركيب اللغوى أساسه عند سيبويه إفادة معنى يحتاج إليه السامع ، وعدم إتمام المعنى يؤدى إلى خروج التركيب من دائرة الحسن كما يرتبط الحسن أيضاً بتمام التركيب فى قولك :

كان سيرى أمس حتى أدخلها .

إذا جعلت أمس « مستقرا » أى خبرا له كان .

(١) سيبويه ، الكتاب ١/ ١٢٥ .

(٢) المرجع السابق ١/ ٥٤ .

فهنا يجوز رفع الفعل بعد « حتى » ، لتمام البنية الأساسية للجملة.

يقول سيويه : « لأنه استغنى فصار كسرت ... ولا يحسن :

كان سيري فأدخل إلا أن تحيى بخبر له كان » ^(١).

فحذف عنصر أساسى من الجملة يخرجها من دائرة الحسن ، لعدم إفادة المعنى ، والا ستئناف بالرفع لايتأتى إلا بعد تمام عنصرى البنية الأساسية للتركيب.

وقد ارتبط الحسن أيضاً عند سيويه بتمام التركيب الإضافى ، لان التنوين وعدم إضافة بعض الأسماء فى بعض التراكيب يخرجها من دائرة الحسن ، وينعتها بعدم الجواز.

فالكلمات : خير ، وأفضل ، وأب ، وأى ، تنوينها وعدم إضافتها يخل بالمعنى المراد وبالتالي يخرج التركيب من دائرة الجواز والحسن.

يقول سيويه : « لو قلت »

هذا رجل خير

وهذا رجل أفضل

وهذا رجل أب

لم يستقم ولم يكن حسناً وكذلك أى لاتقول :

هذا رجل أى

فلما أضفتهم وأوصلت إليهن شيئاً حسنً وعمن به ، فصارت الإضافة وهذه اللواحق تحسنه » ^(٢).

(١) سيويه ، الكتاب ٣/ ٢٤ .

(٢) سيويه ، الكتاب ٢/ ٢٥ .

كما ربط سيبويه الحسن بعطف النسق، فعطف الاسم الظاهر على الضمير المرفوع يؤدي إلى خروج التركيب من دائرة الحسن، ووصفه بالقبح، لذلك يجب الفصل بينهما .

يقول سيبويه : « وأما ما يقبح أن يشركه المظهر فهو الضمير في الفعل المرفوع، وذلك قولك : فعلتَ وعبدُ الله وأفعل وعبدُ الله

فإن نعتَه حسن أن يشركه المظهر وذلك قولك : ذهبت أنت وزيد قال الله عز وجل (اذهب أنت وربك) وذلك أنك لما وصفته حسن الكلام حيث طوله وأكده . وقال عز وجل : (ولو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا) حسن لمكان لا^(١) .

فإطالة الكلام عن طريق التأكيد بضمير فصل مناسب أو بأي فاصل يؤدي إلى جواز التركيب والخروج من دائرة القبح .

ضعيف:

ومن الأحكام التي استعملها سيبويه عند تعميده ، حكم « ضعيف » ، فقد وصف بعض التراكيب بالضعف ، ودار الضعف ، في نقاط ثلاث هي :

١- حذف الضمير العائد على الاسم . وهو يرتبط في نفس الوقت بظاهرة التعدى.

يقول سيبويه : « ولا يحسن في الكلام أن يجعل الفعل مبنيا على الاسم ولا يذكر علامة إضمار الأول حتى يخرج من لفظ الإعمال في الأول ومن حال

(١) المرجع السابق ٣٧٨/٢ - ٣٧٩ .

(*) كما ربط سيبويه الحسن بعطف النسق ، فعطف الاسم الظاهر على الضمير المرفوع يؤدي إلى خروج التركيب من دائرة الحسن ، ووصفه بالقبح ، لذلك يجب الفصل بينهما .
يقول سيبويه : « وأما ما يقبح أن يشركه المظهر فهو الضمير في الفعل المرفوع ، وذلك قولك : فعلت وعبد الله وأفعل وعبد الله ، فإن نعتَه حسن أن يشركه ... »

بناء الاسم عليه، ويشغله بغير الأول حتى يمتنع من أن يكون يعمل فيه، ولكنه قد يجوز في الشعر وهو ضعيف في الكلام قال الشاعر :

قد أصبحت أم الخيار تدعى على ذنبا كله لم أصنع
فهذا ضعيف ^(١).

فالضعف هنا عند سيويه يرجع إلى احتياج الفعل العامل « أصنع » إلى معمول ينشغل به عن الاسم المتقدم المرفوع « كله » ، فلا يحتاج إليه ، أما خلو الفعل من الضمير العائد فيجعل الفعل في حاجة إلى الاسم الأول، ليعمل فيه النصب وخصوصا أن نصب كلمة « كله » لا يؤدي إلى كسر البيت بل يحافظ على وزنه.

ويقول سيويه : « فإن قلت : زيدكم مرة رأيت

فهو ضعيف ، إلا أن تدخل الهاء ، كما ضعف في قوله : كله لم أصنع ^(٢) .

فالضعف هنا سببه خلو العامل من معموله المنصوب لأن الفعل هنا متعد، ولم يأخذ معموله، واتصال الضمير بالفعل يخرج التركيب من دائرة الضعف إلى دائرة الحسن، كما يمكن أيضا أن يعد حسنا إذا نصب الاسم الأول، وأصبح معمولاً للفعل المتأخر تقول :

زيدا كم مرة رأيت .

فلا حاجة هنا للضمير، لأن الاسم المتقدم المنصوب صار معمولاً للفعل المتأخر .

(١) سيويه ، الكتاب ٨٥/١

(٢) المرجع السابق ١٢٧/١

وقد وصف سيبويه حذف الضمير العائد على الاسم بالقبح فى بعض المواضع يقول :

« فإن قلت : إن أفضلهم لقيت .

فنصبت أفضلهم بإن ، فهو قبيح حتى تقول لقيته »^(١).

فالفعل « لقى » فعل متعد يحتاج إلى معموله ، لئتم بناء التركيب نحوياً ، وكذلك يتم المعنى المراد منه .

ويرى الخليل بن أحمد أن أفضلهم منصوب به لقيت والمعنى عنده :

إنه أفضلهم لقيت

وبذلك يكون اسم إن ضميراً محذوفاً ، والجملة الفعلية فى محل رفع خبر إن . ويرى سيبويه أن ماذهب إليه الخليل غير حسن فى الكلام ولا يجوز إلا فى الشعر^(٢).

فسيبويه يرى أن سبب خروج التركيب من دائرة الحسن ، هو تقدير ضمير محذوف ليس له مرجع يعود إليه ، ويرى أن ذلك يمكن حدوثه فى المستوى الشعرى للكلام .

ب - الحالة الإعرابية :

ارتبط الضعف عند سيبويه بالحالة الإعرابية ، ففى قولك :

مازيد ذاهبا ولا محسن زيد

ضعيف أن تعطف بالنصب على خبر « ما » مع تكرار الاسم الأول الذى

يشغل وظيفة اسم « ما » .

(١) سيبويه ، الكتاب ، ٣٥٧/٢ .

(٢) انظر المرجع السابق والمصفحة نفسها .

فضعيف أن تقول في المثال السابق :

مازيد ذاهبا ولا محنا زيد فإن أضمرت الاسم الأول ، فقلت :

مازيد ذاهبا ولا محنا هو

خرج عن الضعف ، لأنك استغنيت عن الاسم بضميره . فإن كرر الاسم ولم يذكر ضميره كان الأجود والأحسن الرفع على الاستئناف ، وترك العطف بالنصب على الخبر .

تقول : مازيد ذاهبا ولا محسن زيد تشبيها للاسم بالأجنبي .

يقول سيبويه : « وتقول مازيد ذاهبا ولا محسن زيد ، الرفع أجود وإن كنت تريد الأول ، لأنك لو قلت مازيد منطلقا زيد لم يكن حد الكلام ، وكان وهنا ضعيفا ، ولم يكن كقولك : مازيد منطلقا هو لأنك قد استغنيت عن إظهاره وإنما ينبغي لك أن تضمره . ألا ترى أنك لو قلت : مازيد منطلقا أبو زيد ، لم يكن كقولك : مازيد منطلقاً أبوه ، لأنك قد استغنيت عن الإظهار ، فلما كان هذا كذلك أجرى مجرى الأجنبي واستؤنف على حاله حيث كان هذا ضعيفاً فيه » (١) .

فسبب الضعف عند سيبويه في المثال السابق يرجع إلى العطف بالنصب دون ذكر الضمير . ويخرج الكلام من دائرة الجودة عن طريقين :

الأول : رفع الاسم بعد الواو على الاستئناف إذا كرر الاسم الأول بعد المعطوف .

الثاني : العطف بالنصب على الخبر إذا ذكر ضمير الاسم المتقدم .

(١) سيبويه ، الكتاب ١/ ٦٢ .

ج- ظاهرة العامل :

إن عدم تحديد معمول العامل ، يؤدي إلى وصف التركيب بالضعف عند
سيبويه فى المستوى الثرى للكلام . مثل قولك :

خالد ضربت

يقول سيبويه : « ولا يحسن فى الكلام أن يجعل الفعل مبنيا على الاسم
ولا يذكر علامة إضمار الأول حتى يخرج من لفظ الأعمال فى الأول، ومن
حال بناء الاسم عليه ويشغله بغير الأول حتى يمتنع من أن يكون يعمل فيه،
ولكنه قد يجوز فى الشعر وهو ضعيف فى الكلام»^(١).

فالضعف هنا يرتبط بثلاث ظواهر هى :

١ - ظاهرة المستوى البنائى للتركيب

اسم مرفوع + فعل متعد + فاعل +

٢ - ظاهرة التعدى وال لزوم .

٣ - ظاهرة العامل والمعمول .

فالفعل « ضرب » فى المثال السابق فعل متعد يحتاج إلى معمول (منصوب)
يشغله عن الاسم المتقدم.

فسبب الضعف هنا يرجع إلى عدم وجود معمول منصوب للعامل
«ضرب» ، ووجود هذا المعمول المنصوب سواء أكان ضميرا متصلا بالفعل يعود
على الاسم المتقدم، أم كان الاسم المتقدم يخرج التركيب من دائرة الضعف
إلى دائرة الحسن، وذلك بأن نقول :

(١) سيبويه ، الكتاب ٨٥/١ .

زيد ضريتسه

مبتدأ فعل + فاعل + مفعول = خبر

أو : زيدا ضريت

مفعول + فعل + فاعل

فالضعف هنا عند سيبويه معناه عدم الحسن، فهناك تركيب حسن هو حد الكلام، وهناك تركيب ضعيف يبعد عن طريق المستوى الحسن نحويًا ودلاليًا.

ويرتبط بالضعف أيضًا عدم إعمال العامل مع تقدمه فالأصل عند سيبويه أن يعمل الفعل المتقدم على أجزاء الجملة، لأن الأصل في العمل للأفعال، ثم ما يحتمل عليها مثل : المصدر و الوصف.

والموقع الإعرابي للعامل له أثر واضح في العمل أو عدمه ، فالتقدم سبب في ضرورة الإعمال ، والتأخير سبب في الإلغاء.

فإذا عمل العامل وهو متأخر، أدى ذلك إلى وصف التركيب اللغوي بالضعف، وكذلك إذا ألغى عمله مع تقدمه.

فضعيف أن تقول :

زيدا أخاك أظن .

وزيدا قائما ضريت.

يقول سيبويه : « وكلما طال الكلام ضعف التأخير إذا أعملت وذلك

قولك : زيدا أخاك أظن ، فهذا ضعيف كما يضعف زيدا قائما ضريت ، لأن الحد أن يكون الفعل مبتدأ إذا عمل » ^(١).

(١) سيبويه ، الكتاب ١ / ١٢٠ .

وضعيف أن تقول : أظن زيد ذاهب

فالضعف هنا سببه عدم إعمال الفعل العامل مع تقدمه؛ لأن الأصل أن يعمل إذا تقدم على أجزاء الجملة .

وهذا الضعف أيضا يحمل على ما يعمل عمل الفعل مثل : المصدر، وقد أطلق سيبويه عليه حكما آخر هو القبح فقال : « واعلم أن المصدر قد يلغى كما يلغى الفعل . وذلك قولك ... زيد ظني أخوك، وزيد ذاهب ظني . فإن ابتدأت فقلت :

ظني زيد ذاهب كان قبيحا

كما ضعف أظن زيد ذاهب »^(١).

فقد أطلق سيبويه على عدم عمل العامل حالة تقدمه حكمين هما : الضعف والقبح ، ويعنى بهما الخروج عن أصل القاعدة، فالأصل أن يعمل الفعل أو ما يحمل عليه في العمل في حالة التقديم وأن يلغى عمله مع التأخير .

وقد أضاف سيبويه إلى الضعف وصفا آخر هو الخبث، ففي قولك : إن أحدا لا يقول ذاك.

يقول سيبويه : « وهو ضعيف خبيث ، لأن أحدا لا يستعمل في الواجب ، وإنما نفيت بعد أن أوجبت، ولكنه قد احتمل حيث كان معناه النفي »^(٢).

فالضعف هنا ليس سببه الإعراب أو العامل بل يرجع إلى تركيب عناصر الكلام، فكلمة « أحد » لا تستعمل إلا متفية ، والخبث جاء من ذكر أول الكلام

(١) المرجع السابق ١/ ١٢٤ .

(٢) سيبويه الكتاب . ٢/ ٣١٨ .

موجبا ثم نفيه بعد ذلك ، والذي سوغ قبول مثل هذا هو طريقة الاستعمال الشائع لكلمة « أحد » وهو النفى .

قبيح :

ومن الأحكام التى استعملها سيبويه فى التصعيد النحوى حكم القبح ، وهو يعنى بصفة عامة وضع الشئ فى غير موضعه .

وقد شمل حكم القبح بعض النقاط منها :

١ - بناء الكلام .

٢ - الإعراب .

٣ - العامل .

٤ - الفصل بين المتضايقين .

١ - بناء الكلام :

ويتضمن بعض النقاط منها :

أ - عدم الفصل بين المتعاطفين .

ب - وضع الشئ فى غير موضعه .

ج - الاختصاص .

د - حذف الاسم وإقامة الصفة مقامه .

١ - عدم الفصل بين المتعاطفين :

يرى سيبويه أن عطف الاسم الظاهر على الضمير المرفوع المتصل لا يصح إلا بعد الفصل بينهما بضمير يؤكد الضمير المرفوع ، يقول : « لو قلت : اذهب

نفسك كان قبيحا حتى تقول : أنت نفسك ... لو قلت : اذهب وزيد كان قبيحا حتى تقول : اذهب أنت وزيد «^(١). ويقول فى موضع آخر: «^(٢) لو قلت : اذهب وعبد الله .

كان فيه قبح ، فإذا قلت : اذهب أنت وعبدُ الله حسن .
ومثل ذلك فى القرآن : (فاذهب أنت وربك فقاتلا) «^(٣).
وقوله تعالى : ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ «^(٤).

فسيبويه يستشهد بالنص القرآنى على الوجه الحسن وهو الفصل بالضمير بين المعطوف وهو الاسم الظاهر، والمعطوف عليه وهو الضمير المرفوع المستتر، ويحكم على بعض الأمثلة المقترحة التى خللت من الضمير الفاصل بين المتعاطفين بالقبح .

فالقبح هنا يرتبط بمخالفة القاعدة النحوية وهى ضرورة الفصل بين الاسم الظاهر المعطوف، والضمير المرفوع المستتر المعطوف عليه .

ب - وضع الشئ فى غير موضعه. ويشمل بعض النقاط منها:

١ - الخلاف فى الحالة الإعرابية :

حرص العرب على استعمال ألفاظ اللغة فى المواضع التى تساعد على إبراز المعنى المراد منها، وقد مثل سيبويه ببعض التراكيب الخاصة المجموعة عن العرب والتى يجب مراعاة ترتيب العناصر فيها، ومنها:

(١) سيبويه ، الكتاب ١/ ٢٧٧ - ٢٧٨ . ونظر ١/ ٢٩٨ .

(٢) المرجع السابق ١/ ٢٤٧ .

(٣) سورة البقرة من الآية ٣٥ .

(٤) سورة الأعراف من الآية ١٩ .

● ويل لك وعول لك .

● يسوءك وينوءك .

● سقياً ورعياً .

ولا يقال طعاما لك وشرابا لك ، تريد معنى سقياً .

يقول سيويه فى هذه التراكيب : « ... فإنما تجريها كما أجرت العرب وتضعها فى المواضع التى وضعن فيها » ^(١) .

وقد خالف بعض النحويين هذا الاستعمال ، فوضعوا بعض اللفاظ فى غير مكانها الصحيح المستعمل من قبل أصحاب اللغة .

يقول سيويه فى حديثه عن النكرة التى تجرى مجرى ما فيه الألف واللام من المصادر والأسماء « هذا باب منه استكرهه النحويون ، وهو قبيح ، فوضعوا الكلام فيه على غير ما وضعت العرب ، وذلك قولك :

ويح له وتب ، وتبا لك وويحا

فجعلوا التب بمنزلة الويح ، وجعلوا ويح بمنزلة التب ، فوضعوا كل واحد منهما على غير الموضع الذى وضعته العرب » ^(٢) .

فالنحويون جعلوا التب مرفوعاً يمكن الابتداء به ، وكذلك جعلوا الويح منصوباً ، وهذا لم يرد فى استعمال العرب والوجه الحسن أن يقال كما ورد عن العرب .

- ويح له وتباله - ويح له وتب له

أو تبالك وويح له

(١) سيويه ، الكتاب ١ / ٣٣٠ .

(٢) سيويه ، الكتاب ١ / ٣٣٤ .

فالويع يجب أن يتبدأ به ، ثم يبنى عليه الخبر شبه الجملة الجار والمجرور ، ويلحق بالويع كلمة التب ، والأفضل فى التب النصب ، ويمكن الاستغناء معها عن الجار والمجرور بعدها ، لدلالة السياق على المستغنى عنه ، أما كلمة الويع فيشترط أن تبنى على الجار والمجرور .

فخطأ النحويين من وجهة نظر سيبويه أنهم وضعوا التب موضع الويع ، ووضعوا ويحا موضع التب مع أن الويع يجب الابتداء به ، ولا يستغنى أبداً معه عن الجار والمجرور ، أما التب فلا يتبدأ به ويمكن الاستغناء بعده عن الجار والمجرور .

فسيبويه فى النص السابق يدافع عن الواقع اللغوى المنطوق به من قبل العرب ، ويحكم على الاستعمال المقترض من قبل النحويين بالقبح لعدم مطابقته للواقع المستعمل .

يقول : « ينبغى لك أن تجرى هذه الحروف كما أجرت العرب وأن تعنى ماعنوا بها »^(١).

ج- الاختصاص :

تختص بعض الكلمات بالدخول على الأسماء وبعضها الآخر بالدخول على الأفعال ، وبعضها يعمل فيما يختص به وبعضها الآخر لا يعمل ، أى لا أثر لها فى غيرها من الناحية الإعرابية .

ومن الكلمات المختصة العاملة : أن ، وكى ، وإذن . وهى حروف تختص بالدخول على الفعل ، وتعمل فيه النصب ، فيتكون النمط فى التركيب من : أداة نصب + فعل مضارع .

(١) سيبويه ، الكتاب ١/ ٣٣٠ - ٣٣١ .

فإذا جاء ما يخالف هذه القاعدة، أى ما ينافى هذا الاختصاص كان ذلك قبيحا عند سيويه ، لأن الكلمة وضعت فى غير موضعها المحدد طبقا للقواعد المقترضة من قبل النحاة .

وتتضمن ظاهرة الاختصاص ما يلى :

١ - حروف الاستقبال والتوكيد .

٢ - حروف نصب المضارع .

٣ - الاستفهام .

٤ - مخالفة الأصل (التذكير) .

٥ - عدم إفادة المعنى .

١ - حروف الاستقبال والتوكيد :

يقول سيويه : « إن من الحروف حروفا لا يذكر بعدها إلا الفعل ولا يكون الذى يليها غيره مظهرا أو مضمرا ... ولو قلت :

سوف زيدا أضرب .

أو قد زيدا لقيت

لم يحسن لأنها إنما وضعت للأفعال » (١) .

فالذى أخرج الكلام السابق من دائرة الحسن هو وضع الاسم بعد ما يستحق الدخول على الفعل ، وهو سوف ، وقد ، لأنهما حرفان خصصا للدخول على الأفعال .

(١) سيويه ، الكتاب ٩٨/١ .

٢ - حروف نصب الفعل المضارع :

من الحروف الناصبة للفعل المضارع « إذن » ويشترط لعملها بعض الشروط منها : أن يليها الفعل الذى تعمل فيه ولايجوز الفصل بينهما إلا بالقسم^(١) ، فإذا فصل اسم بينها وبين الفعل بطل عملها .

يقول سيويه : « وتقول : إذن عبد الله يقول ذاك ، لا يكون إلا هذا من قبل أن إذن الآن بمنزلة إنما وهل ، كأنك قلت : إنما عبد الله يقول ذاك . ولو جعلت إذن ههنا بمنزلة كى وأن لم يحسن من قبل أنه لايجوز لك أن تقول : كى زيد يقول ذاك ولا أن زيد يقول ذاك . فلما قبح ذلك جعلت بمنزلة هل وكأنا وأشباههما »^(٢) .

فسيويه يرى أنه من القبيح أن تقول :

كى زيد يقول ذاك

وأن زيد يقول ذاك

لأن كى ، وأن لايليهما إلا الفعل ، فهما من الحروف المختصة بالدخول على الأفعال ، فلا يعملان مع الفصل بينهما وبينه بالاسم ، والصحيح أن تقول : كى يقول زيد ذاك .

وإذا فصل بين إذن والفعل بالاسم ، بطل عملها وصارت مثل إنما وهل فى عدم التأثير الإعرابى ، لذلك نقول :

إذن عبد الله يقولُ ذاك « برفع الفعل المضارع .

(١) أجاز بعض النحاة الفصل بشبه الجملة ، وبالتداء أو الدعاء ، أو بمعمول الفعل . انظر ابن هشام ، أوضح

المسالك ، ١٦٨/٤ .

(٢) سيويه ، الكتاب ١٥/٣ - ١٦ .

فالقبح عند سيبويه هو عدم مراعاة قاعدة الاختصاص، ومن حروف الاختصاص أن الناصبة للفعل المضارع فهي تختص به، فمن القبح أن يليها الاسم، وكذلك « كى » .

ففى قول العرب : أما أنت منطلقا انطلقت معك .

يرى سيبويه أن « أما » مركبة من أن + ما للتوكيد . وما هنا عوض عن الفعل المحذوف والتقدير : لأن كنت منطلقا انطلقت معك، ثم حذف الفعل وعوض عنه ما .

يقول سيبويه « فلما كان قبيحا عندهم أن يذكروا الاسم بعد أن ويتنثروه بعدها كقبح كى عبد الله يقول ذاك حملوه على الفعل »^(١).

٣ - الاستفهام :

يقول سيبويه فى اختصاص حروف الاستفهام « واعلم أن حروف الاستفهام كلها يقبح أن يصير بعدها الاسم إذا كان الفعل بعد الاسم، لو قلت هل زيد قام ، وأين زيد ضربته، لم يجوز إلا فى الشعر ، فإذا جاء فى الشعر نصبته ، إلا الألف فإنه يجوز فيها الرفع والنصب، لأن الألف قد يتبدأ بعدها الاسم »^(٢).

ويقول : « فإن قلت : هل زيدا رأيت

وهل زيد ذهب

قبح ولم يجوز إلا فى الشعر ، لأنه لما اجتمع الاسم والفعل حملوه على الأصل ، فإن اضطر شاعر فقدم الاسم نصب »^(٣).

(١) سيبويه ، الكتاب ١/ ٢٩٤ .

(٢) سيبويه ، الكتاب ١/ ١٠١ .

(٣) المرجع السابق ١/ ٩٩ .

ويقول أيضاً فى أسماء الاستفهام : « وإن قلت أيهم زيداً ضرب ، قبح كما يقبح فى متى ونحوها ، وصار أن يليها الفعل هو الأصل ، لأنها من حروف الاستفهام » (١).

من النصوص الثلاثة السابقة فى الاستفهام لسيويه نلاحظ أن حروف الاستفهام عدا الهمزة تختص بالدخول على الأفعال ، وذلك إذا اجتمع فى الكلام الاسم والفعل ، فإن وليها الاسم خرج الكلام من دائرة الحسن إلى دائرة القبح ، لأن بعض أجزاء الكلام قد وضع فى غير موضعه المخصص له .

وقد حدد سيويه المستوى الذى وصف بالقبح ، وهو المستوى النثرى للكلام ، أما المستوى الشعرى منه ، فيجوز للشاعر أن يدخل أحرف الاستفهام على الأسماء لضرورة النظم ، بشرط أن تكون الأسماء منصوبة .

٤- مخالفة الأصل (التكثير):

يقول سيويه : « وأما رب رجل وأخيه منطلقين ، ففيها قبح حتى تقول : وأخ له . و المنطلقان عندنا مجروران من قبل أن قوله وأخيه فى موضع نكرة ، لأن المعنى إنما هو وأخ له » (٢).

فاتصاف التركيب السابق بالقبح يرجع إلى إضافة كلمة أخ إلى الضمير « الهاء » وهذه الإضافة وإن كانت إلى معرفة إلا أنها فى حكم النكرة ، لأنه لا يراد بها رجلاً بعينه ، وأصل الكلام الذى يخرج التركيب من مستوى القبح إلى مستوى الحسن هو « وأخ له » . فسقطت اللام الجارة للضمير ، فاتصل الاسم بالضمير .

(١) المرجع السابق ١/ ١٢٦ .

(٢) سيويه ، الكتاب ٢/ ٥٤ .

فالقبح هنا فى عطف كلمة أخيه على مجرور رب، والكلام جائز مع قبحه،
لأن كلمة أخ وإن كانت مضافة إلى معرفة إلا أنها فى حكم النكرة .

ولكن لايجوز أن تقول : رب أخيه

ولا رب رجل وزيد

لأن رب تختص بالدخول على النكرات .

٥- عدم إفادة معنى :

الكلام الصحيح يتضمن شيئين هما :

أ - الصحة التركيبية .

ب - الصحة الدلالية .

والصحة الدلالية مترتبة على مراعاة صحة التركيب ، أى صحة وضع
المفردات وحسن ترتيبها، وكذلك صحة الوظائف النحوية التى تدل عليه .

فإذا لم يراع فى بناء الكلام صحة وضع المفردات طبقاً لقاعدة الاختصاص،
فقد الكلام بالتالى الصحة الدلالية لعدم إفادة المعنى المراد منه . وفى هذه الحالة
لاسمى مثل هذا التركيب كلاماً ، أو بمفهوم سيويه « لم يكن كلاماً » .

يقول سيويه فى حديثه عن الأفعال المضارعة :

« ويبين لك أنها ليست بأسماء أنك لو وضعتها مواضع الأسماء لم يجز
ذلك . ألا ترى أنك لو قلت :

إن يضرب يأتينا

وأشبه هذا لم يكن كلاماً ؟ ! إلا أنها ضارعت الفاعل لاجتماعهما فى
المعنى » ^(١) .

(١) سيويه ، الكتاب ١ / ١٤ .

فسيويه ينفى عن المثال السابق: إن يضرب يأتينا صفة الكلام، لأنه لم يراع في ترتيب أجزاء التركيب قاعدة الاختصاص، فالفعل لا يلى في الكلام الصحيح إن، لأن «إن» حرف يختص بالدخول على الأسماء، فوضع الفعل المضارع في غير موضعه هنا وإن كان يشبه اسم الفاعل في بعض الأوجه، أفقد التركيب الصحة البنائية وبالتالي الصحة الدلالية، فلم يعد كلاما كما عبر سيويه .

فالفعل لا يصلح أن يقع مسندا إليه، بل يأتى دائما مسندا في البنية الأساسية للكلام، فوضع الفعل هنا في غير موضعه لم يجعل التركيب قبيحا فحسب، بل ألغى عنه صفة الكلام .

ويلاحظ في المثال السابق وهو «إن يضرب يأتينا» أنه من الأمثلة المفترضة عند سيويه، فلم يذكره سيويه على أنه من كلام العرب، بل ذكره لغرض التمثيل والشرح .

د - حذف الاسم وإقامة الصفة مقامه :

إذا حذف الاسم وحلت الصفة محله أدى هذا التغير إلى وصف الكلام بالقبح، لأن الصفة لا تحل محل الاسم، يقول سيويه في باب ما يتصب على إضمار الفعل: «وذلك قولك :

أخذته بدرهم فصاعدا، وأخذته بدرهم فزائدا. حذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إيائه، ولأنهم أمنوا أن يكون على الباء، لو قلت: أخذته بصاعد كان قبيحا، لأنه صفة، ولا تكون في موضع الاسم، كأنه قال: أخذته بدرهم فزاد الثمن صاعدا أو فذهب صاعدا .

ولا يجوز أن تقول: وصاعد؛ لأنك لا تريد أن تخبر أن الدرهم مع صاعد ثمن لشيء^(١).

(١) سيويه، الكتاب ١/ ٢٩٠.

فتحويل الكلام من : أخذته بدرهم فصاعدا

إلى : أخذته بصاعد .

وذلك بإحلال الصفة محل الاسم بعد حذفه ، ينقل الكلام من المستوى الجائز الحسن إلى المستوى السيئ ، لأن الصفة وهى كلمة «صاعدا» حلت محل الاسم وهو « درهم » المجرور بالباء ، ولا يجوز أن تقع الصفة موقع الاسم .

ويلاحظ أنه لايجوز العطف بالواو ، فلا تقول :

أخذته وصاعد

لأن الواو لمطلق الجمع ، أما الفاء فتدل هنا على تدرج ارتفاع الثمن ، فهى أقوى على تصوير المعنى المراد من الكلام ، لأن المعنى هو :

أخذته بدرهم فزاد الثمن ^(١) صاعدا . وصاعد بدل من زاد ويزيد .

وقد عبر سيبويه فى بعض المواضع عن حذف الاسم وإحلال الصفة محله بالضعف يقول :

« لو قلت أثنانى اليوم قوى ، وآلا بارداً ، ومررت بجميل كان ضعيفا ، ولم يكن فى حسن :

أثنانى رجل قوى وآلا ماء باردا

ومررت برجل جميل

أفلا ترى أن هذا يقبح ههنا كما أن الفعل المضارع لا يتكلم به إلا ومعه الاسم ^(٢) .

(١) سيبويه الكتاب ١ / ٢٩٠ ، ٢٩١ .

(٢) المرجع السابق ١ / ٢١ .

فالكلام الصحيح الحسن أن تقول :

أتانى رجل قوى

فعل + مفعول + فاعل + صفة

إذا تحول إلى :

أتانى قوى

فعل + مفعول + صفة (فاعل) .

أصبح ضعيفا ، لأن الصفة لاتقوى على أداء المعنى دون الاسم ، فهى تحتاج إلى الاسم مثل احتياج الفعل إليه ، فالضعف والقيح حكمان عند سيويه على حالة واحدة هى حذف الاسم وإحلال الصفة محله .

٢ - الإعراب :

تتضمن ظاهرة الإعراب بعض النقاط التى وصفت الأمثلة فيها بالقيح وهى :

١ - مخالفة الأصل :

وضع النحويون القواعد التى تحكم الوظائف النحوية وتحدد صحتها ، ومن هذه الوظائف الحال ، والأصل فى الحال أن تكون نكرة ، فإذا جاءت بخلاف هذا الأصل ، وصف الكلام الذى وقعت فيها بالقيح .

يقول سيويه : « فإذا كان الاسم حالا يكون فيه الأمر لم تدخله الألف واللام ولم يضاف . لو قلت : ضربته القائم ، تريد قائما كان قيحا ، ولو قلت : ضربتهم قائمهم تريد : قائمين كان قيحا » ^(١) .

(١) سيويه ، الكتاب ١/ ٣٧٧ .

ويقول أيضاً : « وأما الألف واللام فلا يكونان حالاً ألبتة ، لوقلت : مررت بزيد القائم ، كان قبيحا إذا أردت قائما »^(١).

فالقبح هنا يرتبط بمخالفة الأصول النحوية ، فوظيفة الحال يشترط فيها أن تكون نكرة ، فإذا جاءت معرفة عد ذلك قبيحا عند سيويه ، ففي : مررت بزيد القائم .

إذا أراد المتكلم بكلمة « القائم » قائما ، أى نصبها على الحال ، كان ذلك قبيحا منه ، لمخالفته الأصول النحوية المقررة ، أما إذا نطق كلمة « القائم » بكسر الميم ، أى جعلها صفة لزيد ، فإن ذلك يخرج الكلام من مرتبة القبح إلى مرتبة الحسن ، لاتفاقه مع الأصول النحوية .

والقبح فى المثال السابق أيضاً يرجع إلى الخوف من حدوث اللبس بين الوظائف النحوية ، فإذا جاءت الحال معرفة التبتت بالصفة المعرفة ، ولأن الحال وصف فى المعنى اشترط النحويون فيها التنكير حتى يفرقوا بينها وبين الصفة المعرفة . فالقبح هنا عند سيويه جاء بمعناه العام وهو وضع الشئ فى غير موضعه^(٢).

ب - الحالة الإعرابية :

هناك كلمات يقتضى الاستعمال أن تشغل حالة إعرابية معينة ، وذلك مثل الاسم المفرد الواقع بعد « أما » فالوجه فيه الرفع فى جميع اللغات مثل : أما العبد فذو عيب .

فإذا جاء فى كلام منصوبا ، أو عطف على منصوب أدى ذلك إلى وصف مثل هذا الكلام بالقبح عند سيويه يقول : « أما العلم والعبيد فذو علم وذو

(١) سيويه ، الكتاب ٥٨/٢ ونظر ١١٣/٢ .

(٢) انظر المرجع السابق ١١٤/٢ .

عيد . وهذا قبيح ؛ لأنك لو أفردته كان الرفع أصوب، فحيث إذ أجرى غير المصدر كالمصدر، وشبهوه بما هو في الرداءة مثله وهو قولهم ويل لهم وتب^(١) .

فالذي ينصب بعد « أما » هو المصدر، لأنه يمكن في هذه الحالة تقدير فعل عامل فيه، أما الاسم فالوجه فيه الرفع .

والقبح الذي يراه سيويه في قول النحويين :

أما العلم والعبيد فذو علم وذو عبيد

سببه أن النحويين وضعوا الاسم «العبيد» موضع المصدر، ولو جاء مفردا ، أى غير معطوف لكان الصحيح رفعه .

وقد زعم يونس بن حبيب أن نصب الاسم بعد « أما » قد روى عن بعض العرب فهم يقولون :

أما العبيد فذو عبيد

أى يجرونه مجرى « المصدر » وهو قليل حيث^(٢) .

فالقلة في نظر سيويه ترجع إلى الكم، فالكثير المستعمل جاء بالرفع، غير أنه في حكمه هذا لم يذكر لنا عدد الأمثلة المرفوعة بالنسبة للمنصوبة . أما الخبث ، فيعنى به وضع الشئ في غير موضعه، وهو هنا وضع المصدر، كما وضعوا التب موضع الويل . والتب^(٣) لا تأتى إلا منصوبة . فقالوا : ويل لهم وتب .

ومع أن رواية النصب التي ذكرها يونس - رويت عن قوم من العرب، إلا

(١) سيويه ، الكتاب ١/ ٣٨٩ .

(٢) المرجع السابق ١/ ٣٨٩ .

(٣) سبق أن تناولنا هذا المثال في هذا البحث ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

أن سيويه حكم عليها بالقلة والخبث. ومع هذا نجد سيويه يجيزها على اعتبار أن كلمة العيب لا يراد بها أشخاص بعينهم فهي في حكم النكرة تشبيها لها بالمصدر المبهم، يقول : « وإنما جاز النصب في العيب حين لم يجعلهم شيئا معروفا بعينه لأنه يشبهه بالمصدر »^(١).

ج- صحة المعنى واتفاق الحالة الإعرابية بين المعطوف والمعطوف عليه :

يشترط سيويه إذا عطف اسم على آخر بالواو أن يتفق هذا المعطف مع المعنى وأن تكون الحالة الإعرابية للمعطوف والمعطوف عليه واحدة. يقول في باب يضم في الفعل لقبح الكلام إذا حمل آخره على أوله : « وذلك قولك : ما شأنك وعمراً

فإنما حد الكلام ههنا : ما شأنك وشأن عمرو.

فإن حملت الكلام على الكاف المضمرة فهو قبيح ، وإن حملته على الشأن لم يجز ، لأن الشأن ليس يلتبس بعبد الله ، وإنما يلتبس به الرجل المضمر في الشأن . فلما كان ذلك قبيحا حملوه على الفعل فقالوا : ما شأنك وزيدا ، أى : ما شأنك وتناولك زيدا »^(٢).

فالقبح في النص السابق يرجع إلى اختلاف الحالة الإعرابية بين المعطوف والمعطوف عليه في البنية السطحية للكلام.

ففي مثل : ما شأنك وعمراً

لا يمكن عطف الاسم المنصوب « عمراً » على الضمير « الكاف » لأنه في محل جر ، وشرط التابع أن يتفق مع المتبوع في الحالة الإعرابية. ولا يمكن عطفه على الشأن، لأن الشأن هنا لا يلتبس بعمرو، بل هو شأن المخاطب « الكاف » .

(١) سيويه ، الكتاب ١ / ٣٩٠.

(٢) المرجع السابق ١ / ٣٠٧.

لذا يرى سيويه أن النصب هنا على تقدير عامل خارج عن العناصر المذكورة ، فهو موجود فقط في البنية العميقة للكلام وهو يتفق مع المعنى المراد من الكلام ، والتقدير : ما شأنك وتناولك عمرا .

ويلاحظ في المثال السابق مدى اهتمام سيويه بالجانب الدلالي في تفسير الحالة الإعرابية ، وكذلك مدى عنايته بحسن اختيار اللفظ المقدر الذي يتناسب من جهة المعنى مع سياق الكلام ومن جهة العمل مع المعمول .

وقد استشهد سيويه على ما يذهب إليه ببعض الأشعار^(١) .

وعن أهمية دور المعنى في توجيه الإعراب يقول سيويه :

« وتقول : لاتدن منه يكن خيرا لك . فإن قلت :

لاتدن من الأسد يأكلك

فهو قبيح إن جزمت ، وليس وجه كلام الناس ، لأنك لاتريد أن تجعل تباعده من الأسد سببا لأكله . فإن رفعت فالكلام حسن كأنك قلت : لاتدن منه فإنه يأكلك . وإن أدخلت الفاء فهو حسن وذلك قولك : لاتدن منه فيأكلك »^(٢) .

فسيويه يرى أن جزم الفعل في :

لاتدن من الأسد يأكلك .

ينافي المعنى ، لأنه لايمكن أن يكون تباعد الإنسان « المخاطب » من الأسد سببا في أكله ، بل العكس هو الصحيح ، لذا حكم سيويه على هذا التركيب بالقبح ، لأن الإعراب تناقض هنا مع المعنى ، ومن الضروري أن تتفق الحالة الإعرابية للكلمة مع المعنى المراد من الكلام .

(١) سيويه الكتاب ١/٣٠٧ ، ٣٠٨ .

(٢) المرجع السابق ٩٧/٣ .

والذى ينقل الكلام السابق من دائرة القبح إلى دائرة الحسن، هو أن يأتى الفعل مرفوعا، فيقال :

لاتدن من الأسد يأكلك

أو يكون منصوبا بشرط أن يسبق بالفاء ، فيقال :

لاتدن من الأسد فيأكلك.

لأن حالتى الرفع والنصب هنا تتفقان مع المعنى المفهوم من سياق الكلام.

وقد أراد سيويه أن يؤكد ماذهب إليه من جواز حالة الرفع عن طريق الاستشهاد بما سمعه من بعض العرب. فقال : « وسمعنا عربيا موثوقا بعربيته يقول : لاتذهب به تغلب عليه ، فهذا كقوله :

لاتدن من الأسد يأكلك » ^(١).

وكلما كان التفسير الإعرابى لعناصر الكلام معتمدا على السماع من أصحاب اللغة كان أقرب للواقع اللغوى وبعيدا عن المعيارية .

٣ - ظاهرة العامل :

الأصل فى العمل للأفعال ، وتعمل المصادر عمل أفعالها ومن الأفعال العاملة ظن وأخواتها . ولموقع هذه الأفعال تأثير واضح فى العمل أو عدمه .

فإذا تقدمت الكلام أى سبقت ما تعمل فيه كان ذلك سببا قويا فى تأثيرها الإعرابى على ركنى الجملة الاسمية التى دخلت عليهما، أما إذا توسلت بين الممولين أو تأخرت عنهما فيلغى عملها.

ويرى سيويه أن ظن إذا ابتدأ بها الكلام، وآلغى عملها أى بطل تأثيرها

(١) سيويه ، الكتاب ٩٨/٣ .

الإعرابي على معموليها، كان ذلك قبيحا وكذلك المصدر منها. يقول: «واعلم أن المصدر يلغى كما يلغى الفعل، وذلك قولك: متى زيد ظنك ذاهب، وزيد ظنى أخوك، وزيد ذاهب ظنى، فإن ابتدأت فقلت: ظنى زيد ذاهب كان قبيحا لايجوز ألبة، كما ضعف أظن زيد ذاهب»^(١).

فسيبويه يحكم على إلغاء عمل الفعل ظن بالضعف، ويحكم على إلغاء مصدره بالقبح، فالقبح حكم يتساوى مع الضعف فى وصف ظاهرة واحدة هى إلغاء العامل مع تقدمه على أجزاء الجملة.

٤ - الفصل بين المتلازمين [المضاف والمضاف إليه] :

لايجوز الفصل بين المضاف والمضاف إليه لأنهما بمنزلة شئ واحد فهما وحدة لغوية واحدة.

ولكن يجوز الفصل بينهما بالظرف والجار والمجرور فى المستوى الشعرى للغة، لضرورة الوزن والقافية، ومع هذا، فالفصل بهما قبيح عند سيبويه، وقد استشهد سيبويه على الفصل بين المضاف والمضاف إليه بشبه الجملة ببعض أبيات من الشعر، يقول:

قال ذو الرمة:

كان أصوات من إيغالهن بنا أواخر الميسر أصواتُ الفرائج
فهذا قبيح^(٢).

فالقبح فى البيت السابق سببه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالجار والمجرور، والمضاف والمضاف إليه بمنزلة شئ واحد.

(١) سيبويه، الكتاب ١/ ١٢٤ - .

(٢) سيبويه، الكتاب ١/ ١٧٩ - ١٨٠ .

وهذا تحكم من سيبويه فى لغة العرب أصحاب السليقة اللغوية ، وكان عليه أن يقبل هذه اللغة فى هذا المستوى اللغوى الخاص بالشعر ويصفها كما جاءت عن العرب .

فقد ذكر سيبويه فى أكثر من موضع أن بعض الظواهر اللغوية تجوز فى الشعر^(١) دون النثر ، والقاعدة يجب أن تستخرج من المستوى النثرى للكلام ، لأن الشعر له خصوصيته التى تتضح فى الضرائر .

قيح ضعيف :

قرن سيبويه حكم القبح بحكم الضعف ، وجعلهما حكما واحدا .

وقد تضمن هذا الحكم بعض النقاط منها :

أ - مخالفة الحالة [التعريف والتذكير] .

ب - ظاهرة ضعف العامل .

ج - كثرة الحذف .

أ - مخالفة الحالة [التعريف والتذكير] .

الأصل فى الصفة أن تتفق مع الموصوف فى النوع ، والعدد ، والإعراب ، وأيضا الحالة ، ويرى الخليل بن أحمد أنه يمكن أن يقال :

هذا رجل أخو زيد

وقد اعترض سيبويه على المثال السابق ووصفه بأنه :

« قبيح ضعيف » يقول سيبويه « وزعم الخليل أنه يجوز أن يقول الرجل :

هذا رجل أخو زيد ، إذا أردت أن تشبهه بأخى زيد . وهذا قبيح ضعيف ،

(١) المرجع السابق ٨٥ / ١ .

لا يجوز إلا فى موضع الاضطرار ، ولو جاز هذا لقلت : هذا قصير الطويل ، تريد : مثل الطويل . فلم يجز هذا كما قبح أن تكون المعرفة حالا للنكرة إلا فى الشعر وهو فى الصفة أفصح ^(١) .

فوجه اعتراض سيبويه يرجع إلى مخالفة قاعدة التعريف والتكثير ، فكلمة « رجل » نكرة وأخو « زيد » معرفة بالإضافة .

ومثل سيبويه لهذه المخالفة بمثال هو :

هذا قصير الطويل

وهذا المثال لا يجوز ، لأنه لم يراع فيه قاعدة وجوب اتفاق التكثير بين الموصوف والصفة ، كما أنه لا يجوز أيضا لما فيه من تناقض فى المعنى بين القصير والطول .

وسيبويه يسمح لمثل هذه الأمثلة - التى لم يراع فيها قاعدة التعريف والتكثير بين عناصر الكلام - أن تستعمل فى المستوى الشعرى لخصوصيته التى تتمثل فى ضرورة الوزن والقافية .

ب - ظاهرة ضعف العامل :

الأصل فى الحال أن تتأخر عن عاملها وكذلك عن صاحبها ، ويجوز أن تتقدم على عاملها إذا كان العامل فعلا متصرفا أو وصفا يشبهه ، فإذا تقدم الحال على عامل جامد أو ضعيف ، أو تقدم على صاحب الحال المجرور ، كان ذلك قبيحا عند سيبويه ، يقول : « ومن ثم صار مررت قائما برجل لا يجوز ، لأنه صار قبل العامل فى الإسم وليس بفعل ، والعامل الباء ولو حسن هذا لحسن ، قائما هذا رجل . »

(١) سيبويه ، الكتاب ١/ ٣٦١ .

فإن قال قائل : أقول مررت بقائماً رجل ، فهذا أخيب ، من قبل أنه لا يفصل بين الجار والمجرور ، ومن ثم أسقط رُبَّ قائماً رجل . فهذا كلام قبيح ضعيف ، فاعرف قبحه ، فإن إعرابه يسير ^(١) .

فالقبح هنا عند سيويه يرتبط بمخالفة القواعد بين العامل والمعمول ففى :
مررت قائماً برجل .

تقدمت الحال على صاحبها المجرور بحرف جر أصلى .

وفى مثل : قائماً هذا رجل .

تقدمت الحال على عامل ضعيف ، لأنه عامل معنوي ، أى فى معنى الفعل المفهوم من اسم الإشارة ، فالعامل تضمن معنى الفعل أشير دون حروفه .

وقد ألمح سيويه إلى أن إعراب الأمثلة السابقة سهل يسير لكن الأجدى والأנفع معرفة قبحها ، أى المخالفة فى ترتيب بناء عناصر الكلام طبقاً للعامل والمعمول .

والجائز فى المثالين السابقين أن يقال :

مررت برجل قائماً

وهذا رجل قائماً .

ويلاحظ أن سيويه يجيز أن يكون صاحب الحال نكرة يقول :

ومثل ذلك : مررت برجل قائماً ، إذا جعلت المجرور به فى حال قيام .

وقد يجوز على هذا : فيها رجل قائماً ، وهو قول الخليل ، ومثل ذلك : عليه مائة بيضا ^(٢) .

(١) سيويه ، الكتاب ٢ / ١٢٤ .

(٢) سيويه ، الكتاب ٢ / ١١٢ .

جـ - كثرة الحذف:

أطلق سيبويه حكم « قبيح ضعيف » عند تناوله حذف الفعل بعد أداة الشرط « إن » إذا اتصلت بالاسم ، فقال :

« و من ذلك قولك : مررت برجل صالح وإن لا صالحاً فطالح . »

ومن العرب من يقول : إن لا صالحاً فطالحاً ، فكأنه يقول :

إن لا يكن صالحاً فقد مررت به أو لقيته طالحاً .

وزعم يونس أن من العرب من يقول : إن لا صالحاً فطالح على : إن لا أكن مررت بصالح فطالح .

وهذا قبيح ضعيف ، لأنك تضمّر بعد إن لا فعلاً آخر فيه حذف غير الذى تضمّر بعد إن لا فى قولك : إن لا يكن صالحاً فطالح^(١) .

فسيبويه يرى أنه يجوز فى المثال السابق وجهان من الإعراب هما :

١ - نصب الاسم الأول « طالحاً » وجر الثانى « فطالح » .

٢ - نصب الاسمين معاً .

أما جر الاسمين معاً فيؤدى إلى كثرة الحذف ، وبالتالي إلى كثرة التقدير فسيبويه يحكم القاعدة التى تقول : إن كثرة الحذف تضعف الكلام ، وتصفه بالقبح والضعف ، وهذه القاعدة من صنع سيبويه .

والذى رواه يونس مسموع من العرب ، ويونس عالم ثقة عند سيبويه ، ومع هذا وصف سيبويه كلام بعض العرب - الذى رواه يونس - بالقبح والضعف .

(١) سيبويه الكتاب ١/ ٢٦٢ - ٢٦٣ .

والواجب أن تؤخذ القاعدة من النص اللغوي المسموع من العرب لا أن تكون سهمًا خارقًا يمزق أجزاء الجملة ويصفها بالضعف والقبح .

وقد حكم سيويه على التركيب الذى وضع فيه بعض الأجزاء فى غير موضعها بالخبث ، وهو حكم يرادف عنده القبح ففى مثل :

هذا زيد أسود الناس

وهذا أخوك عبد الله

يرى سيويه أن الكلام السابق « كلام خبيث يوضع فى غير موضعه »^(١).

ووجه الخبث هنا هو مجئ الحال معرفة فى المثال الأول [أسود الناس] ومخالفة عبد الله ما قبله فى الحركة الإعرابية فهو مبين له والحال الأصل فيها أن تكون نكرة ، يقول سيويه :

« فالتكرة تكون حالا وليست شيئًا بعينه قد عرفه المخاطب قبل ذلك »^(٢).

ردى:

وصف سيويه بعض لغات العرب بالرداء لأنها خالفت الكثرة المضطردة فى الاستعمال ، مثل :

العدد المركب مثل : خمسة عشر يبنى على الفتح دائما سواء أكانت العشرة مقترنة بال أو مضافة ، هذا ماجاء عن العرب يقول سيويه « واعلم أن العرب تدع خمسة عشر فى الإضافة والالف واللام على حال واحدة »^(٣).

ومن العرب من أعرب كلمة عشر عند الإضافة فيقول :

(١) المرجع السابق ١١٤/٢ .

(٢) سيويه الكتاب ١١٤/٢ .

(٣) المرجع السابق ٣ / ٢٩٨ - ٢٩٩ .

خمسة عشر

يقول سيويه « وهى لغة رديئة »^(١).

ووصف سيويه تغيير حركة بنية الكلمة بالرداءة والغلط فى قول بعض العرب على لسان أبى الخطاب^(٢) ادّعة من دعوت فيكسرون العين على التوهم، أى توهم سكون العين للجزم وقبلها ساكن، فيحركون العين بالكسر حتى لا يلتقى ساكنان .

وقد كسر قوم من ربيعة الهاء فى قولهم : منهم ، فأتبعوا كسر الميم كسر الهاء، لأن النون ساكنة وليست حاجزا حصينا، وقد وصف سيويه هذه اللغة فقال : « وهذه لغة رديئة »^(٣).

ووصف أيضاً قول ناس من بكر بن وائل حين نطقوا كلمتى أحلامكم وبكم، بكسر الكاف فيهما بشدة الرداءة ، فقال وهى رديئة جدا^(٤).

خطأ :

خطأ سيويه بعض التراكيب فى المستوى النثرى للكلام وأجازها فى المستوى الشعرى لحاجته إلى الضرورة، ومثال ذلك الجزم بـ « إذا » وجعلها بمنزلة إن الشرطية ، وإذا أداة شرط تربط بين الشرط والجواب ، ولكن ليس لها تأثير إعرابى ، فهى أداة شرط غير جازمة .

ولكن يجوز أن تأتى جازمة^(٥) فى الشعر مثل قول الفرزدق :

(١) المرجع السابق ٢٩٩/٣.

(٢) المرجع السابق ١٦٠ / ٤ .

(٣) سيويه الكتاب ١٩٦/٤ .

(٤) المرجع السابق ١٩٦/ ٤ .

(٥) المرجع السابق ٦١/٣ ، ٦٢ .

ترفع لى خِنْدَفِ والله يرفع لى

ناراً إذا خَمَلَتْ نيرانهم تَقْدِ

فسيويه يراعى هنا المستوى الشعرى للكلام ، ويعترف بخصوصيته وأنه يجوز فيه مالا يجوز فى المستوى الثرى .

وعند إضافة الكاف إلى ياء المتكلم فى الضرورة الشعرية يقال : كى بكسر الكاف ، أما كى يفتح الكاف فخطأ عند سيويه ، لأنه « ليس فى العربية حرف يفتح قبل ياء الإضافة »^(١).

فسيويه خطأ هنا مثالا مفترضا الغرض منه بيان الخطأ من الصواب.

كما ارتبط حكم « خطأ » عنده أيضا بيسنه الكلمة ، فلا يجوز أن يشئ عشرون ، ومائتان ، وألفان ، فلا يقال : عشرونان ، ولامائتانان ، وألفانان وهذا لا يكون وهو خطأ لا تقوله العرب »^(٢).

وقد فاضل سيويه فى تعميده بين التراكيب ، فذكر منها :

القوى ١٦/٢ ، ١٥٨ ، والاقوى ١٧٤/١ .

والجيد ١٦٩/١ ، ١٨١ ، ٢٦٠ ، والأجود ١/٧٦ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ١٧٠ .

١٣٦/٢ ، ٣٣٦/٣ .

والحسن ١٣٩٠٥٨٠٥٤/١ ، والأحسن ١٢٥٠٨٧٠٨٤٠٥٦/١ .

والخبيث ١١٤/٢ ، والأخبيث ١٢٤/٢ .

والقيح ٢٧٧/١ ، ٢٩٤ ، ٣٠٧ ، والأقيح ١/١٠٧ ، ٣٦١ ، ١١/٣ .

(١) المرجع السابق ٢ / ٣٨٥ .

(٢) سيويه الكتاب ٣ / ٣٩٣ .

ونذكر هنا بعض الأمثلة على مفاضلة سيويه بين التراكيب^(١) فى القوة :

التركيب القوى	التركيب الاقوى
١ - كم لك درهما .	كم درهما لك .
٢ - كم أتاك رجلاً .	كم رجلاً أتاك .
٣ - كم ضربت رجلاً .	كم رجلاً ضربت .

فـ « كم » لها الصدارة ، لأنها استفهامية ، ويجوز أن يفصل بينها وبين تمييزها بالجار والمجرور ، والجملة الفعلية ، وهذا أسلوب قوي ، والاقوى منه أن يلى كم التمييز ، فلا يفصل بينهما .

فالتفاضل هنا عند سيويه يرتبط بترتيب الوظائف داخل التركيب اللغوى .
فالاقوى فى الأمثلة السابقة أن يأتى الكلام على النمط التالى :

مبتدأ + تمييز + خبر

مثل : كم رجلاً أتاك .

مما تقدم من طريقة سيويه فى تقعيده اللغوى نلاحظ مايلى :

١ - أنه تأثر ببعض مصطلحات الحديث عند حكمه على بعض التراكيب اللغوية ، وهذا التأثر كان له قاسم مشترك هو المعنى اللغوى للكلمة قبل أن تصبح مصطلحاً ذا دلالة معينة عند أهل كل علم ، وتأخذ مفهوماً خاصاً يتفق أو يتغير بين العلوم ومن هذه المصطلحات مصطلح ضعيف ، والضعف فى اللغة : هو ما انحط عن درجة الفصح^(٢) ، أى أنه أقل منزلة من الفصح ، وبهذا المعنى عرف عند أهل الحديث ، فالضعيف

(١) انظر المرجع السابق ١٥٨/٢ ، ١٥٩ .

(٢) السيوطى ، المزهر ج١ ص ٢١٤ .

مابعد عن صفات الصحيح، والحسن، وقد قسم علماء الحديث الضعيف إلى أقسام مختلفة منها : المرسل ، والمنقطع ، والمفضل ، والمدلس ، والمعلل ، والمضطرب ، والمقلوب ، والشاذ ، والمنكر ، والمتروك .

أما سيبويه فقد اعتمد على المعنى اللغوي للكلمة ، وأصبح مصطلح الضعف عنده يعنى البعد عن الاستقامة النحوية و الدلالية ، وكان هذا المصطلح يتساوى أحيانا فى الرتبة عند سيبويه مع مصطلح القبح ، فيقول أحيانا « وهذا قبيح ضعيف »^(١).

٢ - وضع سيبويه بعض الأحكام التى تعبر عن حالة الجواز ، وكذلك القرب من الاستقامة اللغوية ، وهو ما أسماه مستقيم حسن ، مثل : جيد ، وقوى ، وحسن ، وكلها أحكام تدل على جواز التركيب وقبوله نحويا ودلاليا .

وفى المقابل وضع بعض الأحكام التى تدل على عدم الاستقامة اللغوية ، مثل : قبيح ، ضعيف ، قبيح ضعيف ، خبيث . كما وضع أيضاً بعض المصطلحات التى تصف التراكيب الممنوعة مثل : محال ، محال كذب .

والأحكام الخاصة بعدم جواز التركيب مثل : قبيح ، وضعيف ، وخبيث صدرت من سيبويه على أمثلة مفترضة مصنوعة ، لم تدخل فى دائرة المسموع من العرب ، وكان الغرض منها هو بيان الخطأ من الصواب .

كما كان الهدف منها أيضاً هو التدريب على حفظ القواعد النحوية ، فهى نماذج للشرح والإبانة ، كأن يقول مثلاً :

● فلو قلت . ● فإن قال قائل .

وانصب القليل من هذه الأحكام على المسموع من العرب .

(١) سيبويه ، الكتاب ٢ / ١٢٤ .

مثل قول ذى الرمة :

كان أصواتَ من إيغالهن بنا أواخرِ الميس أصواتُ الفرائج
فقد فصل ذو الرمة بين المضاف والمضاف إليه بالجار والمجرور لذا وصف
سيبويه هذا الفصل بالقبح^(١).

وفى قول بعض العرب كما رواه يونس :

مررت برجل صالح إن لا صالح فبطالح
وصف سيبويه القول السابق بأنه قبيح ضعيف^(٢).

وكان على سيبويه ألا يخطئ النصوص اللغوية المسموعة من العرب، وألا
يصدر أحكاما عليها بالقبح والضعف ، بل كان عليه أن يصف هذه النصوص ،
ويشير إلى أنها لا تتفق مع الكثرة المضطردة من النصوص الأخرى .

ويلاحظ أن سيبويه لم يضع المعايير الدقيقة التى تفرق بين هذه الأحكام ،
فلم يكن هناك فرق عنده بين القبيح والضعيف ، ولا بين الجيد القوى ،
فأحيانا يصف الظاهرة اللغوية بالقبح ويصفها بالضعف أو الخبث ، ويعنى
بذلك عدم الجواز والبعد عن التركيب المستقيم الحسن .

(١) سيبويه ، الكتاب ١/ ١٧٩ - ١٨٠ .

(٢) المرجع السابق ١/ ٣٦٢ .

الخاتمة

يمكن أن نستخلص النتائج التالية :

١- التأثير بالمنهج :

تأثر سيبويه بمنهج أهل الحديث فى مراعاة الدقة التامة فيمن يؤخذ عنه النص اللغوي ، فقد اهتم سيبويه بهذا المنهج ، وأخذ اللغة عن أهل الثقة من العرب ، وعمن يوثق به من الرواة ، فالتبث فى مصدر الرواية اللغوية ، والأخذ عمّن يوثق به كان منهجاً لسبويه ، كما كان منهج علماء الحديث من قبله .

٢- التأثير بالمصطلح :

تأثر سيبويه ببعض المصطلحات عند علماء الحديث ، وجعل هذه المصطلحات أحكاماً ، يصدرها على بعض التراكيب اللغوية مثل : حسن ، جيد ، قوى ، ضعيف كما أضاف بعض المصطلحات الخاصة به ، مثل : قبيح ، خيث ، ردي ، مستقيم ، خطأ .

٣- الأحكام التى أطلقها سيبويه كانت تقع على التراكيب اللغوية المفترضة والمصنوعة لغرض الشرح والتعليم ، وأن السفيل منها انصب على الأمثلة المسموعة من العرب .

٤- التراكيب اللغوية عند سيبويه تنقسم إلى قسمين :

جائزة ، وغير جائزة وقد وصف النوع الأول ببعض الأوصاف منها : مستقيم ، وحسن ، وقوى ، وجيد ، وعربى جيد ، وجائز .
أما النوع الثانى فقد أصدر عليه بعض الأحكام منها :

قبيح ، ضعيف ، خبيث ، ردى ، محال ، خطأ .

٥ - لم يضع سيبويه المعايير الدقيقة التى تفرق بين الأحكام التى أصدرها على التراكيب اللغوية ، فلا نجد عنده فرقاً بين القوى والجيد ، والحسن ولاين القبيح ، والضعيف والخبيث ، وإن كان يجمع كل هذه الأحكام فى دائرتين :

الاولى : المستقيم الحسن [الجائز] .

وهو التركيب الذى وضع فيه كل عنصر فى موضعه الصحيح نحويًا .

الثانية : غير الجائز .

وتتضمن التراكيب التى وضعت فيها بعض العناصر فى غير موضعها الصحيح نحويًا .

المصادر والمراجع

- د. أحمد عمر هاشم ، أضواء على مصطلح الحديث ، دارالمنار القاهرة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م .
- د. بكرى شيخ أمين ، أدب الحديث النبوى ، دار الشروق بيروت - القاهرة ، ط الخامسة ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- د. تمام حسان ، الأصول ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٢ م .
- ابن تيمية (أبو العباس أحمد) ، علم الحديث ، تحقيق وتعليق موسى محمد على ، عالم الكتب ، بيروت ، ط الثانية ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- ابن جنى ، الخصائص ، حققه محمد على النجار ، عالم الكتب ، بيروت ، ط الثالثة ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- د. خديجة الحديثى ، دراسات فى كتاب سيبويه ، وكالة المطبوعات - الكويت ، دار غريب للطباعة ، القاهرة .
- الزبيدى (أبو بكر محمد بن الحسن) ، طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، ط الثانية ، ١٩٨٤ م .
- الزجاجى (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق) ، مجالس العلماء ، تحقيق عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ودار الرفاعى بالرياض ، ط الثانية ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر) ، الكتاب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ - ١٩٧٩ م .

- السيرافى (أبو سعيد الحسن بن عبد الله) ، أخبار النحويين البصريين ، تحقيق طه محمد الزينى ، محمد عبد المنعم خفاجي ، مصطفى البابلى الحلبي بمصر ، ط الأولى ، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .
- السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن) .
- * كتاب الاقتراح فى علم أصول النحو ، تحقيق وتعليق د. أحمد محمد قاسم ، مطبعة السعادة بالقاهرة ، ط الأولى .
- * الزهر فى علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين ، عيسى البابلى الحلبي بالقاهرة ، بدون تاريخ .
- د. صبحى الصالح ، علوم الحديث ومصطلحه عرض ودراسة ، دار العلم للملايين ، بيروت ط الخامسة ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٦م .
- ابن الصلاح ، مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
- أبو الطيب اللغوى (عبد الواحد بن على) ، مراتب النحويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر بالقاهرة ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .
- الطيبى (الحسين بن عبد الله ت ٧٤٣) ، الخلاصة فى أصول الحديث ، تحقيق صبحى السامرائى ، مطبعة الإرشاد - بغداد ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .
- د. عبد الصبور شاهين ، دراسات لغوية ، المطبعة العالمية بالقاهرة ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .

- عبد الوهاب عبد اللطيف ، المعتصر من مصطلحات أهل الأثر ، مطبعة
الفتاة بالقاهرة ، ط الأولى ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.
- على النجدي ناصف ، سبويه إمام النحاة ، عالم الكتب بالقاهرة ، ط
الثانية ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ابن فارس ، الصاحي ، تحقيق أحمد صقر ، عيسى البابلي الحلبي بالقاهرة
، بدون تاريخ.
- القفطي (جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف ، إنباء الرواة على أنباء
النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ،
١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
- ابن كثير ، الباعث الخفي شرح اختصار علوم الحديث ، تأليف أحمد
محمد شاكر ، دار الكتب - بيروت - لبنان ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- د. محمد أديب صالح ، لمحات في أصول الحديث ، المكتب الإسلامي
بيروت - دمشق ، ط الرابعة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- د. محمد حماسة عبد اللطيف .
* الضرورة الشعرية في النحو العربي ، مكتبة دار العلوم ١٩٧٩م.
* النحو والدلالة ، مطبعة دارالسلام بالقاهرة ، ط الأولى ١٩٨٣م.
- د. محمد محمد أبو شيبه ، دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب
المعاصرين ، سلسلة البحوث الإسلامية ، مطبعة الأزهر الشريف بالقاهرة ،
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- د. محمود الطحان ، تيسير مصطلح الحديث ، مطابع دار التراث العربي ،
١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

- د. محمود فهمى حجازى .
* علم اللغة العربية ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ،
بدون تاريخ .
- * الاسس اللغوية لعلم المصطلح ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
بالقاهرة ، بدون تاريخ .
- د. مصطفى جطل ، نظام الجملة ، المؤسسة العلمية للوسائل التعليمية ،
حلب ، سوريا ، ١٩٨٢م .
- ابن هشام ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيي
الدين عبد الحميد ، ط الخامسة ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

رقم الإيداع ٦٨١٥

